



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠٢٨٣

الجمهورية العربية السعودية  
جامعة الملك عبد العزيز  
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية  
الدراسات العليا التاريخية

# جَهَادُ الْغُثَّانِيَيْنِ، الْإِسْلَامُ نَظْمٌ خَيْرٌ مِنْ فَوْجِ الْفُسْطَاطِيِّينَ

٧٥٥ - ٨٥٧ هـ / ١٣٥٤ - ١٤٥٣ م

رسالة مقدمة

لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

١٤٢٦ هـ



بإشراف

الأستاذ الدكتور مسند محمد ربيع



رسالة الطالب

المعظم بالله الدكتور هاشم بن عوط

١٨٥

عام ١٣٩٩ - ١٤٠٠ هـ

١٩٧٩ - ١٩٨٠ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التمهيد

( أ )

اعتلده كثير من الباحثين في الدراسات التاريخية أن يطمسوا صفحة الدولة العثمانية التي أعتز حكامها بالاسلام فأعزهم ورفع من شأنهم بمقدار ما بذلوا فيه من جهود وتضحيات لينشروه بين الناس .

وجهاد العثمانيين ضد البيزنطيين من الصفحات المشرقة في التاريخ الاسلامي التي خلدها العثمانيون الاوائل على صفحات الزمن جيلا بعد جيل . فقد كان القرآن الكريم في يمينهم والسيف في شمالهم حتى بلغوا بالاسلام حدودا ومناطق لم يكن ليصل اليها لولا جهود السلاطين الاول من بني عثمان .

فهؤلاء الأبطال الذين عاشوا للاسلام ، وباسم الاسلام قد حققوا بجهودهم وإيمانهم وتضحياتهم ما كان أملا قائما في أذهان المسلمين السابقين وهو القضاء على دولة الروم وفتح القسطنطينية .

ولاشك أن العثمانيين أحيوا فرض الجهاد الديني بعدما كاد المسلمون أن ينسوه في فترات الضعف والخلافت التي مزقت وحدة الدولة الاسلامية ، وبقي فرض الجهاد مطمورا في صفحات الكتب ، يربيه المسلمون دون أن يعرفوا أنه كان حقيقة واقعة في كيان المسلمين . ولما أراد الله للاسلام أن ينتصر ، ولرايته أن تملأ ، ظهر العثمانيون ليحيّدوا للاسلام عزته وكرامته ، فوهموا أنفسهم للقتال في سبيله ، وعاشوا من أجله ، آخذين على أنفسهم أن يحيوا



( ب )

مجده الخابر ، وعلنوا للأجيال المتعاقبة انهم فتية آمنوا بربهم ، وأن الدين الاسلامي ليس سطوراً طويت في بطون الكتب ، وانما هو دين ودولة .

وما زال العثمانيون يصرون على النصر ضد أعداء الدين حتى حققوا الحلم الذي راود المسلمين الأول ، وحاولوا تحقيقه مراراً ، حتى أراد الله سبحانه وتعالى أن يظهر بطولات عثمانية ، مازالت تدق أبواب القسطنطينية حتى ركعت خاشعة ، تحت أقدام المسلمين ، وفتحت أبوابها للغزاة الفاتحين ، وكان لابد من البحث في مقومات هذه الدولة العثمانية ، وما ملكته من قدرات وما انطوت عليه قلوب قادتها من حوافز ، حتى تم القضاء على الدولة البيزنطية أو دولة الروم .

ومن المشكلات التي واجهت البحث في موضوع جهاد العثمانيين ضد البيزنطيين قلة المصادر والمراجع ، حتى أخذت طريقى الى استنبول للبحث في مكتباتها عن مصادر توضح حقيقة هؤلاء القوم ، وتكشف الخطأ عن تاريخهم . وكان من توفيق الله سبحانه وتعالى أن عثرت على كثير من المصادر والمراجع التاريخية التي استخلصت منها المادة العلمية لموضوع البحث .

وتحتوى الرسالة على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة ، وقد درست المقدمة مقومات حركة الجهاد العثماني ضد البيزنطيين خاصة الطبيعة العسكرية الصارمة التي طبع عليها المنصر التركي وأثره في حركة الجهاد العثماني ، والدوافع الدينية التي دفعت العثمانيين لاقتحام أوربا ، والجهاد في سبيل الله

( ج )

وفتحهم القسطنطينية محقل المسيحية الأرثوذكسية •

أما الفصل الأول وعنوانه استيلاء العثمانيين على غاليلولى وبداية التوسع العثمانى فى البلقان فقد ناقش عوامل اضمحلال الدولة البيزنطية عند منتصف القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى ، ودور مدينة غاليلولى فى جهاد العثمانيين ضد البيزنطيين ، واستعانة الامبراطور البيزنطى حنا الخامس بالغرب الأوربى ضد الدولة العثمانية •

ومحت الفصل الثانى وعنوانه ( العثمانيون وحركة الالتفاف حول القسطنطينية ) عملية الالتفاف العثمانى التى بدأت باستيلاء العثمانيين على أدرنة ، واتخاذها عاصمة للدولة العثمانية فى أوروبا سنة ٧٦٦ هـ / ١٣٦٥ م ، ~~وقد~~ ذلك فتح العثمانيين لمقدونية سنة ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م وانتصارهم فى معركة قوصوه ( كوسوفا ) •

وناقش الفصل الثانى أيضا أثر معركة قوصوه فى تاريخ الجهاد العثمانى ضد البيزنطيين ، اذ أدت هذه المعركة الى تكوين حلف صليبي أوربى ضد الدولة العثمانية • وانتصر العثمانيون على التحالف البيزنطى الأوربى فى موقعة نيقمولىس سنة ٧٩٨ هـ / سنة ١٣٩٦ م •

وعالج الفصل الثالث موضوع جهاد السلطان مراد الثانى ضد البيزنطيين

- حيث قام العثمانيون فيه بحصار القسطنطينية سنة ٨٢٥ هـ / سنة ١٤٢٢ م .
- واستعانة الامبراطور البيزنطى حنا الثامن بالقوى الأوربية ضد العثمانيين .
- وبحث الفصل الثالث أيضا مقدمات وأسباب ونتائج هزيمة حملة الصليبية أوربيية فى موقعة وارتنة ( فارنا ) سنة ٨٤٨ هـ / سنة ١٤٤٤ م .

وناقش الفصل الرابع وعنوانه السلطان محمد الفاتح وفتح القسطنطينية -  
أحوال الدولة البيزنطية قبيل حصار العثمانيين للقسطنطينية ، وما أعـلـده  
السلطان محمد الثانى من استعدادات لفتحها ، وموقف القوى الأوربيية  
من الفتح العثمانى الاسلامى للقسطنطينية ، وأخيرا انتصار الاسلام وسقوط  
القسطنطينية .

وفى نهاية الرسالة جاءت الخاتمة التى ذكر فيها أهم نتائج البحث .

ولا يسعنى الا أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير لأستاذى الأستاذ الدكتور  
حسنين محمد ربيع فهو المشرف على هذه الرسالة ، وهو لم يدخر وسعا فى  
مساعدتى ولم يخل على بنصائحه وارشاداته وتوجيهاته طيلة البحث فجزاه  
الله عنى بما يجزى به عباده المخلصين .

وانى فى هذه المناسبة أستمطر رحمت الله وأسأله رضوانه للمرحوم الأستاذ  
الدكتور محمد كمال الدسوقي الذى كان له الفضل فى توجيهى لهذا الموضوع .

( ه )

كما أتوجه بالشكر الجزيل للأستاذ الدكتور محمد حمدي المناوي لمساعدته  
القيمة لي .

كما أتوجه بالشكر للقائمين على كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، في  
شخص عميدها السابق سعادة الدكتور محمد بن سعد الرشيد ، وعميدها  
الحالي سعادة الدكتور عليان محمد الحارثي ، لاتاحتها الفرصة لـ  
ولأمثالي من طلاب العلم لمتابعة الدراسات العليا .

والله أسأل السداد والرشاد . .

الطالب

المحتشم بالله ابراهيم شحوط

## المقدمة

مقومات حركة الجهاد العثماني ضد البيزنطيين

- أثر الموقع الجغرافي للعثمانيين بالنسبة لموقع الدولة البيزنطية .
- الطبيعة العسكرية الصارمة التي طبع عليها العنصر التركي .
- الدوافع الدينية .

كلمة الجهاد اصطلاح اسلامى له معنى خاص لا ينطبق على الحروب وأنواع القتال الذى يدور بين دولتين أو جيشين ، يريد أحدهما التغلب على الآخر ، وإنما مفهوم الجهاد فى الاسلام أنه دعوة الى عقيدة ، وإلى دين سماوى يراد نشره على الناس ليخرجهم من الظلمات الى النور ، وليس المقصود منه الغلبة أو السيطرة بالقوة وإنما تنتهى مهمة المجاهد فى الاسلام بدخول من يحاربهم فى الدين الجديد أو خضوعهم للداعين لهذا الدين .

والجهاد العثمانى ضد البيزنطيين قائم على مبدأ نشر الاسلام ، والدعوة اليه . (١) ونجح العثمانيون فى كل حملاتهم لنشر الاسلام لتوفر عدة عوامل مكنتهم من نشر دعوة الاسلام على مساحات واسعة فى أوروبا . وهذه العوامل هى مقومات الجهاد الذى عرف به العثمانيون .

ويذكر المؤرخون أن العثمانيين من الجنس التورانى ، ينسبون الى عشيرة قابى من قبائل الغز التركمانية ، وكان أقدم زعيم معروف لهذه العشيرة

---

(١) على سفيىم ، الأتراك والاسلام ، ص ٧ ، عبد العزيز الشناوى ، أوروبا فى مطلع العصور الحديثة ، ج ١ ، ص ٥٤٣ .

(١) هو سليمان شاه \* وخرجت هذه القبيلة هاربة من وجه الخطر المفولى تحت رئاسة زعيمها سليمان شاه للبحث عن مواطن العشب ، والمأوى حتى استقروا أخيراً بجبهات أذربيجان ، غربى بحر الخزر ( قزوين ) حيث مكثوا بضعة سنين .

ثم خرج سليمان بقومه فى طريق العودة الى موطنه الأسمى ، بعد هدوء الحاصفة المفولية ، ولكن سليمان شاه غرق أثناء عبوره نهر الفرات ، واختلف أبنائه من بعده ، وشرقوا فى البلاد ، بعد أن انقسموا الى طائفتين فذهبت الطائفة الأولى ، وهى الأكثر عددا مواصلة سيرها نحو خراسان بقيادة سليمان وسنقور وتكين ، وهذه لم يذكر التاريخ شيئاً عنها .

وسار أحد أبناء سليمان شاه واسمه أرطغرل ، ومعه عشيرته فى الطائفة الثانية باتجاه الغرب الى الأناضول . وكانت قوات أرطغرل تشمل أربع مائة

---

(١) محمد بن أبى السرور البكرى : المنح الرحمانية فى الدولة العثمانية ، مخطوط ، ورقة ٢ .

زين الدين مرعى بن يوسف المقدسى الخبلى : قلائد العقيان فى فضائل آل عثمان ، مخطوط ، ورقة ٤ .

اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٨٣ .  
محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١١ .

بيت من قومه ، بينهم نحو ٤٤٠ فارساً ، واجتهد أرطغرل في مواصلة السير حتى انتهى به المطاف على هضاب آسيا الصغرى . (١)

وساعد أرطغرل وعشيرته السلطان علاء الدين السلجوقي سلطان سلاجقة الروم ضد المغول حتى تم لهما النصر ، وكافأه السلطان علاء الدين السلجوقي بأن منحه وعشيرته اقليم اسكى شهر على حدود الدولة البيزنطية . ولعل في اختيار هذا المكان على تخوم أملاك الأعـداء البيزنطيين ما دعا السلطان علاء الدين لاستغلال شجاعة هذه القبيلة التركية في رد اغارات الدولة البيزنطية ضد السلطنة السلجوقية . ومنذ ذلك العهد اتجهت أطماع الدولة الجديدة الى اتخاذ هذا الموقع منطلقاً للغزو ، والفتح ، والتوسع في أملاك البيزنطيين . (٢)

ثم جاء من بعده ابنه عثمان فنقل مقر ملكه عام ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م من

---

(١) البكرى ، المنح ، ورقه ٢ ، سرهنك ، حقائق الأخبار ، ص ٤١٣ ، سير توماس أرنولد ، الدعوة الى الاسلام ، ص ١٢٠ .

Gam. Med. Hist. Vol.4, p.655.

(٢) كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ج ٣ ص ١٣ .



(١) سكود الى ملانجتون التي تقع الى جنوب سكود بعد أن فتحها وجعل اسمها ( قره حصار ) . (٢)

ومنذ ذلك العهد احتلت اماره عثمان مركزا استراتيجيا يتحكم في الطرق القادمة من القسطنطينية الى آسيا ، ولهذا السبب ، ومن الموقع الممتاز ، استطاع العثمانيون أن ينجحوا في غزواتهم لأوربا . ثم جاء عهد أورخان ابن عثمان ، ففتح مدينة بروسا التي لا تبعد عن شاطئ بحر مرمرة أكثر من ثلاثة عشر ميلا ، حيث يطلون منها على الدولة البيزنطية ، ويعرفون عوامل ضعفها ، والاضطرابات التي تحدث فيها ، وظلت بروسا عاصمة الدولة العثمانية طوال أربعين سنة ابتداء من عام ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م فكان انطلاقهم منها الى أوربا دون التحرق بالقسطنطينية . (٤)

(١) سكود : بلدة صغيرة ، وقصبة قضاء يحمل الاسم نفسه في سنجق أرطغرل من أعمال ولاية خداندكار في آسيا الصغرى ، وهي الى الجنوب من سقاريا بين لفته واسكى شهر ، وعلى مسيرة يوم من كل هذين الموضعين . وتقوم سكود عند مدخل مر جبللى ، غاية في العمق والضيق ، وقد شيدت على مدرج ، والمنطقة التي تحيط بالمدينة جزء من الاقليم الخصب الذى هو مرحلة انتقال بين سهل الأناضول الاوسط في الجنوب والارض التي على جانب المجر الاسفل لنهر سقاريا في الشمال ، وهي مشهورة في التاريخ العثماني بأنها كانت مهد سلطان آل عثمان . (دائرة المعارف الاسلاميية المجلد ١٢ ، ص ٣٨٩) .

(٢) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٠ .

(٣) هسي العالم البيزنطى ، ص ٢١٩ — ٢٢٠ .

(٤) فيليب حتى ، خمسة آلاف سنة في تاريخ الشرق الأدنى ، المجلد الثانى ، ص ١١٠ .

وكانت الطبيعة العسكرية التي طبع عليها العنصر التركي ، هي موضع اتفاق المصادر التاريخية التي تذكر أن العنصر التركي كانت سمته الشدة ، والصبر على تحمل المشاق ، لعراقتهم في البداوة ، وتشعث مواطنهم ، ووعورة المسالك فيها ، ثم ازدادوا بأسا باستسلامهم لحياة الجندية ، وعشقهم لها حتى صارت القوة هي المثل الأعلى لهم . (١) وقد انفرد الشعب التركي بمزايا اختص بها من بين الشعوب ، حيث كان شعبا ناهضا ، متحمسا ، طموحا ، تبدو فيه روح الجهاد لقرب عهده بالفطرة والبساطة في الحياة . (٢) كما أنهم استمدوا هذه الروح العسكرية من بيئتهم الأصلية في سهول آسيا الصغرى . ثم بعد ذلك عمل السلاطين العثمانيون على تعميقها في نفوسهم ، فلازمتهم طوال تاريخهم الحافل عبر القرون التي حملوا فيها السلاح . (٣)

ولقد ذكر المؤرخون الأوروبيون أن أول ما يلفت الأنظار في الأتـــتـــراك العثمانيين هو روح الانضباط ، والتربية العسكرية الصارمة ، ولقد حرصوا على ذلك كل الحرص حتى جعلوا عقوبة الإعدام جزاء من تسول له نفسه ارتكاب جريمة التأخر ، أو العصيان . وقد صارت القوة عندهم هي المعيار

- 
- (١) محمد جميل بيهم ، فلسفة التاريخ العثماني ، ج ٢ ص ١٤٠ .  
(٢) أبو الحسن الندوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ص ١٦٠ - ١٦١ .  
(٣) الشناوي ، أوروبا في مطلع العصور الحديثة ، ج ١ ص ٥٢١ .

الأول لتقوم الفرد ، فبحسب قوته ما ينال من نفوذ ومكانه ، ولا أهمية  
لسن ، ولا نسب ، والفخار كل الفخار لمن يموت في ساحة القتال . (١)

كانت هذه هي صفات العنصر التركي المنتزعة من البيئة الأولى لهم ،  
وقبل أن يكون العثمانيون جيشهم من تلك العناصر وغيرها .

ومما أضاف للدولة العثمانية قوة وزادها هبة ، النظام الجديد الذى  
وضعه أورخان لتكوين جيش جديد على نظام جديد ، هو نظام الانكشارية  
الذى فى ظله أنشئت فرقة قوية من فرق المشاة قامت على عدد من الأطفال  
الصغار من الرعايا المسيحيين . فكان هؤلاء الأولاد الذكور يوضعون  
فى ثكنات ويبرون تربية اسلامية ، ويدربون تدريبا عسكريا جيدا على الحرب  
مشاة ويجيدون استعمال السيف ، والقرص ، ويتحركون فى مجموعات متراصة  
لم يستطع أى عدو أن يمزقها ، أو يشتتها ، دهورا طويلة ، كما كان  
النظام البدنى ، والخلق الذى وضع للانكشارية متينا جدا ، حتى انه  
لم يعرف عن أحد منهم أنه اعتزل ، أو تخلى عن منصبه . (٢)

---

(1) Cohun: L'introduction a l'histoire de l'Asie, pp. 19 - 20.

(٢) أومان ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٤٨ .

ومع هذه القوة البشرية ، والروحية التي امتاز بها ( البني شريه )  
الانكشارية ، فان الدولة كانت تعلم تماما أن القوة الحربية لا تستطيع  
بسط سيطرة الاسلام روحيا ، وماديا ، الا اذا كان لديها من الأسلحة  
ما تقهر به خصوم الاسلام . ومن أجل ذلك يادر العثمانيون في صدر  
دولتهم الى استعمال المعدات الحربية الحديثة مثل استعمال النار ،  
والبارود ، والعناية بالمدافع ، فأصبح في أيديهم أحدث آلات الحرب .<sup>(١)</sup>

والواقع أن العثمانيين قد نجحوا في بناء هذه القوة العسكرية  
( الانكشارية ) حين أقاموها على أساس نظام الاسلام في التربية العسكرية  
وفق منهج مدروس من الاسلام فصارت نموذجا غريبا ، حيث أصبح الجندي  
من هذه الجنود الذين جلبوا من غلمان النصارى لا يعرف له أباً الا السلطان ،  
ولا ديناً الا الاسلام ، ولا كتاباً الا القرآن ، ولا عملاً الا الجهاد ، وأعماله  
كلمة الاسلام ، وقد استمر نظامها على جانب كبير من الكفاية ثلاثة قرون  
قبل أن يتسرب الضعف للدولة العثمانية .<sup>(٢)</sup> ويرجع الفضل في تكوين هذه  
الفرق الى السلطان أورخان — كما سبق القول — حيث وضع خطة جديدة  
لتكوين جيش جديد فأعلن أن للمسيحيين الذين خضعوا للحكم التركي حريسة

---

(١) أبو الحسن الندوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٦٠ —

(٢) أنور الجندي : الاسلام وحركة التاريخ ، ص ٣١٢ ، ٣١٥ ، عبد العزيز  
سليمان نوار ، الشعوب الاسلامية ، ص ٣٢ ، ٣٣ ، فيشر ، تاريخ أوروبا  
العصور الوسطى ، ق ٢ ، ص ٤٤٧ — ٤٤٨ .

العبادة في نظير أن تكون الجزية التي يقدمونها للدولة مجموعة من الأطفال ينشأون تنشئة اسلامية ، ويربون تربية دينية ، يذوقون فيها حلاوة الاسلام ، ويؤمنون به ، ثم ينضمون بعد ذلك الى الحرس الامبراطوري ( البيني شريسة ) المشهورة ، أو يلتحقون بالخدمة المدنية . (١)

ولما كانت فرق الانكشارية هي فرق النصر والمجد للدولة العثمانية فقد لفتت أنظار المؤرخين ، والباحثين من الأوربيين ، وجعلوها موضوع بحوثهم ، واهتمامهم ، فأصدروا عليها أحكاما مختلفة ، منها ما يمدح فيها الاعجاب بشجاعتهم ، وحسن نظامهم ، وطريقة تربيتهم ، ومنها ما يظهر فيه التحامل على هذه الفرق ، ووصفها بالقسوة ، والغلظة ، والبطش بخصوم الدولة في ميادين القتال .

ونذكر على سبيل المثال آراء بعض المؤرخين الأوربيين في تقويم الوسيلة التي اتبعت في تنشئة تلك الفرق ، فيرى المؤرخ الألماني بروكلمان أن تدريبهم كان يلتزم المبادئ الانسانية الى أبعد الحدود على الرغم من صرامته ، ولا غرابة في ذلك فقد كانت الدولة تقصد أن تخلق منهم رجالا شجعاناً لا جبناء . (٢)

---

(١) جون هامرتن ، تاريخ العالم ، المجلد الخامس ، الخبر ١٢ ، ص ٤١٠ .

(٢) بروكلمان ، الأتراك العثمانيون وحضارتهم ، ج ٣ ص ٨٣ .

ولكن المؤرخ الانجليزى فيشر ذكر أن (البنى شرية) الانكشارية  
نشأوا أرقاء ، أو أشباه أرقاء ، متجردين من جميع المؤثرات السلمية  
الانسانية ، التى تهذب الطباع ، محرومين من جميع الصفات المكتسبة  
التي تفتح العقول بعيدين عن جميع المثل العليا التى تحرك الارادة ، ذلك  
أن البنى شرية تعلم أن ينسى أباه ، وأمه ، واخوته ، وأقاربه ، وأن يعيش  
دون أمل ، فالثكنة العسكرية مأواه ، والحرب مهنته ، والقرآن عقيدته  
وما عليه إلا أن يمضى فى قتال الأعداء ، أعداء السلطان ، وأعداء الله  
بروح رهبانية ملؤها حماسة متأججة وتعصب ركيذ . (١)

واننا اذا دققنا النظر فى هذه الآراء نجد أنها كلها تلتقى عند وصفهم  
بالبطولة والشجاعة النادرة ، وأن أول ما يلفت الأنظار فى الأتراك (١) روح  
الانتظام ، والتربية العسكرية الصارمة ، وقد حرصوا على ذلك كل الحرص .  
وكانت الصفات الخلقية للشخص التركى تضاف الى قوة الجيش العثمانى كجموع ،  
فقد كان ممنوعا فى المعسكرات العثمانية الخمر ، والنساء ، والمقامرة ،  
وقالبا ما يقضى الرجال أوقات فراغهم فى الصلاة ، وفوق هذا كله كانت الطاعة  
هى أعظم ما يتحلون به وإيمانهم العميق أنهم انما يقاتلون من أجل الحق ،  
ولتحقيق هدف مقدس للإسلام ، لا وهو الجهاد فى سبيل الله ، مما شجّع

---

(١) فيشر ، تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ق ٢ ، ص ٤١ .

(1) Cahun: op. cit, p. 60.

الرجال على أن لا يخشوا الموت الذى كان يمنحهم تاج الشهادة فى سبيل الله ،  
والفردوس الدائم . (١)

وهناك عامل آخر له أهميته العظمى فى المقومات العسكرية لجهـاد  
العثمانيين ، وهو وجود عدد كبير من الشخصيات ذات القدرات المتفوقة  
فى مجال القيادة العسكرية ، والحكمة الواضحة فى النواحي الادارية ، فان  
قرونا ثلاثة فى تاريخ العثمانيين قد ظهرت فيها عبقریات عثمانية هى التى خلدت  
هذه الدولة على صفحات التاريخ . فقد أظهر عثمان مقدرة فائقة فى وضع  
النظم الادارية لامارته بحيث قطع العثمانيون — على عهده — شوطا بعيدا  
فى طريق التحول من نظام القبيلة المتجولة الى نظام الادارة المستقرة مما  
ساعدها على توطيد مركزها ، وتطويرها تطورا سريعا الى دولة كبرى ، واعدادها  
للدور الضخم الذى قامت به بعد ذلك . (٢) ويمكن أن ننسب أول فضل فى  
تأسيس الامبراطورية العثمانية الى صفات السلاطين الشخصية ، فقد توالى  
تسعة من السلاطين فى فترة دامت مائتين وخمسا وستين سنة من بداية الدولة  
العثمانية الى موت سليمان القانونى — فكانوا سلسلة فذة من الأمراء  
المحاربين الجادين ، الذين فرضوا على رعاياهم الطاعة ، وألوا قلوب

---

(1) Atiya: The Crusade in the later Middle Ages, pp. 448-449.

(٢) الشناوى ، أوروبا فى المصور الحديثة ، ص ٥٢٢ — ٥٢٣ .

(١)  
أعدائهم بالرعب والفرع .

والسلطان أورخان الذى سن للدولة قوانين لم تكن موجودة من قبل ،  
ورسم لها الطريق السوى الذى ضمن لها حب الرعية ، وتعلق خصومها  
واعجابهم بها ، كما نظم أقوى جيش فى عصره ، على أسس تضمن ولاء  
الجند للدولة وتجعلهم يذلون حياتهم كلها فداء للسلطان ودولته فكانت  
فرق الانكشارية — كما سبق القول — هى درع الدولة الذى يحميها ويحقق  
لها النصر فى كل ميدان ، كما كانت مبادئ هذه الفرق هى رفع راية  
الاسلام ونشره بين مسيحي أوروبا بالمثل والسلوك الجاد وحسن المعاملة  
حيث أنه لم يعارضهم فى إقامة شعائرتهم الدينية . (٢) ووطد أورخان دعائم  
العثمانيين فى غاليلولى أول مدينة عثمانية فى قارة أوروبا المسيحية ، واتخذ  
منها مطلقا للفتح فى أوروبا ، بعد أن كانت حروب الدولة السابقة داخل  
شبه جزيرة آسيا الصغرى ، وبذلك بدأت الفتوحات الاسلامية فى القارة  
الأوربية ضد الدولة البيزنطية على الأرض الأوربية المسيحية . (٣)

---

(١) ادوارد جييون ، اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ، ج ٣ ، ص

٢٧٥ — ٢٧٦ .

(٢) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٤٣ .

(٣) البكرى ، المنح ، مخطوط ، ورقه ٣ ،

S.Lane-Pool: Turkey, p. 34.



وكذلك كان من أعلام هذه الدولة العثمانية السلطان مراد الأول الذى عرف عنه ايمانه العميق وشدة تحمسه لنشر الدين الاسلامى فى أنحاء أوربا المسيحية ، وقد اشتهر بصوته الجمهورى الذى كان يحس به جنده فى ساحات القتال ويدعوهم له باسم الله سبحانه وتعالى ، وباسم الاسلام ، والجهاد فى سبيله ، وكانت تهليلاته هذه تملأ نفوس جنوده بالحماس وتدفعهم الى استرخاض الأنفس وما يملكونه فى سبيل الله ، حيث كان يطمح فى القضاء نهائيا على سيطرة الدولة البيزنطية ، فهو فاتح أدرنه المدينة الثانية فى الدولة البيزنطية ، كما تشهد له معركة قوصوه على ربح الجهاد فى سبيل الله ، ونشر دينه الخيف . (١)

فاذا جاوزنا السلطان مراد الأول الى السلطان بايزيد الأول نجده قد وطد مركز العثمانيين فى البلقان . (٢) وكان رحب الصدر ، كريم الخلق مع رعاياه المسيحيين ، وسمح لهم بالتردد على مجلسه فى حرية كاملة مما جعلهم يألفونه ألفة تامة . (٣) وعرفت شجاعته ، وخبرته فى القتال حينما تجلت شجاعته هذه فى فتح الإمارات التركية فى آسيا الصغرى ، وفتح

---

(1) The Cambridge History of Islam, I. The Central Islamic Land, pp. 275-276.

(2) Vasiliev: History of the Byzantine Empire, p. 629.

(٣) توماس أرنولد ، الدعوة الى الاسلام ، ص ١٧٣ .

(١) بلغاريا كلها سنة ٧٩٦ هـ / ١٣٩٣ م . ومن بعدها نجده يحقق نصرا مؤزرا في موقعة نيقوبوليس ذات الشهرة الكبرى في المواقع الحربية بين البيزنطيين ، والعثمانيين سنة ٧٩٩ هـ / ١٣٩٦ م . ويصفه ابن حجر المسقلائي بأنه " أعظم ملوك العالم " كان مرهوب الجانب ، يحب العلم والعلماء ، ويقدر كل من كان له المام بعلوم القرآن ، (٢) وكان لا يمكن أحدا من التعرض لمال أحد من الرعية حيا أو ميتا ، وكان الأمن فاشيا في بلاده بحيث يمر الرجل بالحمل مطروحا بالبضاعة فلا يتعرض له أحد ، وكان يشترط على كل من يخدمه أن لا يكذب ولا يخون . (٣)

ثم يأتي دور السلطان محمد الأول المسمى محمد جلبي ، واستطاع هذا السلطان بفضل صبره وجلده أن يعيد السيادة العثمانية على الأقاليم التي استغلت فرصة الغزو المغولي فخرجت عن طاعة الدولة العثمانية . وهو الذي واصل جهوده العظيمة لاتمام بناء دار للسفن في غاليبولي حتى يستطيع مواجهة أعداء الدولة بحريا اذا لزم الأمر . (٤) وأطال السلطان محمد الأول في عمر الدولة العثمانية حتى أتى السلطان مراد الثاني الذي استطاع القضاء على الفتن الداخلية في الدولة العثمانية ، وكذلك حصار القسطنطينية

---

(1) Ostrogorsky: History of the Byzantine state, p. 489.

(٢) ابن حجر المسقلائي ، أبناء الفخر بأبناء العمر ، ج ٢ ، ص ٢٢٦ ،  
Atiya: op. cit, p. 449.

(٣) ابن حجر ، أبناء الفخر ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ .

(٤) كمال الدسوقي ، الدولة العثمانية ، ص ٢٨ .

(١) محاولا فتحها ، وهو فاتح مدينة سالونيك ، والسلطان مراد الثانى هو المقاتل الشجاع الذى قاتل هونياد المجرى وانتصر عليه فى موقعة فارنا ( وارنسه ) الشهيرة سنة ٨٤٨ هـ / سنة ١٤٤٤ م . (٢)

ثم جاء السلطان محمد الثانى فاتح القسطنطينية الذى كان يملك شخصية فذة عظيمة ، فقد تفوق على كل أقرانه منذ حداثة وهو يتلقى العلم فى مدرسة الأمراء ، وكان مغرما بتعليم اللغات ، كما كان شاعرا مجيدا ، جمع حوله كبار الشعراء من جميع أنحاء العالم الاسلامى . (٣) وكان يحرص على النظام والمواعيد ، فلم يكن يسكت على أى إهمال ، أو تأخير فى أى عمل من الأعمال ، المدنية ، أو العسكرية ، على حد سواء ، وقد قضى السلطان محمد الثانى السنة الأولى من حكمه فى إعادة تنظيم دواوين الحكومة ، ومضالحتها المختلفة ، وخاصة النواحي المالية ، والتى عمد الى تقليل البذخ والانفاق فيها ، واهتم بالسجلات الخاصة بالجيش ، وزاد رواتب الجنود ، ووجه عنايته أيضا الى حكام الأقاليم ، فرفع منهم البعض الى أعلى المناصب ، وعاقب المقصرين ، واستبدل البعض منهم ، وقد تم كل ذلك بروح من الدبلوماسية والقدالة ، مما جعل الجميع يشنون على كفاءته ، ومقدرته . (٤)

---

(1) Stavrianos: The Balkans Since 1453, p. 51.

(٢) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥٧ .

(3) Alderson: The structure of the Ottoman Dynasty, p.123  
Lane-Pool: Turkey, p. 101.

(٤) كمال الدسوقي ، الدولة العثمانية ، ص ٣١ ،  
Alderson, op. cit. p. 123.

هؤلاء كلهم ظهروا بمواهبهم العسكرية التي ورثوها بالفطرة عن آبائهم وأجدادهم وقد لازمتهم هذه الصفة في كل أدوار حياتهم . ومن أجل ذلك كان السلاطين العثمانيون حريصين على أن يقودوا الجيوش بأنفسهم ، ويديروا دفعة المحارك بمهارة فائقة في كل معركة خاضوها مع خصومهم ، خصوصاً الاسلام الذين أوقفوا أنفسهم لنشره وإعلاء كلمته ، حيث كان السلاطين حريصين على تدعيم السلطة الدينية سلطة شيخ الاسلام كما كانت الدولة تهتم اهتماماً بالغاً بنشر التهيئة الروحية بين الجنود قبل خوض المعركة .<sup>(١)</sup>

أما الدوافع الدينية فتتمثل في اعتناق العثمانيين للاسلام وتحمسهم لنشره في كل مكان ، وفي التربية الدينية التي طبعتهم بالطابع الاسلامي الصحيح<sup>(٢)</sup> وأيضاً في ظهور الحماس الديني بين أفراد الجيش العثماني بشكل ملحوظ . فنحن نقرأ عن العثمانيين انهم رضوا أمام عيونهم من أول الأمر اقتفاء أثر الخلفاء الراشدين في التقوى والقناعة والاحسان ، ولم تكن هذه الصفات خاصة بواحد من السلاطين العثمانيين بل تداولها السلاطين الأول واحد بعد واحد .

- 
- (١) الشناوي ، أوروبا في مطلع المصور الحديثة ، ج ١ ، ص ٥٤١-٥٤٣ .  
(٢) كمال الدسوقي ، الدولة العثمانية ، ص ١٤ - ١٥ ، محمود محمد زيادة : دراسات في التاريخ الاسلامي ، ص ٥٧٠ - ٥٧١ .

أما عن أسلوب السلطان عثمان في جمع القلوب حوله فإنه عمل على تقريب العلماء والأتقياء وأنشأ لهم مدارس ورتب لهم لقاءات يجتمعون فيها ، وبلغ من حبه ، واحترامه للعلماء ، أن حرص على مصاهرتهم فتزوج من ابنة ( الشيخ اده بالي ) تبركا بتقواه . (١) أما حياة عثمان الشخصية فكان متقشفا ، زاهدا ، منصرفا عن متاع الدنيا ، عزوفا عن جمع المال وعندما مات لم يخلف إلا شعرا مزركشا ، وعمامة ، وضع قطع من الحرير ، وبعض الخيول ، وقطعا من النعم . (٢)

فإذا جاوزنا السلطان عثمان الذي ترك وصيته لابنه أورخان ينصحه فيها بالحرص على الدين ، واحترام العلماء ، والشفقة على الرعية ، ومداومة الجهاد ، ف نجد أن أورخان يقوم بتنفيذ هذه الوصية تنفيذا دقيقا حتى اشتهر بالتقوى والاحسان (٣) .

ودرج السلاطين العثمانيون على سنة آبائهم من الحرص على الناحية

---

(١) محمود شيت خطاب ، مقال في مجلة رابطة العالم الاسلامي ، محمد الفاتح ، رمضان سنة ١٣٩٧ هـ ، العدد التاسع ، السنة ١٥ ، ص ١٩٠ .

(٢) بيهم ، فلسفة التاريخ ، ص ١٣١ ، فيشر ، أوربا العصور الوسطى ، ق ٢ ، ص ٤٤٦ .

(٣) تاريخ جودت باشا ، ج ١ ، ص ٣٩ .

الدينية ، وإذا فرط واحد منهم في المظهر الديني فإن العلماء كانوا ينبهون السلطان كما حدث مع السلطان مراد الأول الذي لم يكن حريصا على صلاة الجماعة ورفض القاضي شهادته لأنه لا يصلح جماعة مما حمل السلطان مراد الأول على أن ينشئ في مدينة أدرنه المسجد المعروف باسمه تكفيرا عن ذنوبه . (١) وظلت روح الاسلام مهيمنة على تصرف العثمانيين حتى بعد أن تمكنت منهم روح الحضارة ، وأخذتهم طبيعة الملك .

وتعتبر سياسة التسامح الديني التي اتبعتها العثمانيون من مقومات حركة الجهاد العثماني ضد البيزنطيين ، فمنذ الأيام الأولى التي قام العثمانيون فيها بتوسيع مملكتهم في آسيا الصغرى توطدت العلاقات بين الحكومة الاسلامية والكنيسة المسيحية على أساس ثابت وحاول العثمانيون استمالة المسيحيين بعقد أواصر المصاهرة معهم ، فقد اختار عثمان لنفسه زوجة مسيحية من قيليقياء ، كما زوج ابنه أورخان من فتاة مسيحية كما اتخذ ميخائيل ذلك اللحية نائبا له في ميادين الحروب . (٢) وكانت الدولة العثمانية تعامل المسيحيين كأغز أبنائها المسلمين . ولم تميز بين هؤلاء وبين المسلمين ،

---

(1) Jouannin, Vangaver: L'univers Turquie, pp. 32-38.

(٢) فيشر ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ق ٢ ص ٤٤٦ .

وسلكت مع الجميع طريق المساواة وعينت الكثير من المسيحيين فى المناصب السامية والوظائف العالية واثمنتهم على أمورهم ، وجعلتهم محلاً لثقتهم . (١)

وهذا اثمرت سياسة التسامح ثمرتها المرجوة فى تعلق الرعايا المسيحيين بالدولة العثمانية ، وصاروا يفضلون عيشهم فى ظل العثمانيين على بقائهم تحت سلطان الدولة البيزنطية ، ويتضح ذلك من العبارة التى تناقلها المسيحيون عن لوكاس ناتوراس الزعيم الدينى البيزنطى حيث قال " انه لخير لنا أن نرى الحماة التركية فى مدينتنا ( القسطنطينية ) من أن نرى فيها تساج الباطنية " . (٢)

وحينما تحلو مكانة رجال الدين فى أى دولة وتكون لهم الحظوة عندا لحاكبين دل ذلك على رغبة الملوك والسلاطين فى سيطرة الشريعة الاسلامية ، والعمل بكتاب الله وسنة رسوله الكريم وخاصة فى الدول التى رفعت راية الجهاد لتكون كلمة الله هى العليا فى كل مكان . وكان هذا الاتجاه معروفاً فى الدولة العثمانية عند قيامها حيث كان أمل العثمانيين أن يقوموا بالدور الذى قام به العرب فى صدر الاسلام . (٣)

- 
- (١) محمود زيادة ، دراسات فى التاريخ الاسلامى ، ص ٥٩٦ .  
(٢) نورمان بينز ، الامبراطورية البيزنطية ، ملحق ٢ ، ص ٣٩١-٣٩٢ ، رزق الله منقريوس الصرفى ، تاريخ دول الاسلام ، ص ١٠٧ .

Mijattovich: The Emperor of the Greeks. p. 45 FF; The Cam. Hist. of Islam, I, p. 288 FF.

- (٣) بيهيم ، فلسفة التاريخ العثمانى ، ص ١١٩ ، فائق الصواف ، العلاقات بين الدولة العثمانية واقليم الحجاز ، ص ١٩ - ٢٠ .

ومن أجل ذلك حفظوا لرجال الدين مكانتهم من أول الأمر حيث كانت السلطة العثمانية العليا موزعة بين طبقتين هما الطبقة العسكرية ، وعلى رأسها السلطان وفي يده السلطة التنفيذية ، فوق السلطة العسكرية ، أما الطبقة الثانية فهي طبقة هيئة كبار العلماء وعلى رأسها مفتى الديار وهو شيخ الاسلام ، فكانت لكلمة رجال الدين أهمية كبرى ، وقوة تتلشى أمامها كل الاعتبارات ، كما كانت أحكامهم محل اعتبار كبير من الحاكمين . (١)

وهناك أمثلة واضحة من تصرفات السلطان محمد الفاتح ومعاملته لرجال الدين في دولته ما يطلعنا على المكانة السامية التي تبوأها رجال الدين في عهد الدولة العثمانية حيث كان السلطان محمد الفاتح يقف صافيا متخشعا أمام العلماء ، وأهل الورع ، والتقى ، ويستشيرهم في أخطر أموره ، وينصت الى نصائحهم ، ويتقبلها بقبول حسن ، وينفذ تعاليمهم نصا وروحا لأنهم كانوا يصحبونه في غزواته وحروبه ، حيث كانوا في كل ميدان من ميادين القتال في طليعة الجيش الى جانب السلطان يثيرون الحماسة الدينية ، ويتلون على الجنود آيات الجهاد والنصر ، ولعل ما زاد في همتهم وحمل السلاطين على احترامهم ، وتقديرهم ، أنهم لم يقفوا عند صناعة الكلام يأمرن بالقتال ولا يقاتلون ، بل كانوا يقاتلون في المعركة بجانب الجنود حتى يضربوا لهم أروع الأمثال في الشجاعة ، والاقدام . (٢)

---

(١) محمد عبد المنعم الراقدة ، الفزور العثماني لمصر ونتائج على الوطن

العرسى ، ص ٢٣ - ٢٤ ، ص ٤٤ - ٤٥

(٢) الشناري ، نفس المرجع ، ص ٥٤١ - ٥٤٢ - ٥٤٣



# الفصل الأول

## استيلاء العثمانيين على غاليبولى وبداية التوسع العثماني في البلقان

- عوامل اضمحلال الدولة البيزنطية عند منتصف القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى .
- دور مدينة غاليبولى في جهاد العثمانيين ضد البيزنطيين .
- استعانة الأمبراطور البيزنطى حنا الخامس بالغرب الأوروبى ضد العثمانيين .

كان استيلاء العثمانيين على غالينولى ومداية التوسع العثمانى فى البلقان نتيجة لاضمحلال الدولة البيزنطية عند منتصف القرن الثامن الهجرى ( الرابع عشر الميلادى ) ، ولدراسة هذا الموضوع لابد من القاء الضوء على عوامل هذا الاضمحلال سواء الخارجية منها أو الداخلية ، أما عن العوامل الداخلية فقد كانت المشكلة الكبرى التى واجهت الدولة البيزنطية ابتداءً من القرن الخامس الهجرى ( الحادى عشر الميلادى ) هى تعدد الأجناس مع العنصر اليونانى ، ولا يخفى أن تعدد الأجناس فى الإمبراطورية البيزنطية سواء على الصعيد الحسكرى أو الصعيد المدنى أدى الى مشكلة اجتماعية لها خطورتها من حيث الاختلاف فى العادات والتقاليد واللغات والآمال . فلم تكن هناك آمال مشتركة ، ولا مصير مشترك ، ويمكننا أن ندرك خطورة الوضع فى الدولة البيزنطية اذا تصورنا وجود عدد من الأجناس فى أوربا وهم اليونانيون والسلاف والألبانيون ، والولاقي ، ومثل هذا العدد من جنسيات أخرى فى القسم الآسيوى داخل الإمبراطورية ، وهم اللاتين واليهود والمسلمون والسريمان والأرمن وهؤلاء يقيمون فى الحاصصة والأناضول . (١)

وكان من عوامل الاضمحلال من الناحية الداخلية أيضا قوة الارستقراطية المدنية . فقد جاءت عن طريق تركيز قبضة الامبراطورية الادارية والمالية

---

(1) Vryonis, Byzantium: The Social Basis of Decline in the Eleventh Century, Vol. II, p. 167.

فى العاصمة نفسها ، وجعل الادارة المركزية للجيش فى القسطنطينية .  
وهكذا يستطيع المرء أن يتبين نتيجة هذا التباين بين الارستقراطية المدنية  
المركزية ، والارستقراطية العسكرية فى الأقاليم . وأنه كان سببا فى اندلاع  
الحرب الأهلية ، حيث بدأ الفريقان الصراع على السلطة ، وأخذ العداء  
يكون طابعا رئيسيا بين الفريقين<sup>(١)</sup> . وكانت الامبراطورية البيزنطية تعاني  
من أمراض الشيخوخة ، وكان أخطر هذه الأمراض هو الحرب الأهلية ، والصراع  
حول العرش بين زعماء غير أكفاء لمواجهة الخطر الحقيقى الذى يواجهه  
الامبراطورية ، وكان وقد هذه الحرب شعبا كان يفقد الثقة فى نفسه ،  
وفى زعمائه سنة بعد أخرى . (٢)

وزاد الموقف سوءا بالنسبة للامبراطورية البيزنطية أن وفاة الامبراطور  
أندرونيق الثالث سنة ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م أعقبتها حرب أهلية أثناء وصاية  
آنا ( Anna ) أميرة سافوى التى أشرفت على الامبراطور حنا الخامس  
باليولوفوس الذى لم يكن قد بلغ سن الرشد ، فقام حنا كيتاكوزين وأعلن  
نفسه امبراطورا سنة ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م ، ولست سنوات أصبح العالم  
البيزنطى مقسما بين جماعتين ، الأولى ، وهى الجماعة الارستقراطية  
وتناصر أسرة كيتاكوزين ، والثانية ، جماعة العامة وتناصر أسرة باليولوفوس ،

---

(1) Vryonis: op. cit., pp. 163-165; Diehl: History of the  
Byzantine Empire, p. 564.

(٢) محمود محمد زيادة ، دراسات فى التاريخ الاسلامى ، ص ٥٩٦ .

وفي خلال هذه الحرب الأهلية الداخلية ، لم يتردد المتنازعون على العرش عن الاستماعة بالعثمانيين ، مما أعطى الأتراك العثمانيين سلاحا خطيرا في تقدمهم الى الدولة البيزنطية والتدخل في شئونها الداخلية . ومن جهة أخرى مكنت هذه الحرب الأهلية البيزنطية لستيفن دوشان ( ٧٣٤ هـ — ٧٥٦ هـ / ١٣٣٣ م — ١٣٥٥ م ) ملك الصرب من انتهاز الفرصة ، والاستيلاء على ألبانيا وأبيروس وتساليا ، فضلا عن اتخاذه لقب امبراطور من جهة أخرى . (١)

وفي أثناء عهد حنا كيتاكوزين ( ٧٤٨ هـ — ٧٥٦ هـ / ١٣٤٧ م — ١٣٥٥ م ) عانت الامبراطورية البيزنطية الكثير من مؤامرات حنا باليولوغوس الخامس ، وما أدت اليه هذه المؤامرات من اضطرابات داخلية ، فقد زاد من عوامل هذه الفوضى والاضطرابات الداخلية في الامبراطورية البيزنطية اجتدام التنافس بين جنوه والبندقية في أنحاء الامبراطورية داخل أراضيها الى أن انتهى الأمر بهزيمة البندقية سنة ٧٥٤ هـ / ١٣٥٣ م . (٢) هذا مما أدى في النهاية الى طرد حنا كيتاكوزين من الحكم وتولى الامبراطورية أخيرا الامبراطور الشرعى حنا باليولوغوس ، ولكن كانت الامبراطورية قد انهارت من جراء هذه الحروب الداخلية الدامية بين أفراد الحزبين ( كيتاكوزين — وباليولوغوس ) (٣)

---

(١) Miller: The Balkans, pp. 274-278.

(٢) Cam. Med. Hist. Vol. 4, p. 666.

(٣) أومان ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٥٠ — ٢٥١ ، نورمان بيمنز ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٣٤٨ — ٣٤٩ ، سعيد عبدالفتاح عاشور ، أوروبا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٦٥١ .

ونتيجة لذلك كانت الدولة البيزنطية تعاني من الارتباك المالي ففى النصف الأول من القرن الثامن الهجرى ( الرابع عشر الميلادى ) . فبالرغم من النظم المالية والضرائب التى فرضتها الدولة على رعاياها ، فان خزانة الدولة أصبحت تعاني من نقص الدخل ، ويرجع ذلك كما ذكرنا الى ما سببته الحروب الأهلية الداخلية من خراب . كما أن الرسوم الجمركية قد تضائلت بسبب استئثار البنادقة والجنسوية بقسط كبير من التجارة الخارجية واحتكارهم لها وحصولهم على امتيازات كبيرة فى موانئ ومدن الامبراطورية ، ولذلك اضطرت الحكومة البيزنطية لخفض قيمة النقود الذهبى البيزنطى ، وعمد الأباطرة البيزنطيون للاستدانة ، حتى أنهم رهنوا جواهر التاج . ونضبت الموارد ، وأصبحت خزانة الدولة خاوية وانتشرت المجاعة بين قطاع كبير من المواطنين البيزنطيين . ( ١ )

ومع مرور الأيام لم يتحسن الحال ، بل زادت الأزمة تعقيدا ، واضطرب الامبراطور لفرض ضرائب جديدة على المواطنين القادرين وغير القادرين . لكن السنوات المجاف التى استمرت فيها الحرب الأهلية ، أودت هى الأخرى بالكثير من مصادر الدخل الخاصة ، مما جعل طائفة الملاك أيضا يتقاعدون عن الاسهام بأنصبة مالية لدعم النظام المالى المتدهور ، وزادت هذه الضرائب عدد المتدمرين فى الامبراطورية البيزنطية أيضا . ( ٢ )

---

( ١ ) عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٢١ ، نبیه عاقل ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٣٣٦ .

( ٢ ) الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٥٦٦ ، Ostrogorsky: op. cit., p. 304.

وقد صاحب التدهور المالى تدهور آخر ظهر أثره فى قوة الجيش البيزنطى وقدرته ، وأصبح من المتعذر فرض الطاعة والنظام على عناصره . بشكل عام أضى الجيش البيزنطى أضعف من أن يستطيع القيام بمسئولية الدفاع عن الامبراطورية البيزنطية .

وكانت الامبراطورية البيزنطية قد استخدمت فئات من الجنود المرتزقة لدعم موقفها المسكرى فكانت بذلك كالمستجير من الرضاء بالنار ، حيث كان من بين هذه الفئات ، العصبة القطلانية الكبرى ، والتي بلغ عدد أفرادها حوالى ثمانية آلاف جندى مرتزق . وتكونت هذه العصبة من جماعة النبلاء القطلانيين الذين أخسنى عليهم الدهر والفقر ، حيث أبحروا من مسينيا فى جزيرة صقلية الى القسطنطينية فى سنة ٧٠٠ هـ / سنة ١٣٠٠ م ، وكانوا على نصيب موفور من الشراسة والميل الى التخريب والخروج على النظام وكانوا معمولاً هداماً أكثر منهم أداة تدعيم . (١)

وتزعم هذه العصبة فى العاصمة البيزنطية قرصان ألماني اسمه روجردى فلور ، ( Roger de flor ) وقد منحت الدولة البيزنطية روجر هذا لقب ( دوق أعظم ) واستغل روجر وجماعته هذا التكريم فعاثوا فى القسطنطينية فساداً ، وارتكبوا المذابح الجماعية ونشروا الرعب بين الأهالى البيزنطيين ،

---

(١) فيشر ، تاريخ أوروبا المصور الوسطى ، ق ٢ ، ص ٤٤٢ ، الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٥٦٧ ، عمر توفيق ، نفس المرجع ، ص ٢٢١ ، نبيه عاقل ، نفس المرجع ، ص ٣٣٩ ، عبد القادر أحمد اليوسف ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٧٢ .

واحتلوا شبه جزيرة غاليلوى ، وأدركوا أن لا حرج عليهم فى دولة برج بيها  
الضعف أن ينشروا فيها الفساد ، وأن يتطاولوا على حكومتها وامبراطورها  
أعظم تطاول . (١)

ومن ناحية أخرى كانت الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية فى القسطنطينية قد  
فقدت سيطرتها على العالم المسيحى الشرقى فى البلقان . ولم تستطع هذه  
الكنيسة أن تحافظ على تماسك العناصر المسيحية الخاضعة لها ، إذ كان  
الفساد قد تطرق اليها ، وانعكس هذا الفساد على سلوك رجالها .  
وهددت الكنيسة جهودها فى الإصلاح فى مناقشات دينية عقيمة ، زادت من  
الفرقة والنفور بين رعاياها . فكان من نتيجة ذلك ضعف الوازع الدينى فى نفوس  
الشعوب البلقانية ، وعدم القيام بتعبئة روحية بين الجماهير المسيحية ، مما  
أدى الى الانهيار العسكرى الكامل عند وقوع الاشتباك مع العثمانيين المسلمين .  
وكان الخلاف الدينى والمذهبى بين المسيحيين الأرثوذكس الشرقيين ، وبين  
المسيحيين الكاثوليك الغربيين وهم رعايا كنيسة روما ، هذا الخلاف الدينى  
والمذهبى الذى استحكمت حلقاته — ترك آثارا عميقة فى نفوس الفريقين وعلى  
الأخص المسيحيين الشرقيين الأرثوذكس ، كان من أكبر العوامل التى ساعدت  
العثمانيين فى زحفهم على البلقان وفتحها .

---

(١) فيشر ، نفس المرجع ، ص ٤٤٣ ، نبيه عاقل ، نفس المرجع ، ص ٣٣٩ ،  
عبد القادر اليوسف ، نفس المرجع ، ص ١٧٢ / ١٧٣ .

ومهذا يتبين لنا أن الحروب الأهلية كانت من أهم العوامل التي ساعدت الأتراك على فتح الأناضول بسرعة وسهولة ، وذلك لأن كلا الفريقين ، الأرستقراطية المدنية ، والأرستقراطية العسكرية قد استعان بالأتراك لمعاونتهم العسكرية خلال الحروب الأهلية والتي وجد الأتراك العثمانيون فيها طريقا لهم الى بحرايجهم ، وإلى كثير من المدن الحصينة وتمكنوا من الاستيلاء عليها . (١)

وسبب ذلك أن الدعامتين الأساسيتين اللتين قامت عليهما السلطة فى الدولة البيزنطية لم تكونا سوى الشراء المادى والنظام الإدارى ، كما عانى النظام الإدارى أيضا داخل الدولة من فساد استشرى فى كل القطاعات فانخفضت قيمة العملة ، وجفت ينابيع الموارد المالية ، وتقلصت سلطة الإداريين فى الدولة البيزنطية حتى أصبحوا مجرد أسماء لا تتمتع بأى صلاحيات إدارية على الإطلاق . ومن الغريب أن هؤلاء الإداريين الذين عملوا تحت أباطرة بيزنطة كانوا حجر الزاوية فى النظام الإدارى فى الدولة البيزنطية . وتحولت المكاتب والمصالح والإدارات الى أسماء فارغة من أى معنى وضاعت وسط زحام الفساد الإدارى كل الصلاحيات التى كان يتمتع بها هؤلاء القادة الإداريون . (٢)

---

(1) Vryonis: Byzantium. p. 174.

(2) Ostrogorsky: History of the Byzantine state, p. 532.



ومجمل القول أن تردى الأوضاع الاقتصادية والانحلال والتفكك الذى ساد أجهزة ودوائر الحكومة أودى بالوجود الذاتى للأمبراطورية البيزنطية ، وهز جذورها من الأعماق واستمر هذا الانهيار والتفكك حتى كانت نهاية الدولة البيزنطية . ولم يكن تاريخ الدولة البيزنطية فى القرن الثامن الهجرى ( الرابع عشر الميلادى ) سوى تأريخ لبداية النهاية للدولة البيزنطية .

أما عن العوامل الخارجية لاضمحلال الدولة البيزنطية عند منتصف القرن الثامن الهجرى ، فمنذ أن وصلت الفتوحات الاسلامية الى حدود الدولة البيزنطية والعلاقات بين المسلمين وبين الدولة البيزنطية فى شد وجذب بين غارات وعداوات مستمرة وترصد كل من الدولتين للأخرى . وأبرز ما دونته التاريخ من العلاقات السيئة بين المسلمين والدولة البيزنطية ، يرى واضحا فى العصر العباسى . فقد كانت الحدود بين العباسيين ، والبيزنطيين ميدانا لنشاط حربى كان محدودا ، ولكنه يكاد يكون متصلا . فلم يكن كشاط الأمويين ، ويرجع ذلك الى أن هدف الأمويين كان التوسع ، بل وفتح القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية والقضاء عليها لىتم بذلك احتلال وفتح بلاد الروم ، كما تم من قبل فتح بلاد فارس . لكن العباسيين لم يسيروا على هذا النمط ، وإنما جعلوا نشاطهم الحربى عبارة عن غارات ، الغرض منها اظهار القوة وارهاب العدو ، والرد على ما قد يقوم به من نشاط مماثل ، وقد اتخذت هذه الاغارات شكلا منتظما وكانت تسمى الصوائف والشواتى . (١)

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ١٣٧ هـ ، سنة ١٣٩ هـ ، ولتفصيل هذه النقطة ارجع الى فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ، حيث احتوى هذا المرجع على معلومات هامة قيمة .

وفي القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) أخذ الموقف بين المسلمين والمسيحيين البيزنطيين يتبدل نتيجة لظهور قوة الأتراك السلاجقة ، والذين يعتبر ظهورهم فاتحة عصر جديد لا في التاريخ الاسلامي فحسب بل في تاريخ العلاقات بين المسلمين والمسيحيين بوجه عام . (١)

والسلاجقة فرع من الأتراك الغز ، ظلوا على بساطتهم الأولى ، دون أن تفسدهم حياة الترف والمدنية . حتى كان اعتناقهم الاسلام في وقت متأخر وأعطى حماسهم للاسلام قوة جديدة للعالم الاسلامي . في وقت تفكك فيسه العالم الاسلامي واشتدت فيه الخلافات السياسية والمذهبية بين الدول التي انقسم اليها . (٢)

وقد تمكن السلاجقة الأتراك قبل منتصف القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) من فتح خراسان وايران . ودخل زعيمهم طغرل بك بغداد عام ١٠٥٥ م فرحب به الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، واستعان به ضد أعدائه . وقد أسدى السلاجقة للدولة العباسية خدمات جمة جليلة ، استطاع طغرل بك من خلالها إخضاع الموصل وديار بكر وغيرها من الأطراف الغربية للدولة . (٣)

---

(1) Cam. Med. Hist, Vol. 4, p. 299.

(2) Cam. Med. Hist, Vol. 5, pp. 259-260.

(٣) كمال الدسوقي ، الدولة العثمانية ، ص ٩ .

وقد حفظ لنا التاريخ ثلاثة من أعظم ملوك السلاجقة المسلمين المجاهدين  
فى العصر السلجوقى الأول . هم طغرل بك ( ت ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م ) ،  
والب أرسلان ( ٤٥٥ - ٤٦٥ هـ / ١٠٦٣ - ١٠٧٢ م ) ، وملكشاه ( ٤٦٥ -  
٤٨٥ هـ / ١٠٧٢ - ١٠٩٢ م ) .

وفى خلال الخمسين سنة التى حكم فيها هؤلاء الثلاثة الصالحى ، ساهم  
أمور دولتهم وزير مشهور هو نظام الملك الذى كان عهده أزهى عصور التاريخ  
السلجوقى ، وأكثرها ازدهارا . (١)

ومعد وفاة طغرل بك دخلت سياسة السلاجقة تجاه الدولة البيزنطية  
دورا جديدا بعد أن خلف طغرل خليفته الب أرسلان (٢) ( ٤٥٥ هـ - ٤٦٥ هـ  
/ ١٠٦٣ م - ١٠٧٢ م ) الذى حكم فترة قصيرة ولكنها مليئة بالحوادث الهامة .  
وذلك أن السلاجقة الأتراك كانوا سنيين متحمسين ، فتمصبوا لنصرة الخليفة  
العباسى السنى ضد الفاطميين فى مصر والشام . (٣)

---

(1) Diehl, Marçais, Le Mond Oriental de 395a1081, p.389.

(٢) الب أرسلان : لقب تركى معناه الأسد الشجاع ، وقد اتخذ الب أرسلان  
اسم محمد عند اعتناقه الاسلام ، ثم أضفى عليه الخليفة القائم لقب

(عز الدين) — أنظر : (3) Gibb: The Damascus chronicle of the Crusader,  
pp. 19 - 20.

(١) ثم زاد ألب أرسلان على ذلك اخضاع الثورات التي قامت في بلاد فارس ، على أن شهرة ألب أرسلان في التاريخ نبعت بوجه خاص من موقفه من الدولة البيزنطية حيث أصبح السلاجقة الأتراك عند منتصف القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) عاملاً أساسياً موجهاً للتاريخ البيزنطي نتيجة تهديدهم لحدود الدولة في آسيا الصغرى والقوقاز . (٢) وذلك بحكم تطلّصهم ، وطموحهم الى توسيع دائرة أملاكهم على حساب خصومهم في الدين . وقام ألب أرسلان بالإغارة على أطراف الدولة البيزنطية سنة ٤٥٧ هـ / سنة ١٠٦٥ م حيث فتح آني ، ثم قومه سيوها الماصتان القديمتان لأرمينية ، والمركزان الأساسيان لقوة بيزنطة ونفوذها في الأقاليم الشمالية الشرقية من آسيا الصغرى . (٣) ومنذ ذلك الوقت أصبح الطريق مفتوحاً أمام السلاجقة الأتراك الى داخل الأناضول ، بعد أن استولى ألب أرسلان على قلب أرمينية ، فاستمروا منذ ذلك الوقت بجتاحون القرى والضياع ، متجنبين بقدر المستطاع المراكز القوية المحصنة . وفي سنة ٤٥٨ هـ / سنة ١٠٦٦ م احتلوا دروب جبال أمانوس ، وفي الربيع التالي فتحوا قيصرية حاضرة كابادوكيا

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٨٢ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، حوادث سنة ٤٥٦ هـ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، حوادث سنة ٤٥٦ هـ .

Vasiliev; op. cit., Vol. I, p. 355; Ostrogorsky: op. cit., p. 304.

(١) واعتدوا على كنيسة القديس باسل . مما أثار الحماس الدينى عند المسيحيين ، وهب الامبراطور البيزنطى رومانوس الرابع ( Romanous IV ) ( ٤٦٠ — ٤٦٤ هـ / ١٠٦٢ — ١٠٧١ م ) للدفاع عن بلاده ضد هذا الخطر الاسلامى الداهم .

وبدأ رومانوس الرابع باصلاح الأوضاع الداخلية فى الدولة ، ثم أعاد تنظيم الجيش البيزنطى الذى غدت الفرق الأساسية فيه تتألف من جند مرتزقة من النورمان الايطاليين ، والتركمان الآسيويين ، فضلا عن الفرنجة الغربيين . واستطاع الامبراطور البيزنطى أن يحقق بعض الانتصارات السريعة والسهلة فى أول الأمر . هذا وإن كانت خفة الأتراك السلاجقة وسرعة حركاتهم لم تمكنه من تنفيذ برنامجه وفق ما كان يشتهى . (٢)

---

(١) القديس باسل : ( ٣٢٩ — ٣٧٩ م ) درس نظام الأديرة الانطونية والباخومية ولم تحجبه ، فأسس مؤسسة ديرية فى قيصرية الجديدة فى آسيا الصغرى حوالى ( سنة ٣٦٠ م ) وسرعان ما أصبحت التنظيمات التى وضعها القديس باسل لمؤسساته الديرية بمثابة دستور للأديرة الباسلية التى انتشرت آنذاك فى فلسطين واليونان والشام حتى صارت هذه الأديرة تتزعم الحياة الديرية فى الامبراطورية البيزنطية فى العصور الوسطى .

Workman: The Evolution of the Monastic Ideal, أنظر : pp. 111-113.

(٢) ابن الأثير ، حوادث سنة ٤٦٢ هـ ، رنسان ، تاريخ الحروب الصليبية ،

ص ٩٥ . Ostrogorsky: op. cit., p. 304; Vasiliev: op. cit., Vol. I, p. 355.

وخرج رومانوس الرابع فى ربيع سنة ٤٦٤ هـ / سنة ١٠٧١ م على رأس جيش كبير ليسترد أرمينية ، وقد سلك الامبراطور الطريق البيزنطى القديم الذى اجتازه الأباطرة فى عروشهم وهو طريق سيواس قيصرية للوصول الى مرعش على الحدود بين الشام وقيليقية . وقد جعل الامبراطور نصب عينيه أن يستولى على حصون أرمينية وأن يشحنها بالمساكر ، قبل اقدام الترك من جهة الجنوب ، وكان الب أرسلان فى الشام فى موضع قريب من حلب ، وحينما سمع بزحف البيزنطيين أدرك أنه لابد أن يتصدى للقتال مع الصليبيين . (١)

وفى سنة ٤٦٤ هـ / ١٩ من أغسطس سنة ١٠٧١ م التقى ألب أرسلان بخصمه رومانوس الرابع فى جيش بلغ تعداداه خمسة عشر ألف محارب جنوبى ملاذكرد ( مانزكرت ) (٢) أو على وجه التحديد بين مانزكرت وخلاط . ودارت المعركة ، وكان القتال عنيفا وطويلا ، لم تنجح فيه خيالة البيزنطيين المدرعة والثقيلة الحركة ، فتغلبت عليها خيالة السلاجقة الاتراك الخفيفة المعروفة بسرعة حركاتها حتى حلت الهزيمة بالبيزنطيين آخر الأمر . وتمزق الجيش البيزنطى شرمزق فى حين وقع الامبراطور البيزنطى نفسه أسيرا بعد أن جرح فى المعركة . (٣)

- 
- (١) رنسمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٩٨ .  
(٢) ابن الأثير ، الكامل ، حوادث سنة ٤٦٣ هـ ، رنسمان ، نفس المرجع ص ٩٨ .  
(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٦٤ - ٦٦ ، ابن الحديد ، زبدة الحلب فى تاريخ حلب ، ج ٢ ص ٢٢ - ٢٨ ، رنسمان ، نفس المرجع ص ٩٨ .

وتعتبر هزيمة مانزكوت الساحقة للبيزنطيين المسيحيين نقطة تحول خطيرة فى تاريخ الدولة البيزنطية ، حيث كانت دليلا واضحا على نهائية دور هذه الدولة فى حماية المسيحية من خطر وضغط الاسلام ، وترتب عليها أيضا ضياع الأجزاء الشرقية من الامبراطورية البيزنطية ، كذلك عدم استطاعة الامبراطورية البيزنطية الثبات بعد ذلك فى وجه الفتوحات التركية العثمانية فى آسيا الصغرى .

ومصفة عامة يمكن أن يقال أن هزيمة البيزنطيين فى موقعة مانزكوت قد قررت مصير الامبراطورية البيزنطية . فقد فقد البيزنطيون على أرض معركة مانزكوت ما اتخذوه من لقب حماة العالم المسيحى ، وفى حراسة الباب الشرقى لأوربا من غزو المسلمين . وكان ذلك نتيجة حتمية ومبررا قويا للغرب فى إرسالهم الحملات الصليبية ، والتي أدت بدورها فى النهاية الى انهيار الدولة البيزنطية . ولم تكن هزيمة مانزكوت سوى نتيجة لسوء الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية التى سادت حياة الامبراطورية البيزنطية فى القرن الحادى عشر الميلادى وما تلاه . (١)

ولم تقلل وفاة ألب أرسلان سنة ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م من خطر السلاجقة الأتراك على الدولة البيزنطية ، إذ خلفه أخوه ملكشاه الذى استمر السلاجقة

---

(1) Peter: Economic Factors in the Decline of Byzantine Empire, pp. 415-416.

في عهده يفتحون الكثير من بلاد آسيا الصغرى وينزلون بالمدن البيزنطية  
أقصى ألوان الهزيمة . (١) ويبدو أن السلاجقة استفلوا فرصة القوضى  
التي غرقت فيها الامبراطورية البيزنطية في الفترة الواقعة بين موقعة مانزكمرت  
سنة ٤٦٤ هـ / سنة ١٠٧١ م واعتلاء الكسيوس كومنين عرش الامبراطورية  
سنة ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م وأخذوا يتوسعون ويفتحون في آسيا الصغرى دون  
مصادفة رقيب يقاومهم ، هذا الى جانب أن البيزنطيين أنفسهم استعانوا  
بهم في خلافاتهم الداخلية .

وأخيرا لم يجد الامبراطور ميخائيل السابع ( ٤٦٤ هـ — ٤٧٢ هـ / ١٠٧١  
— ١٠٧٩ م ) وسيلة لوقف توسع السلاجقة الأتراك في آسيا الصغرى سوى  
عمل اتفاقية سنة ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م مع سليمان قائد جيش ملكشاه ، سلم  
فيها الامبراطور البيزنطي بحق السلاجقة في حكم الأراضي التي فتحوها  
فعلا في آسيا الصغرى . (٢) وإلى سليمان هذا يرجع الفضل في وضع أساس  
ما عرف بعد ذلك باسم سلطنة قونية ، نسبة الى هذه المدينة العظيمة  
التي اتخذها الأتراك السلاجقة مركزا لسلطانهم في آسيا الصغرى . ومن هذا  
المركز الرئيسي في قلب آسيا الصغرى أخذت قوة الأتراك تنمو وتزدهر وتمتد  
حتى بلغت شواطئ البحر الأسود شمالا والبحر المتوسط جنوبا ، هذا عدا

---

(1) Cam. Med. Hist, Vol, 4, pp. 307-308.

(2) Tout: The Empire and the Papacy, p. 172; Vasiliev: op.  
cit., Vol. I, p. 471.



توسع الأتراك السلاجقة غربا دون أن تقوى الامبراطورية البيزنطية على وقف تيارهم . (١)

وإذا كان الامبراطور البيزنطى الكسيوس الأول كومنين ( ٤٧٤ - ٥١٢ هـ / ١٠٨١ - ١١١٨ م ) قد استطاع أن يسير بسفينة الامبراطورية وسط هذه الأمواج المتلاطمة الى بر الأمان فإنه لم يستطع الوصول الى هذه النتيجة دون ثمن مرتفع ، ذلك أن الصليبيين الأوربيين الغربيين الذين وفدوا الى الشرق نتيجة لتوسلات كومنين وأسلافه من الأباطرة ، استقروا بالأراضى الشامية لينثروا خطرا مستمرا فى وجه الامبراطور البيزنطى نتيجة لتفوقهم الحرسى وأطماعهم السياسية من جهة ، وللعداء المذهبى بينهم وبين البيزنطيين الأرثوذكس من جهة أخرى . (٢)

وقد ترتب على ذلك وجود عدة عوامل لدى الصليبيين الغربيين ، منها التفوق الحسكرى ، والعتاد الحرسى ، ثم الأطماع السياسية . ولعل أقوى هذه العوامل فى اثارة العداء بين الصليبيين الغربيين والدولة البيزنطية هو الخلاف المذهبى ، والصراع الدينى مما أدى الى سقوط القسطنطينية فى أيدي الصليبيين الغربيين فى الحملة الصليبية الرابعة سنة ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م

---

(١) سعيد عاشور ، أوروبا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٤٣٤ ، Diehl, Marçais: op. cit., p. 562.

(٢) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٣٤ ، و ص ٤٨٨ .

ليفعلوا فيها الشيء الكثير من ضروب السلب والنهب والتخريب حتى سنة ١٢٦١ م . (١) وكان استيلاء الصليبيين على القسطنطينية ( ١٢٠٤ هـ — ١٢٦١ م ) وصمة عار في تاريخ الحروب الصليبية تجاه الامبراطورية البيزنطية . ولم يزعج هذا التحول في طريق العملة الصليبية الرابعة واتجاهها نحو القسطنطينية البابا أنوسنت الثالث لأنه رأى فيه فرصة لطى الكيسنة الأرثوذكسية تحت لواء البابوية . (٢)

وكان استيلاء الغربيين على القسطنطينية واسقاطهم الامبراطورية البيزنطية ضربة لم تستطع الامبراطورية البيزنطية أن ترفع رأسها من بعدها ، وكذلك كان لمسلك الرومان المشين تجاه أهالي الامبراطورية نتائج أدت الى زيادة النفور بين البيزنطيين من الغرب الأوربي وأهله وكنيسته . (٣)

وعندما تم احياء الامبراطورية البيزنطية مرة أخرى على يد ميخائيل باليولوفوس الثامن ( ٦٥٨ — ٦٨١ هـ / ١٢٥٩ — ١٢٨٢ م ) الذي استغل تغييب الأسطول البندقي عن القسطنطينية وهاجم المدينة واستولى عليها ( ٦٦٠ هـ — ١٢٦١ م ) وهلمت البندقية لذلك ولاسيما عندما منح الامبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن منافستها جنوة جميع الامتيازات التي تمتع بها البنادقة

---

(1) Painter: A history of the Middle Ages, P.216.

(٢) جميل بينهم ، فلسفة التاريخ العثماني ، ص ٢٣٧  
Tout: op. cit, p. 347.

(3) Lodge: The Close of the Middle Ages, p. 494.

في القسطنطينية ، ولذلك قامت البندقية تدعو لحملة صليبية رومانية غربية ضد الامبراطور ميخائيل الثامن ، وساندها البابا أوربان الرابع في هذه الدعوة ، ولكن شيئاً من هذا لم يتحقق وفشلت من جذورها . (١)

وكان من الواضح أن ما يسميه المؤرخون بأحياء الامبراطورية البيزنطية ( ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م ) لا يعدو أن يكون في حقيقة الأمر استرداد المدينة القسطنطينية على أيدي أحد حكام نيقية البيزنطيين . (٢) ذلك لأن الامبراطورية البيزنطية في عهد ميخائيل الثامن وخلفائه كانت محدودة المساحة ، لا تتعدى القسطنطينية نفسها وعدة مناطق قريبة منها . فمن جهتي الشمال والغرب كانت تحدها مملكة البلغار والصرب ، في حين كانت شبه جزيرة المورة مقسمة الى دويلات صغيرة بين بعض الأمراء اللاتين والبنادقة الذين سيطروا أيضاً على جزر كورفو ، وكريت ، وغيرها من جزر بحر إيجة . (٣) وإذا كان الأباطرة البيزنطيون من أسرة باليولوغوس قد نجحوا في الاحتفاظ بالجزء الأكبر من الساحل الغربي لآسيا الصغرى ، مع بعض المدن الهامة على شاطئ البحر الأسود ، فان بقية شبه جزيرة المورة

---

(1) Ostrogorsky: op. cit., pp. 399-400.

(2) Vasiliev: op. cit., Tome 2, p. 270.

(3) Gibbons: The foundation of the Ottoman Empier, p. 13.;  
Ostrogorsky: op. cit., p. 425.

ظل بأيدي سلاطين قونية الأتراك • في الوقت الذي كان فيه البيزنطيون  
(١) أضعف من أن يقوموا بمحاولة أخرى جديدة لاسترداد هذه الأجزاء المفقودة •

وحدث أن الإمبراطورية البيزنطية بعد الإمبراطور ميخائيل باليولفوس  
قد منيت بأباطرة غير أكفاء كان همهم الانصراف إلى اللهو والمشاحنات  
المذهبية والتنازع على العرش في الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية  
المسلمة تتحفز للشووب على الجانب الأوربي من أملاك الدولة البيزنطية •

وكان هؤلاء الأباطرة قدوة سيئة لقومهم • ولم يعنوا بالجند ولا بالجيش  
الذي أسس في جملته من المرتزقة الغرباء الذين كان يستوى لديهم انتصار  
الإمبراطورية أو هزيمتها • ولكن التنازع الذي حدث أثر موت ستيفن رومان  
سنة ٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م ملك الصرب في دولته قضى عليها بالانحلال  
فانفصلت عنها بلغاريا ، والبوسنة وألبانيا ومقدونيا • أما روسيا الأرثوذكسية  
رأس العائلة السلافية فكانت هي أيضا تنزع في ذلك الوقت تحت أقدام المنغول  
(٢)  
فلم تحفل بها السلطنة العثمانية •

---

(١) القدسي الحنبلي : قلائد الحقيان في فضائل آل عثمان ، ورقة ١٤ ،  
البكري : المنح الرحمانية ، ورقة ٣٠ ، العاصي : سمط النجوم  
العوالي ، ج ٤ ، ص ٦٠ •

(2) Greasy: History of the Ottoman Turkes, p. 27.

أما الدول الكاثوليكية وهي بولونيا ، والمجر ، وألمانيا ، وفرنسا ،  
وانجلترا ، وأسبانيا فكانت حالتها فى منتصف القرن الثامن الهجرى الرابع  
عشر الميلادى كالآتى :

كانت بولونيا من الدول القوية حينما نشأت الدولة العثمانية ، ولم تتوقع  
أن دولة العثمانيين ستنتهز فرصة الفوضى التى حدثت فى بولونيا سنة ٧٠٠ هـ  
/ سنة ١٣٠٠ م بسبب التنازع على العرش وتقوى نفسها على حساب هذا  
التنازع فى داخل بولونيا ثم توسع أملاكها ابان الخصام الشديد الذى نشب  
بين ملوك بولونيا وأشراف مملكتهم .

وعندما سمعت الدول الكبرى الأوربية بآلام اخوانهم مسيحيى الشرق  
لم يحركوا ساكنا ولم تحاول هذه الدول أن تصنع شيئا تجاه هؤلاء يقوى  
من جانبهم ويضعف الأتراك العثمانيين ، وذلك لأن الروح الصليبية كانت قد  
ضعفت ولم يعد هناك فائدة ترجى لتلبية النداء ضد العثمانيين ، وأيضا  
لأن الأحوال الداخلية فى هذه الدول فى خلال القرن الثامن الهجرى / الرابع  
عشر الميلادى ، كانت لا تشجع على ذلك .

وكانت الآمال الكبرى معقودة على دفع خطر العثمانيين عن أوروبا — على  
فرنسا وانجلترا . وأراد فيليب السادس ملك فرنسا أن يحيى عهد الحروب  
الصليبية ، لكن حال دون تحقيق هذه الرغبة حرب المائة عام التى اشتبكت  
فيها فرنسا مع انجلترا فى حرب ضروس من ( ٧٣٨ — ٨٥٧ هـ /

(١)  
١٣٣٧ م — ١٤٥٣ م

أما في أسبانيا فلقد كان الأمراء المسيحيون لازالوا مهغوليين في الصراع مع المسلمين ، وكانت الصعوبة في وحدة القوى الخيرية في أى مشروع ضد العدو المشترك لديانتهم لا يمكن التغلب عليها لأن البابوية التي قسمت بين كل العالم الغربي المسيحي كانت منقسمة على نفسها الى بابويتين واحدة في مدينة أفينون ( Avignon ) الفرنسية ، والأخرى كانت في مدينة روما الإيطالية ، وهى الفترة الواقعة بين سنتي ( ٧٠٥ هـ — ٧٢٩ هـ / ١٣٠٥ م — ١٣٧٧ م ) والتي يطلق عليها في تاريخ البابوية اسم " الأسر البابلى " (٢) وكان كلاهما يدعى تهية الآخر له في الوقت الذى

(١) حرب المائة عام : كانت بين إنجلترا وفرنسا وكان من أسبابها النزاع بين إنجلترا وفرنسا حول أملاك إنجلترا في القارة والتنافس الاقتصادي بين الدولتين وتعارض مصالحهما السياسية في القارة ( وكانت النتيجة النهائية لهذه الحروب هو طرد إنجلترا نهائيا من قلب القارة .

أنظر : Thompson: The Middle Ages, Vol. 2., p. 891; Cam. : Med. Hist. Vol.7., p. 340.

(٢) اهتز مركز البابوية اهتزازا عنيفا في مطلع القرن الرابع عشر وحدث أن أختير في سنة ١٣٠٥م أحد الكرادلة الفرنسيين لمنصب البابوية باسم البابا كليمنت الخامس ( Clement V ) ( ١٣٠٥-١٣١٤م ) وقد أثر هذا البابا أن تتم مراسيم توليه منصبه الجديد في فرنسا في مدينة أفينون على نهر الرون على الحدود الفرنسية واتخذها مقرا جديدا للبابوية ، وكان المفروض أن تكون في روما ، واستطالت هذه الفترة ٧٢ سنة أطلق عليها الأسر البابلى ( ١٣٠٥-١٣٧٧م ) حيث كانت البابوية شبه أسيرة بحكم خضوعها للملكية الفرنسية . ( أنظر : الشناوى ، أوروبا في مطلع العصور الحديثة ، ص ١ )  
Stephenson: Mediaeval History, p. 503.

(١)

عجز كلاهما عن القيام بأى عمل ضد العثمانيين المسلمين .

أما جنوة والبندقية ، فنشبت بينهما حرب أخرى ضرورتها داخل المياه البيزنطية . وكان من أسباب هذه الحروب محاولة جنوة فرض سيطرتها على الطريق التجارى فى البحر الأسود ، بل ذهبت جنوة الى أكثر من ذلك فحاولت سد الطريق أمام السفن الأجنبية ، وهددت فى كثير من الأحيان الى مصادرة سفن البندقية التجارية فى كافا ( Cafa ) <sup>تقع فيها تلك السيطرة</sup> ( ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م ) . واجتدم التنافس بينهما فى أنحاء الامبراطورية حتى انتهى بهزيمة البندقية ( ٧٥٤ هـ / ١٣٥٣ م ) . (٢)

وكان اجتياح الوباء الخطير لأوربا ( ٧٤٩ هـ — ٧٥٠ هـ / ١٣٤٨ م — ١٣٤٩ م ) والذي عرف بالموت الأسود ( Black Death ) أو الطاعون . والمعروف أن هذا الوباء زحف من آسيا على امتداد الطرق التجارية المؤدية الى البحر الأسود ، ومن ثم تطرق الى شرق أوربا فخرمها ، فضلا عن بلاد الشرق الأدنى بما فى ذلك بلدان العالم الاسلامى (٣) وفقدت

(1) Creasy: op. cit., p. 38.

(2) Cam. Med. Hist. Vol. 4., p. 666; Ostrogorsky: op. cit., p. 520.

(٣) المقريزى ، السلوك ، حوادث سنة ٧٤٩ هـ ، Stephenson: op. cit., p. 520.

أوروبا بسبب هذا الهماء أعداداً ضخمة من سكانها مما أثر في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية تأثيراً خطيراً بعد أن قلت الأيدي العاملة ، وارتفعت الأسعار ، وتوقفت التجارة واختل كثير من المقاييس الاقتصادية ، والاجتماعية التي عرفتها أوروبا في العصور الوسطى . (١)

وفي أثناء هذه الكوارث التي حلت بالدولة البيزنطية ازدادت قوة الدولة العثمانية ، وما تجدر ملاحظته أنه كلما ازداد ضعف الدولة البيزنطية يقابله من الناحية الأخرى ازدياد قوة الدولة العثمانية ولذلك استدعت الدولة العثمانية انتهاء هذه الفرصة للتوسع في الفتوحات الإسلامية على حساب الدولة البيزنطية . وقد ساعدها على النجاح في هذه الفتوحات الانشقاق الكنسي الذي أصاب البابوية . لأن البابوية فقدت هيبتها منذ أن قضى عليها بالانتقال إلى أفينون قسراً ( ٧٠٨ هـ / سنة ١٣٠٨ م ) . ولذلك لم تستطع دول أوروبا تكوين جبهة صليبية لمقاومة العثمانيين الذين نجحوا في الاستيلاء على كثير من المدن البيزنطية ، مصفة خاصة في عهد السلطان أورخان الابن الأكبر للسلطان عثمان ، الذي انصرف إلى العمليات الحربية وتنظيم شؤون الدولة الداخلية ، وذلك استطاع أن يجمع بين البناء الداخلي والجهاد العثماني الخارجي واستطاع العثمانيون وعلى رأسهم السلطان أورخان

---

(1) Cam. Med. Hist., Vol. 7., p 5, 463-733; Orton: Outines of Medieval History, p. 379.



فتح مدينة أزميد " نيقوميديا " (١) وذلك في السنة الأولى من حكمه ( ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م ) . وكانت هذه المدينة آخر معقل للدولة البيزنطية في الركن الشمالي من شبه جزيرة آسيا الصغرى ، وضى السلطان أورخان في فتوحاته وجهاده الإسلامي ضد البيزنطيين المسيحيين حتى استطاع فتح (٣) مدينة " نيقية " (٢) ، وكانت من أمهات المدن في الإمبراطورية البيزنطية .

وسقطت هذه المدينة وا لمنطقة الغربية من الأناضول استطاع العثمانيون السيطرة على بحر مرمرة ، ومن ثم انفسح الطريق أمامهم للوصول الى البوسفور

وقد أثار ذلك شيئاً غير قليل من الفزع والقلق في الدولة البيزنطية خاصة والدول الأوروبية عامة ، فبدأت البابوية تشعر بالخوف من تقدم العثمانيين

---

(١) نيقوميديا : هي مدينة يونانية قديمة بآسيا الصغرى أصل اسمها (نيكوميدس) كانت عاصمة لمملكة (بيثينيا) واقعة على بحر مرمرة ويعدخل ميناءها أكبر السفن ومياه معدنية (أنظر محمد فريد ، الدولة العلية ص ٤١) .

(٢) نيقية : مدينة يونانية قديمة بآسيا الصغرى ، واقعة شرق مدينة بورصة بنحو ٨٠ كم ، وهي مدينة أسنك الحالية (أنظر محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٤١) .

(٣) الحصاى ، سمط النجوم الحوالى ، ج ٤ ، ص ٦٠ ، سرهنك ، حقائق الأخبار ، ص ٤٨٩ ، فيشر ، المرجع السابق ، ص ٤٤٧ .

المسلمين ، وخشيت أن يعبر العثمانيون الى أوروبا فيعظم خطرهم بعد ذلك على ايطاليا . كما أدركت المدن التجارية الايطالية — وفي مقدمتهم — البندقية — الخطر الكامن في هذه الدولة الاسلامية الجديدة اذا ما ترعرت ونمت ، فانها لن تلبث أن تنازعها سلطانها ومكانتها في الشرق ، وتستولى على أملاكها ، ومستعمراتها فيه . وقامت البندقية بتأليب الدول النصرانية على العثمانيين المسلمين قبل أن يستفحل أمرهم ويعظم خطرهم . (١)

ونجحت البندقية بالفعل في دفع الصليبيين الى عقد حلف صليبي اشترك فيه البابا وملك فرنسا ، والبندقية ، وفرسان الاستبارية في رودس ، وإمبراطور القسطنطينية .

وفي سنة ٧٣٤ هـ / ١١ من نوفمبر سنة ١٣٣٣ م أعلن البابا حنـا الثاني والمشررون أن ملك فرنسا فيليب السادس هو الذي سيقود الحملة الصليبية ، ولكن موت البابا في نفس العام كان سببا في عدم تنفيذ هذه الحملة في الموعد المحدد لها . ومع ذلك فقد ظلت الاستعدادات في فرنسا على قدم وساق ، واجتشدت في الموانئ سفن حربية كثيرة ، وأخذت الحشود الحربية الصليبية تأتي من كل مكان حتى بلغت عدتهم مائة ألف رجل ، ولكن خابت الآمال بقيام حرب المائة عام بين فرنسا وإنجلترا ، ولم

---

(١) سرهنك ، حقائق الأخبار ، ج ١ ، ص ٤٩٠ .

(١)   
تقم لهذه الحملة قائمة •

وترتب على فشل هذه الحملة أن وجد العثمانيون متسعا من الوقت  
لترتيب أمورهم على أحسن وجه ، فانصرف أورخان الى توطيد أركان دولته ،  
والى الأعمال الإصلاحية • فنظم الجيش والإدارة ، واستعد بعد ذلك  
الى القيام بعمل يعتبر مرحلة جديدة وتطورا هاما فى مجرى حوادث تاريخ الدولة  
العثمانية الاسلامية ، وتاريخ أوروبا المسيحية كلها ، ذلك هو نزول العثمانيين  
فى أوروبا ، وما تلاه بعد ذلك من الفتوحات الواسعة فيها • (٢)

وحدثت أمور مكنت من تحكم العثمانيين فى مصير الدولة البيزنطية ، فأعلنوا  
سيادتهم على مقدراتها • ذلك أنه كان على عرش بيزنطة فى ذلك الوقت  
إمبراطور صبي عهد بالوصاية عليه الى والدته أنا ( Anna ) والى رجل  
يدعى جئا كيتاكوزين ( John Cantaguzene ) وكان هذا الرجل  
طموحا لم يقنع بهذه الشراكة فى الوصاية • وطبع فى أن يكون له شئ من  
الملك • وعارضته الإمبراطورة الأم ، وقاومته طويلا ، واستصر كل منهما  
بالسلطان أورخان العثماني المسلم ، وجاءت الفرصة مواتية للدولة العثمانية

---

(١) سالم الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ٢٤ •

Inalcik: The Ottoman Empire, p. 10.

(٢) سرهنك ، حقائق الأخبار ، ص ٤٨٨ ، فيشر ، تاريخ أوروبا العصور  
الوسطى ، ص ٤٤٧ •

للدخول الى أوروبا ، ولذلك آثر السلطان أورخان حنا كيتاكوزين بالمعوننة والنصر . وانتهى الأمر بأن جعل عرش الامبراطورية بين كيتاكوزين وزوجته أنبا ، وابنها حنا الخامس ، الذى تزوج من ابنة كيتاكوزين توثيكا ، له هذه الرابطة ، كما تزوج أورخان سنة ٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ م من الابنة الكبرى لحنا كيتاكوزين التى تدعى ثيودورا . وعاد الجنود العثمانيون الى آسيا الصغرى بعد أن أصبحت لهم الكلمة العليا فى بيزنطة . الا أنه لم يبرقت طويل على حنا كيتاكوزين فى قناعته بهذه الشركة فى الحكم ، وأراد أن تـكـسـون الامبراطورية له وحده . وللمرة الثانية استجد كيتاكوزين بالسلطان أورخان فأعانه بمئشرين ألف مقاتل بقيادة ابنه الأمير سليمان بشرط أن يسلم لهم كيتاكوزين بعد انتصاره قلعة صغيرة على الشاطئ الأوروبى من الدردنيل وهى قلعة تزيمب ( TZYMPÉ ) على مسافة غير بعيدة من غاليبولى سنة ٧٥٣ هـ / ١٣٥٢ م . (١)

ولم يمض وقت طويل على استقرار العثمانيين فى هذه القلعة حتى حدثت زلزلة عنيفة دمرت كثيرا من المدن ودكت بعض أسوار مدينة غاليبولى ( Galipoli ) التى تعد أهم حصن بيزنطى أوروبى على الدردنيل . (٢)

---

(١) سرهنك ، حقائق الأخبار ، ج ١ ، ٤٩٠ هـ  
Hidden: The Ottoman Dynasty, p. 19.; Inalcik, op. cit., p. 9.  
(2) Inalcik: op. cit., p. 10; Ostrogorsky: op. cit., p. 530.  
Creasy: op. cit, pp. 19-20.

واعتقد البيزنطيون والعثمانيون كما يرى Creasy أنها حدث المهي يشير الى شيء ، ولكنهم اختلفوا في فهمه وادراك معناه ومغزاه ، فالبيزنطيون اعتقدوا أنها غضبة الهية حاقت بهم ، فخارت قواهم ، وفقدوا روحهم المعنوية ، وخرجوا من غاليلولى مدبرين ، وولوا عنها خائفين ، وتركوا المدينة خواء . أما العثمانيون فقد استبشروا واعتقدوا ان الله سبحانه وتعالى أراد بهم خيرا كثيرا فمهّد لهم السبيل للاستيلاء على هذا الحصن المنيع ، وأن ما حدث ما هو الا آية من آيات النصر ، يظهرها الله لعباده المخلصين ، فتثبت قلوبهم وتزيد هم ايماناً . (١)

ومذ لك زحف الأمير سليمان ومعه جنوده المجاهدين على مدينة غاليلولى ودخلوها فى سنة ٧٥٥ هـ ، سنة ١٣٥٤ م بغير حرب ولا قتال (٢) وفى الحال شرع الأمير سليمان بن السلطان أورخان فى اصلاح المدينة واعادة تحصينات القلاع بها وجلب اليها قوات من الأناضول ، ومذ لك غدت مدينة غاليلولى قلعة عثمانية اسلامية ، وقاعدة لغزواتهم ، وفتوحاتهم الاسلامية فى أوربا . فمن غاليلولى انطلقت جحافل الجيش العثمانى المسلم حاملة راية الجهاد الاسلامى تدفعها الرغبة الأكيدة فى نشر الاسلام ، ورفح

---

(1) Creasy; op. cit., p. 20.

(٢) زينى دحلان ، الفتوحات الاسلامية ، ص ٧٠ ، عبدالباسط الفاخورى ، مختصر تاريخ الاسلام ، ص ١٩٥ ، محمد فؤاد كومرلى ، قيام الدولة العثمانية ، ص ١٨٢-١٨٣ .  
Inalcik: op. cit., p. 10.

(١) بنوده على كل مدن أوروبا .

ومهدا غدت مدينة غاليبولى نقطة البدء للفتوحات الاسلامية العثمانية فى أوروبا الغربية . وذلك نظرا لمركزها الاستراتيجى الهام ، فهى تسيطر على بحر مرمرة ، وهى قاعدة ارتكاز حرية خطيرة ، وهى بتعبير بعض المؤرخين تعتبر مفتاح أوروبا ، فهى ثغر هام جدا ذو مناعة عسكرية عالية ، وذلك بعد تحصينه من قبل العثمانيين ولذلك فقد جاءت جموع غفيرة من العثمانيين المسلمين للاستيطان فى هذا السهل الأوروبى المطل على بحر مرمرة والذى يضم أيضا جزءا من اقليم تراقيا . وأخذ العثمانيون يعمرون تلك الأماكن الخالية من السكان ، كما هاجر كثير من الفرسان العثمانيين من امارات وسط الأناضول ، ومن امارات السواحل كإمارات قره سى ، وصاروخان ومنتشا وأيدىن طمعا فى الحصول على اقطاعات زراعية عسكرية ، على درجة كبيرة من الخصوبة فى اقليم الرومللى . ومهدا أضحت غاليبولى ( Galipoli ) نقطة البدء فى الانطلاق منها الى باقى أقاليم أوروبا المسيحية . (٢)

(١) هسى ، العالم البيزنطى ، ص ٢٢٠ ، هامرتن ، تاريخ العالم ، م ٥ ، ص ٤١١ ، فيشر ، نفس المرجع ، ص ٤٤٦ ، سعيد عبد الفتاح عاشور ، أوروبا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٦٤٠ .

(٢) عبد الحزى الشناوى ، أوروبا فى مطلع العصور الحديثة ، ص ٥٩٨ .  
Creasy: op. cit., p. 20.; Inalcik: op. cit., p. 11.;  
Hedden: op. cit., p. 19.

وأحسن الامبراطور البيزنطى حنا كنتاكوزين بالخطر العثمانى وأدرك فداحة خطئه فى استدعائه للعثمانيين والاستعانة بهم فى أوروبا . وعرض الامبراطور على أورخان إعادة مدينة غاليلولى ، ولكن السلطان أورخان رفض رفضا باتا الانسحاب من غاليلولى . وبحث كنتاكوزين الى الصرب ، والبلغار ، يستحثهم على عقد حلف يتكون من نصارى البلقان لأخراج المسلمين الفاتحين من أوروبا . لكنه لم يلق استجابة منها ، وتدهور موقفه فى نظر سكان العاصمة البيزنطية فقاموا بثورة ضده عام ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م . بعد أن أثقلت الضرائب كاهلهم ، واتهموه بأنه يريد تسليم القسطنطينية للعثمانيين المسلمين ، وتم خلع كنتاكوزين عن العرش . وقضى كنتاكوزين بقية حياته فى الرهينة ثم خلع ابنه ، وعاد حنا الخامس الى عرش بيزنطة الذى بقى فيه وحده دون منازع . (١)

ولكن لم يكن الامبراطور البيزنطى الجديد حنا الخامس أوفر حظا من سابقه حنا كنتاكوزين ، فقد كان يقدر الخطر التركى العثمانى الجاثم على أبوابه ، ولذا وجد أن خيرا ما يفعله هو فتح باب المفاوضات بينه وبين روما لأقامة وحدة بين العاصمتين المسيحيتين والكنيستين الارثوذكسية والكاثوليكية لتقف سدا فى وجه الخطر العثمانى الدايم . وفى سنة ٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م ، أى بعد توليه العرش بحام واحد أرسل الامبراطور حنا الخامس خطابا

---

(١) أومان ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٥١ - ٢٥٢ ، الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٥٩٨ - ٥٩٩ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٢٤٩ - ١٢٥٠ .

مفصلا الى أفينون يطلب فيه من البابا أن يرسل اليه بخمسين سفينة حربية و ١٥ سفينة نقل تحمل ألفا من المشاه وخمسمائة من الفرسان ، وفي مقابل ذلك وعد البابا بأن تتحول كل الرعية البيزنطية من المذهب الأرثوذكسي الى العقيدة الكاثوليكية خلال ستة أشهر . وضع البابا الضمانات الكافية للوفاء بذلك العهد كما أنه وعد بارسال ابنه الصغير وكان يدعى مانويل الى البلاط البابوي ليتلقى تعليمه على يد البابا ، وقطع الامبراطور حنا الخامس على نفسه عهدا بأن يتخلى عن العرش اذا أخفق في الوفاء بعهده ، تاركا البلاد في حوزة ابنه الصغير الذي تم تعليمه على يد البابا . ويسندو أن البابا انوسنت السادس لم يأخذ هذا الأمر بجدية ، فقد أرسل البابا الى الامبراطور حنا الخامس خطابا يشكره فيه على عواطفه ، ومشاعره الحارة نحو تحقيق وحدة الكنيسة . واضطر الامبراطور على اثر تلك الاستجابة الفاترة من البابا الى ابلاغ روما بأنه غير قادر على اقناع شعب بيزنطة<sup>(١)</sup> بقبول الاتحاد وخاصة أن رد البابا لم يكن مدعوما بسفن حربية مسلحة . وكان ذلك نتيجة طبيعية لما صار اليه نفوذ الكنيسة من الضعف ، فانها كانت حينذاك على غير وئام مع عواهل أوروبا ، كما كانت البابوية عند منتصف

---

(١) هسي ، العالم البيزنطي ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ ، نبه عاقل ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٣٤٤ - ٣٤٦ ، عبد القادر اليوسف ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٧٩ - ١٨٠ ، سالم الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ٢٦ - ٢٧ ، Ostrogorsky: op. cit., pp. 534-535:Hidden: op. cit., p. 23.



القرن الرابع عشر الميلادي أضعف من أن تحيي الحماسة الصليبية بعد موتها . (١) واستفاد العثمانيون من ذلك كله إذ قاموا بحركة التقاف حول القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية .

.. ..

---

(1) Vasiliev: op. cit., Tome 2, pp. 369-370.

## الفصل الثاني

### العثمانيون وحركة الاثنياف حول القسطنطينية

- استيلاء العثمانيين على أدرنة ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م  
واتخاذها عاصمة .
- استيلاء العثمانيين على مقدونية ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م .
- انتصار العثمانيين في معركة قوصوه (كوسوفثا) .
- انتصار العثمانيين على التحالف البيزنطي الأوربي في  
موقعة نيقوبوليس ٧٩٩ هـ / ١٣٩٦ م .

استفاد السلطان مراد الأول ، ثالث سلاطين البيت العثماني من  
الفوضى التي كانت سائدة في البلقان وأوروبا في ذلك الوقت . فقد كانت الحرب  
المشتعلة بين الجمهوريتين الايطاليتين التجاريتين جنوة ، والبندقية سببا في  
تلك الهوة السحيقة التي زادت مع الزمن عمقا بين الكنيستين الكاثوليكية في  
روما ، والأرثوذكسية في القسطنطينية ، ولذا كانت الظروف مهيأة تماما أمام  
السلطان مراد الأول لتدخل الأتراك العثمانيين في البلقان . (١)

(٢) ونظر السلطان مراد الأول لمدينة أدرنه ( Adrianople )  
نظرة هامة وذلك لموقعها الجغرافي الهام وسط هذه البلاد التي كان معظم  
أهلها يدينون بالمسيحية ، وكانت أدرنه تقع على ثلاثة أنهر ، وهي بذلك  
الموقع الجغرافي الهام تعتبر قاعدة حربية مهمة للعثمانيين اذا تم فتحها ،  
وذلك لقربها من ميادين القتال في أوروبا . يضاف الى ذلك أن أدرنه كانت  
تبعد عن القسطنطينية بخمس وتسعين ميلا فقط ، وهي تعد المدينة الثانية

---

(1) Ostrogorsky: op. cit., p. 520.; Creasy: op. cit., p. 28.

(٢) أدرنه : واسمها ادريا نوموليس ( Adrianoplies ) نسبة الى  
الامبراطور الروماني ادریان أوهدريان ، الذي أجرى فيها عدة  
تحسينات أوجبت إطلاق اسمه عليها .  
أنظر : محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٤٤ ، فيليب حتى ، خمسة  
آلاف سنة في تاريخ الشرق الأدنى ، ص ١١ .

بعد القسطنطينية .<sup>(١)</sup> لهذا رأى السلطان مراد الأول أن مدينة أدرنة  
بعد الاستيلاء عليها سوف تصبح مركزا طيبا لجميع أبناء المسيحيين لتجنيدهم  
في الجيش الاسلامي .<sup>(٢)</sup>

لذلك بحث السلطان مراد الأول قائده لا لا شاهين ( Lalasch- ahin ) الى فتح مدينة أدرنه في سنة ٧٦٣ هـ / سنة ١٣٦١ م في جيش  
كثيف . وعندما اقترب لا لا شاهين بالجيش العثماني الاسلامي من المدينة  
خرج اليه القائد البيزنطي تكوريم مع عدد كبير من الجند ، واشتبك  
الجيشان واشتد القتال . وكانت كلمة ( الله أكبر ) في الجيش الاسلامي  
تهز قلوب جنود الأعداء من المسيحيين ، وتفصح المجال أمام جيوش المسلمين  
العثمانيين في كل جهة . وسقط أمراء البلقان في قبضة العثمانيين  
الواحد تلو الآخر . واستطاع العثمانيون بعد جهد جهيد أن يوقعوا بأعداء  
الاسلام والمسلمين هزائم منكرة ، بعد أن تزلزلت قلوب أعدائهم خوفا ،  
ورهباء . وفر القائد البيزنطي بعد أن رأى أناسا باعوا الحياة الدنيا  
بالآخرة ، وجاهدوا جهادا المستميت في سبيل الله ونشر دينه بين رعاياه

---

(١) مخطوط تاريخ آل عثمان ، مجهول المؤلف ، مخطوط (باستانبول) ، ورقة ٢ ،  
محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٤٥ ، كمال الدسوقي ، الدولة  
العثمانية ، ص ٢٢ .  
(٢) فيشر ، تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ق ٢ ، ص ٤٥٣ ، كمال الدسوقي ،  
الدولة العثمانية ، ص ٢٢ .

البلقان . ودخل المسلمون أدرنه بالتهليل والتكبير حامدين الله عز وجل  
بهذا النصر العظيم ، وأرسلوا للسلطان العثماني مراد الأول مهنيين معه  
بالفتح العظيم لتلك المدينة التي حولها السلطان مراد الأول من فوره الى  
عاصمة اسلامية سنة ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م . وكان من النتائج نقل العاصمة  
الاسلامية العثمانية من آسيا الصغرى الى أوروبا ، أنها أصبحت مركزا مهما  
لانطلاق آل عثمان بعد ذلك للجهاد في سبيل الله ونشر الدين الاسلامي  
في أوروبا عامة ، وفتح القسطنطينية . (١)

وقد أتت أدرنه بعد ذلك مركزا للحكومة الاسلامية فتكونت فيها فئات  
الموظفين وفئات الجند ، وأقبل عليها علماء الدين الاسلامي ، وتأسست  
المحاكم ، ونهضت المدارس العسكرية لتعليم الانكشارية . وهذا الفتح  
العظيم لأدرنه فصلت القسطنطينية عاصمة المسيحية الأرثوذكسية الشرقية  
عن بقية ممتلكاتها في البلقان ، وسد عليها الطريق الى حلفائها في أوروبا ،  
ولاسيما الشعوب السلافية . (٢)

---

(١) مخطوط تاريخ آل عثمان ، مجهول المؤلف ، ورقة ٦ ، سرهنگ ،  
حقائق الاحبار ، ص ٤٩ ، فيشر ، نفس المرجع ، ص ٤٥٣ ، هسي ،  
العالم البيزنطي ، ص ٢٢٢ ، الشناوي ، نفس المرجع ، ص ٦٠١ .  
(٢) فيليب حقي ، نفس المرجع ، ص ١١ ، أومان ، الامبراطورية البيزنطية ،  
Cam. Hist. of Islam I, pp. 275-276. ص ٢٥٢

وطبق السلطان مراد الأول بتلك الجهات نظامه المحبب اليه  
فى منح الأراضى الزراعية لكبار الضباط فى جيشه نظير تقديمهم لعدد من  
الفرسان فى أوقات الحروب مجهزين بخيولهم ، وسلاحهم ، ومؤنهم<sup>(١)</sup>  
ليعانوه فى حروبه . . . وكان يطلق على هذا النظام الاقطاعى نظام التيمار  
( Timar ) ، وكان هؤلاء الفرسان يعرفون بالسباهية .  
واشتهر السباهية بالشجاعة والاقدام ، وحب الاستشهاد فى سبيل الله  
عز وجل ، ولم يكونوا يكلفون الدولة العثمانية أية مشقة ، أو نفقات فى  
اعدادهم ، وتدريبهم التدريب الاسلحى السليم .

ولكن لماذا لم يتم السلطان مراد الأول العثمانى العمل الذى كان  
قد بدأه وقام بفتح القسطنطينية نفسها ؟

---

(١) التيمار ( Timar ) : هو نظام وضعه تيمورطاش وزير السلطان  
مراد الأول لفرق الخيالة العثمانية المسماة بالسباهية . بحيث أقطع  
كل نفر منهم جزءا من الأرض يزرعه المزارعون سواء من المسيحيين  
أو المسلمين بشرط أن يسكن المقطع لديه وقت السلم ويستعمله  
للحرب عند الاقتضاء على نفقته ، ويكون هؤلاء الفرسان مدربين تدريباً  
عالياً بخيولهم وسلاحهم ، وزادهم ، يتناسب مع مساحة الإقطاع  
وأهميته ، فكان أصحاب الإقطاعات الزراعية الكبيرة يقدمون عدداً من  
الفرسان أكبر من أصحاب الإقطاعات الصغيرة .  
أنظر :

يبدو أن السلطان مراد الأول كان يدرك ضعف الامبراطورية البيزنطية وقتذاك ، ولذلك أراد أن يقضى على أعدائه من الصربيين ، والبلغار أولا ، وكذلك أمراء آسيا الصغرى ، ثم يعود بعد ذلك الى القسطنطينية لتكون نهاية الخلاف . وفى الحقيقة كان السلطان مراد الأول قادرا على الاستيلاء على القسطنطينية سنة ٧٧٢ هـ / ١٣٧٠ م لأنه حتى قبل سنة ٧٧٢ هـ / ١٣٧٠ م لم تستطع الامبراطورية البيزنطية أن تقوم بدورها القديم باعتبارها " حصن المسيحية ضد الدولة العثمانية . وقد أظال أفراد أسرة باليولفوس بخضوعهم المهيمن للدولة العثمانية (١) من عمر الامبراطورية البيزنطية التى كانت آيلة للسقوط والانحيار .

وازاء هذا الخطر المتمثل فى فتح مدينة أدرنة ، والخوف من التوغل العثمانى فى البلقان قام البابا أوربان الخامس ( Urban V ) بمحاولة صليبية لجمع أوروبا مرة أخرى فى حرب صليبية ضد المسلمين العثمانيين (٢) لغير أن أحوال أوروبا كانت فى ذلك الحين لا تسمح بقيام تلك المحاولة . فانشغال إنجلترا ، وفرنسا بحرب المائة عام ، وانشغال جنوة والبندقية بالحرب والتنافس بينهما ، أجهل هذا المشروع للبابا أوربان الخامس فلم يلب دعوته سوى حكام شبه جزيرة البلقان ، وبخاصة الصرب ،

---

(١) جميل بينهم ، فلسفة التاريخ العثمانى ، ص ٢٣٤ .

Thompson: The Middle Ages, Vol. 2, p. 891

(2) The Cam. Hist. of Islam I, pp. 275-276.

(١) والبلغار ، والمجريين ، وسكان اقليم ولاشيا .

غير أن الدولة البيزنطية ، وهى صاحبة المصلحة الأولى فى هذا الفرض الذى أقيم من أجله هذا التحالف ، لم تنضم اليه . فوفقت موقفا سلبيا ، لأن علاقاتها بالبابا كانت سيئة ، بل انها كانت تشك فى نواياه نحوها ان هو تمكن منها ، خاصة وأن كل البابوات كانوا دائما يطمعون فى السيطرة على كنيسة الدولة البيزنطية . (٢)

استطاعت القوى الأوروبية المشتركة فى هذا التحالف الصليبي أن تحشد جيشا كبيرا بلغ عدده ستين ألف جندي صليبي ، تصدى لهم القائمــد  
العثماني المسلم لالا شاهين ( Lalaschahin ) بقوة تقل عددا عن  
القوات الصليبية المتحالفة على الاسلام . وقابلهم سنة ٧٦٦ هـ / ١٣٦٤ م ،  
على مقربة من تشيرمن ( Tchirmen ) على نهر مارتيزا ( Maritza ) .  
وعهد القائد العثماني الى أحد مساعديه ويدعى حاجي البيكي ( Hadji  
Ilbeki ) بمباغتة هذه القوات الصليبية المتحالفة . واقتحم القائمــد  
العثماني المعسكر المسيحي ومعه أربعة آلاف فارس مسلم ، وأوقع فيهم  
الوعب ، ولم يلبثوا الا قليلا وسط النداءات الاسلامية ، حتى ولووا

---

(١) كمال الدسوقي ، الدولة العثمانية ، ص ٢٢ - ٢٣ .

(٢) الشناوي ، نفس المرجع ، ص ٦٠٣ .



الأدبار تاركين الثرى مخضبا بدمائهم • وأطلق على مكان هذه الواقعة  
( هزيمة الصرب ) وعرف قائد الفرسان العثماني بأنه " أسد الحرب وسند  
الاسلام " . (١)

ونجم عن هذه الهزيمة الساحقة لهذا التحالف المسيحي ، وهذا  
الانتصار العثماني أن استكمل العثمانيون فتح اقليم تراقيا ، ومقدونيا  
الذى كان بداية لاستسلام أراضى السلافيين الجنوبيين • وبالتالى أصبح  
تهديدا خطيرا للوجود البيزنطى فى المنطقة كلها حيث أدى هذا بدوره  
الى موقعة قوصوه ( كوسوفا ) Kossova سنة ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م .  
(٢)

وكانت جمهورية راجوزة ( Raguse ) فى دلماشيا قد أعلنت ولائها  
للسلطان العثمانى مراد الأول حيث أوفدت اليه بعثة سياسية عقدت معه  
معاهدة ودية ، وتجارية ، سنة ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م تعهدوا فيها بدفع  
اتاة سنوية للدولة العثمانية المسلحة ، مقدارها خمسمائة قطعة ذهبية ،  
وكانت هذه أول معاهدة أمضيت بين العثمانيين ودولة مسيحية . (٣) ووصل

---

(١) الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٠٤ ، كمال الدسوقي ، نفس المرجع ص ٢٣ .

(٢) كهريلى ، قيام الدولة العثمانية ، ص ٢٨٢ ، عبد القادر اليوسف ،  
الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١٨٠ ، نبيه عاقل ، الإمبراطورية البيزنطية ،  
ص ٣٤٧ .  
Cam. Med. Hist. Vol. 4, p.672

(٣) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٤٥ ، الشناوى ، نفس المرجع ص ٦٠٤ .

العثمانيون بعد ذلك الى جنوبي بلغاريا ، وشرق الصرب سنة ٧٦٨ هـ /  
سنة ١٣٦٦ م . وفى عام سنة ٧٧٨ هـ / سنة ١٣٧٦ م فتح العثمانيون  
المدينة القوية نيسا (١) ( NISSA ) مما أدى بأمر الصرب لزار  
( Lazar ) الى طلب الهدنة ، وتعهد بدفع جزية سنوية قدرها  
ألف قطعة فضية ، ونهج هذا النهج سيشمان ( Sischman ) ملك  
بلغاريا ، بعد أن طوقه العثمانيون فى نيقوبوليس على نهر الدانوب ،  
وقبل أن يدفع للعثمانيين اتاوة ، وأن يزوج ابنته للسلطان مراد الأول ،  
ولكن لما تأخر سيشمان ملك بلغاريا فى دفع الاتاوة للسلطان مراد الأول  
شن العثمانيون عليه سنة ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م حربا خاطفة واستولوا على  
مدينة صوفيا ، بعد حصار استمر ثلاث سنوات من سنة ٧٨٣ هـ / سنة  
٧٨٥ هـ ( سنة ١٣٨١ م - سنة ١٣٨٣ م ) . وانطلق العثمانيون بعد  
ذلك فى قلب البلقان ، وفتحوا عددا آخر من المدن أهمها مدينة سالانيك  
التي فتحها الصدر الأعظم خير الدين باشا . (٢)

(١) مدينة نيسا : ويقال لها نيش : مدينة فى جنوب الصرب ، واقعة على  
الطريق الموصول الى القسطنطينية وسالانيك ( أنظر : محمد فريد ، الدولة  
العلية ، ص ٥٧ ) .

(٢) Hogarth: The Balkans, P.327; Marriatt:History of Europe, p. 65.

وسالانيك ، بلد من أعمال مقدونية فى طرف خليج سالانيك شرق مصب نهر  
وردار ، عند سفح تل يشرف عليها من الشمال الشرقى ، وهى البلدة  
اليونانية القديمة التى شيدها كاساندر ( Cassander ) فى جنوب بلاد  
مقدونية على بحر الارخبيل على موقع ثرما ( Therma ) . وقد أطلق على  
المدينة اسم زوجته أخت الاسكندر الأكبر الكبيرة المسماة ( سالونيك ) .  
( أنظر : دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد ١٢ ، ص ٥٧ ) .

وسبب هذا التوسع الكبير والسريع للدولة العثمانية لم يلبث أن واجهه  
العثمانيون خطر تحالف بلقاني صليبي ، تكون ضد العثمانيين سنة ٧٨٩ هـ  
/ ١٣٨٧م بقيادة الممالك السلافية في شمال القسطنطينية وفريزيا ، فقد  
لازار ( Lazare ) ملك الصرب معاهدة تحالف مع سيثمان ( Sisc-  
hman ) ملك بلغاريا ، واستهدف الملكان اعداد حملة كبيرة ضد العثمانيين  
وقد ضمت هذه الحملة عدا القوات الصربية والبلغارية قوات من البشناق ،  
والمهرسك ، ومن البانيا ، وبولندا ، والمجر ، ودبروجه . (١)

وتحالت كل هذه القوات ضد السلطان العثماني المسلم مراد الأول ،  
وحصلت على مساعدات من سكان ولاشيا الذين كانوا من أصل روماني ، ومن  
المجريين . أما روسيا رأس العائلة السلافية ، فقد كانت ترزخ في ذلك  
الوقت تحت وطأة أقدام المغول ، كما أن الدول المسيحية في غرب وشمال  
أوربا كانت تنظر الى هذا التحالف بدون اهتمام يذكر . لأن السلاجقة  
الصليبية في الغرب كانت قد ضعفت ولم يعد هناك فائدة ترجى لتبليبة

---

(١) البشناق : Les Bosniaques هم أهل إقليم البوسنة ، والمهرسك :  
إقليم جبلي في أوربا الشرقية وهو حاليا جزء من يوغوسلافيا ، ويطلق  
المهرسك أيضا على سكان هذا الإقليم ، ودبروجه : إقليم من أقاليم  
رومانية الحالية .  
أنظر : الشناوي ، نفس المرجع ، ص ٦٠٥ ، فيشر ، تاريخ أوربا  
العصر الوسطى ، ق ٢ ، ص ٤٥٠ - ٤٥١ .

النداء الصليبي ضد العثمانيين المسلمين ، وذلك لأن الأحوال الداخلية في هذه الدول خلال القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، كانت لا تشجع على ذلك التحالف ، كما أن مسلك حكام إنجلترا وفرنسا وألمانيا في أواخر القرن الثامن الهجري كان يعكس ما ظهر من ريتشارد قلب الأسد وفيليب أغسطس ، وفردريك الثاني ، وفيهم من ملوك أوروبا الصليبية ، والذين كانوا قد خرجوا قبل ذلك على رأس حملات صليبية . (١)

وطالب المتحالفون الصليبيون من البابا أوربان الخامس ( Urban V ) أن يحرض أوروبا النصرانية لمساعدتهم ، ولكن دون جدوى . وقام البلغاريون ، والصربيون ببدء القتال . وذلك بمفاجأة جيش عثماني كان يتحرك عبر البوسنة ، وبلغت القوات التي حشدت قرابة مائتي ألف جندي صليبي (٢) استطاعوا إيقاع هزيمة عسكرية أليمة بالعثمانيين في معركة بلوشنيك ( Plochnik ) سنة ١٣٨٧ / ٧٨٩ م . (٣) وهدأ المسيحيون بعد هذه الهزيمة المؤلمة حقاً للعثمانيين . ورأى الوزير العثماني على باشا كاجراء عسكري مؤقت - أن يعمل على الفصل بين الصرب ، والبلغار ، فهاجم شمالاً بلغاريا ، وانتزع من سيستان ملك البلغار عدة مدن ، أهمها ( Tirnova ) وشومولا

---

(١) فيشر، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ق ٢ ، ص ٤٥٠ ، نوار، الشعوب الإسلامية ، ص ٣٥ ، كمال الدسوقي ، الدولة العثمانية ، ص ٢٤ .

(٢) الشناوي ، نفس المراجع ، ص ٦٠٥ .

(٣) سعيد عاشور ، أوروبا العصور الوسطى ، ص ٦٤١ ، Ostrogorsky: op. cit, p. 54; Inalcik: op. cit, p. 15.

( Choumla ) • وألجأ سيثمان ملك بلغاريا الى الفرار ، والتحصن في نيقوبوليس<sup>(١)</sup> على الدانوب ، والتي حاصرها على باشا في الوقت الذي وصل فيه السلطان مراد الأول قادما من الأناضول • وهرع سيثمان ملك بلغاريا لمقابلة صهره السلطان مراد الأول زوج ابنته يطلب اليه الصلح • وقد استجاب له السلطان مراد الأول<sup>(٢)</sup> على أن يدفع الاتاوة المتأخرة ، وأن يستولى على مدينة سيليستره ( Silistria ) ، ولكن سرعان ما دب<sup>(٣)</sup> الخلاف بينهما قبل توقيع معاهدة السلام واستؤنفت الحرب من جديد • وهاجم العثمانيون المسلمون وعلى رأسهم على باشا مدينة نيقوبوليس مرة أخرى وحاصروها ، وشدّد الهجوم على حامية المدينة • وخرج سيثمان ومعه زوجته وأولاده أمام على باشا ، فأجالهم الأخير الى السلطان العثماني<sup>(٤)</sup> مراد الأول الذي غفا عن صهره وأبقى على حياته وحفظ له عرشه •

أما لازار ملك الصرب ، فضايقه ما حدث ، وقام بجمع القوات الباقية من أعضاء الحلف الصليبي ، واستعدت هذه القوات الصليبية المتحالفة لمحركة فاصلة ، وفرت ملك الصرب هذه القوات الكبيرة المدد التي حشد لها ،

---

(١) نيقوبوليس : معناها مدينة النصر أسسها الإمبراطور الروماني تراجانوس المتوفى سنة ١١٧ م •

(٢) محمد فريد ، الدولة الحلية ، ص ٤٦ — ٤٧ ، Inalcik: op. cit., pp. 10-11.

(٣) بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ص ٢٦ ، Creasy: op. cit., pp. 28-29.

(٤) الشناوي ، نفس المرجع ، ص ٦٠٦ •

وداخله الفخر ، والثقة فى النفس ، حتى أنه أرسل الى السلطان — مراد الأول العثمانى يتحداه الى معركة فاصلة . (١)

تولى السلطان مراد الأول بنفسه القيادة ، وجمع مجلس الحرب ، ومجلس الشورى ، ليناقتشهم فيما اذا كان من الأصوب مهاجمة أعدائه ، الذين يفوقون قواته فى العدد ، ورأى الكثير من قادته أنه من الأصوب وضع الجبال بحمولتها فى الصف الأمامى للجيش ، حتى تكون ستارا حاميا ، وفى الوقت نفسه تحدث الاضطرابات فى خيول الأعداء بمنظرها ، ورائحتها . لكن الأمير بايزيد الأول الابن الأكبر للسلطان مراد الأول عارض هذا البرأى وقال : ان القدرة الالهية تساند دائما البيت العثمانى الذى يجاهد فى سبيل الله ولاعلاء كلمة التوحيد ، ونشر دين محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، " وأنه يجب علينا أن نواجه أعداء الله وجها لوجه ، وأن يكون هذا العدو هو هدفنا فى الشهادة أو النصر " . ثم فتح الأمير بايزيد القرآن الكريم على الآية التى تقول ( كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بآذن الله ... ) . (٢) ثم هذه الآية ( يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال

---

(١) بروكلمان ، نفس المرجع ، ص ٢٦ ، يوسف أضاف ، سلاطين آل عثمان ، ص ٢٨ ، سالم الرشيد ، محمد الفاتح ، ص ٣٠ .

(٢) سورة البقرة — آية ٢٤٩ .

ان يكن منكم عشرون صابرون يخلبوا مائتين وان يكن منكم مائة صابرة يخلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون (١) واستبشر المسلمون بالنصر ، وما النصر الا من عند الله . (٢) وقضى السلطان مراد الليل بطوله ضارعا الى الحولى سبحانه وتعالى فى صلاة حارة ، طالبا منه العون على أعدائه الصليبيين ، والشهادة فى سبيل الله واعلاء كلمة لا اله الا الله . (٣)

أما الجانب الآخر الصليبي ، فلم تنته مداولات أمراءه الطويلة الى نتيجة حاسمه ، فالبعض نصح بقيام هجوم مباغت على العثمانيين فى الليل ، وذلك للانتقام من مأساة نهر ماريتزا ، (٤) قبل ذلك بست وعشرين سنة . ولكن الفريق الآخر عارض هذا رأى ، وذلك لما يحويه من مخاطرة كبيرة ، فالعدو بذلك يكون له فرصة الهرب فى الليل ، وذلك خلافا للنهار ، حيث لا تكون لديه أية فرصة للهرب من النصر المرتقب . وكأن القدر وحده هو الذى كان يقودهم للهزيمة الشنعاء ، كيلا يستطيعوا هم الفرار فى الليل (٥) من وجه العثمانيين المسلمين ، وذلك فى وقعة قوصوه ( Kossova ) .

(١) سورة الأنفال ، آية رقم ٦٤ .

(٢) سورة آل عمران ، آية ١٢٦ .

(٣) على سفيح ، الترك والاسلام ، ص ٧٧ .

Creasy: op. cit., pp. 29-30.

(٤) أنظر ما سبق ص ٥٨ .

(٥) الشناوى ، أوربا فى مطلع العصور الحديثة ، ص ٦٠٦ .

Inalcik: op. cit., p. 15; Ostrogarsky: op. cit., pp. 546-547.

وأخيرا أشرق النصارى على المعسكرين ، وعند الفجر هطلت أمطار غزيرة أزاحت النصارى ، ومدت هذه الأمطار للسلطان مراد الأول وأتباعه كعلامة تدل على أن الله معهم . وتوقفت الأمطار بعد قليل ، وخرج الجيشان من الخيام الى ميدان المعركة استعدادا للقتال ، ونظم العثمانيون صفوفهم على الطريقة المعتادة ، حيث كان الأمير بايزيد الأول يقود الميمنة ، وكان أخوه الأمير يعقوب يقود الميسرة ، هذا فى الوقت الذى كان السلطان مراد الأول بنفسه فى القلب مع قواته الرئيسية ، وفرسان حرسه ، أما فى الجانب المسيحى الصليبي ، فقد كان الملك لازار Lazar يقود القلب ، وابن أخيه يقود الميمنة ، وملك البوسنة يقود الميسرة . (١)

واندفع الجيشان فى حماسة وقوة ، والتقى بعنف ، وكانت أحداث ذلك اليوم متأرجحة قليلا ، فقد تراجعت القوات الآسيوية فى الجناح الأيسر لجيش المسلمين أمام محاربى الصرب الذين أخذوا يدفعونهم الى الجناح المسيحى الأيمن . ولكن الأمير بايزيد أحضر نجدات من الميمنة ودخل المعركة ، وحارب بنفسه وبدرعه الثقيلة فى قلب المعركة . (٢)

وانجلى المعركة أخيرا عن انتصار المسلمين انتصارا باهوا ، وحاسما ،

---

(1) Creasy: op. cit., p. 31.

(2) Creasy: op. cit., p. 31.



وأُقتل السلطان مراد الأول قبيل نهاية المعركة بيد أحد نبلاء الصرب حيث طعنه بخنجر<sup>(١)</sup> ، وأسر لازار ملك الصرب ، وقتله الانتكشارية انتقاماً منهم لمقتل سلطانهم مراد الأول . ووقع الكثير من المتحالفين الصليبيين في الأسر من أمراء وملوك أوروبا ، وكانت هذه هي أحداث موقعة قوصوه ( Kossova ) كوسوفا في سنة ٧٩٢ هـ / ١٥ من يونيو سنة ١٣٨٩ م .<sup>(٢)</sup>

وهذه الهزيمة النكراء في قوصوه ( Kossova ) ، فقدت الصرب استقلالها ، وانتشر الاسلام بين الصربين ، حيث تحول عدد كبير من الأشراف الاقطاعيين القدامى الى الاسلام بمحض ارادتهم اذ وجدوا انهم من المتحذرين عليهم الهجرة الى البلاد المسيحية المجاورة وغبوا في الحفاظ على امتيازاتهم القديمة من ناحية أخرى . وكان العثمانيون قد قرروا ، الابقاء على هذه الامتيازات لمن يعتنق الاسلام . كذلك فقد البلغار

---

(1) Lodge: The Close of the Middle Ages, p. 503.

(٢) هامرتن ، تاريخ العالم ، المجلد (٥) ، ص ٤١١ ، محمد فريد ، الدولة البلية ، ص ٤٧ - ٤٨ ، فيشر ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ق ٢ ص ٤٥٠ - ٤٥١ ،

Creasy: op. cit., pp. 31-32; Charles Diehl: History of the Byzantine Empire, p. 163.

ممتلكاتهم في البلقان ،<sup>(١)</sup> وأتيح بذلك للقوات العثمانية المسلمة أن تتساقب مرة أخرى جديدة فوق الأراضي البلقانية . وهذا ظهر للعالم المسيحي الصليبي بأن الأتراك العثمانيين المسلمين يمكن أن يبقوا في منطقة البلقان كهوة كبرى متفوقة ، ولا يمكن الوقوف في وجه التوغل الاسلامي العثماني في شرق أوروبا .<sup>(٢)</sup>

أعلن بايزيد الأول الذي يطلق عليه الصاعقة سلطانا بعد مقتل أبيه في قوصوه ، فجنى بذلك ثمار النصر الذي دفع والده السلطان مراد الأول حياته ثماله . وفي تلك الأثناء توفي الإمبراطور البيزنطي حنا الخامس سنة ١٣٩١م ، فخلفه ابنه مانويل الثاني الذي اضطر هو الآخر الى الاعتراف بالتبعية العثمانية .<sup>(٣)</sup>

ورأى السلطان بايزيد الأول أن يقيم علاقات ودية مع ما تهق من دولة الصرب ، وقد استهدف السلطان بايزيد الأول من وراء هذه السياسة اتخاذه الصرب دولة حاجزة بينه وبين دولة المجر ، ولذلك لم يجد ستيفن بمن لا زار

---

(١) سرهنك ، حقائق الأخبار ، ج ١ ، ص ٤٩٢ ، الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٠٧ — ٦٠٨ .  
Creasy: op. cit., p. 32.

(٢) سرهنك ، نفس المرجع ، ص ٤٩٢ — ٤٩٣ ، على سفيهم ، الترك والاسلام ، ص ٨ ، نبيه عاقل ، نفس المرجع ، ص ٣٤٨ .

Gibbons: The foundation of the Ottoman Empire, pp. 198-199.

ملك الصرب بدا من أن يعلن خضوعه ، وتبعيته للسلطان بايزيد الأول الذى تزوج من أخته المسماه أوليفيرا ، ( Olivera ) ( ١ ) .

ومضت الفتوح الاسلامية العثمانية بعد ذلك فى البلقان بلا عائق . وقد بحث السلطان بايزيد الأول بجيوشه الى بلغاريا فاكسحها ، واستولى على اقليم ولاشيا ( رومانيا الحالية ) . وسقوط مدينة تيرنوفو ( Tirnovo ) فى سنة ١٣٩٦ هـ / ١٣٩٣ م فى يد العثمانيين ، تمت سيطرتهم على كـل بلغاريا . ( ٢ )

وكانت الأحوال فى أوروبا فى ذلك الوقت خلال الربع الأخير من القرن الثامن الهجرى — أى الربع الأخير من القرن الرابع عشر — كانت تبدو مهيأة لحرب صليبية ، حيث كان الضغط العثمانى على الحدود الجنوبية الشرقية للبلاد الأوربية يدعو لقيام حرب صليبية ، وكان لسقوط ويديين Widdin فى أيدي العثمانيين ما جعل سيجسمند ( Segismund ) ملك المجر يثير أتباع المسيحية الكاثوليكية ضد هؤلاء الأعداء الجدد لهم وهم العثمانيون المسلمون . يضاف الى ذلك أن الفتوحات الاسلامية فى شمال نهر الدانوب قد أحدثت أيضا رعبا لدى المجرين ، والولش وغيرهم ، فوجود تلك

---

( ١ ) الهناوى ، أوروبا فى مطلع العصور الحديثة ، ج ١ ص ٦١٠ .

( ٢ ) الهناوى ، نفس المرجع ، ج ١ ص ٦١١ . Ostrogorsky: op.

cit., p. 849. بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج ٣ ، ص ٢٧ .

الحامية العثمانية الاسلامية الصغيرة في مدينة نيقوموليس هو الذي شجـع  
(١) المسيحيين في كثير من البلدان للاشتراك في هذا التحالف الصليبي الأوربي .

وفي سنة ٧٩٧ هـ / ١٣٩٤ م أصدر البابا بونيفاس التاسع  
Boniface IX في مدينة روما مرسومين صليبيين ، يدعو فيهما إلى  
حملة صليبية في شرق أوروبا ، مع منح الفخران لكل من يشترك ضد العثمانيين  
المسلمين . (٢)

وانتشر دعاة الحملة الصليبية التي يقودها سجنند والبابا بونيفاس  
التاسع وكثير من أعضاء الكنيسة اللاتينية ، فعلى سبيل المثال اجتمع مائة  
فارس فرنسي عند مدينة بودا ( BUDA ) ومنحوا ملك المجر خدماتهم  
ضد المسلمين ، وساعدهم على ذلك توقف حرب المائة عام بين انجلترا وفرنسا  
في ذلك الوقت وتوقيع الهدنة بينهما . (٣)

وفي نفس الوقت حصل وليام مارشال برجنديا على تعليمات بالذهاب إلى  
بودا ليخبر سجنند باستعداد دوقات برجنديا ، وأورليان ، ولانكستر  
للاتفاق على مشروع هذه الحملة الصليبية . وفي سنة ٧٩٨ هـ / سنة ١٣٩٥ م

---

(1) Atiya: The Crusade in the later; p. 436.

(٢) سالم الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ٣٢ ;

Atia: op. cit., p. 436/ Hidden: op. cit., p. 27.

(3) Atiya: op. cit., p. 436 ; Creasy: op. cit., p. 35.

بدأت المفاوضات لاعداد الحملة الصليبية في جمهورية البندقية التي كان موقعها الجغرافى مناسباً لكل الأطراف المتحالفة وكان لموافقتها ، وتعاونها من الأمور الأساسية لنجاح أية حملة صليبية ضد المسلمين العثمانيين . ووصل الصليبيون الى مدينة بودا ( BUDA ) ، وكان هذا على وجه التقريب فى سنة ٧٩٩ هـ / يوليو سنة ١٣٩٦م ، ووصلت الفرقة الانجليزية أيضاً فى نفس الوقت تقريباً . واشتركت فى الحملة الصليبية أربعة أروبا كلها ، بقواتها وفرسانها ، ألمانيا ، وانجلترا ، واسكتلندا ، وسويسرا ، ولوكسمبورج ، والأراضى المنخفضة الجنوبية ، وبعض الامارات الإيطالية . وقدمت البندقية الأموال والأسطول اللازمين . . كما انضمت الى الحملة قوات من بولنده ، واقليم ولاشيا ، واقليم ترنسلفانيا . . وتجمع حوالى مائة وعشرين ألف مقاتل من مختلف هذه الجنسيات بقصد القضاء على توسع الدولة العثمانية الاسلامية داخل الدولة المسيحية الصليبية وخاصة الدولة البيزنطية . (١)

ومحمد أن عقد مجلس الحرب للنظر فى الخطط الحربية الصليبية ، وغب الملك سجمند فى اتباع تكتيكات عسكرية دفاعية ، وانتظار العثمانيين فى قواته المجرية . ولكن اقتراحات الملك سجمند لقيت رفضاً كبيراً من جانب قادة الفرق الأوربية الأخرى الذين أتوا كما ذكر المؤرخ المصطفى ( FROISSART ) " لغزو دولة الأتراك كلها . والمسير الى امبراطورية فارس ، ومملكة الشام والأراضى المقدسة " . ونجحوا فى فرض ارادتهم على الملك المجرى وخصوصاً النبلاء الفرنسيين . وسارت الجيوش المتحالفة

---

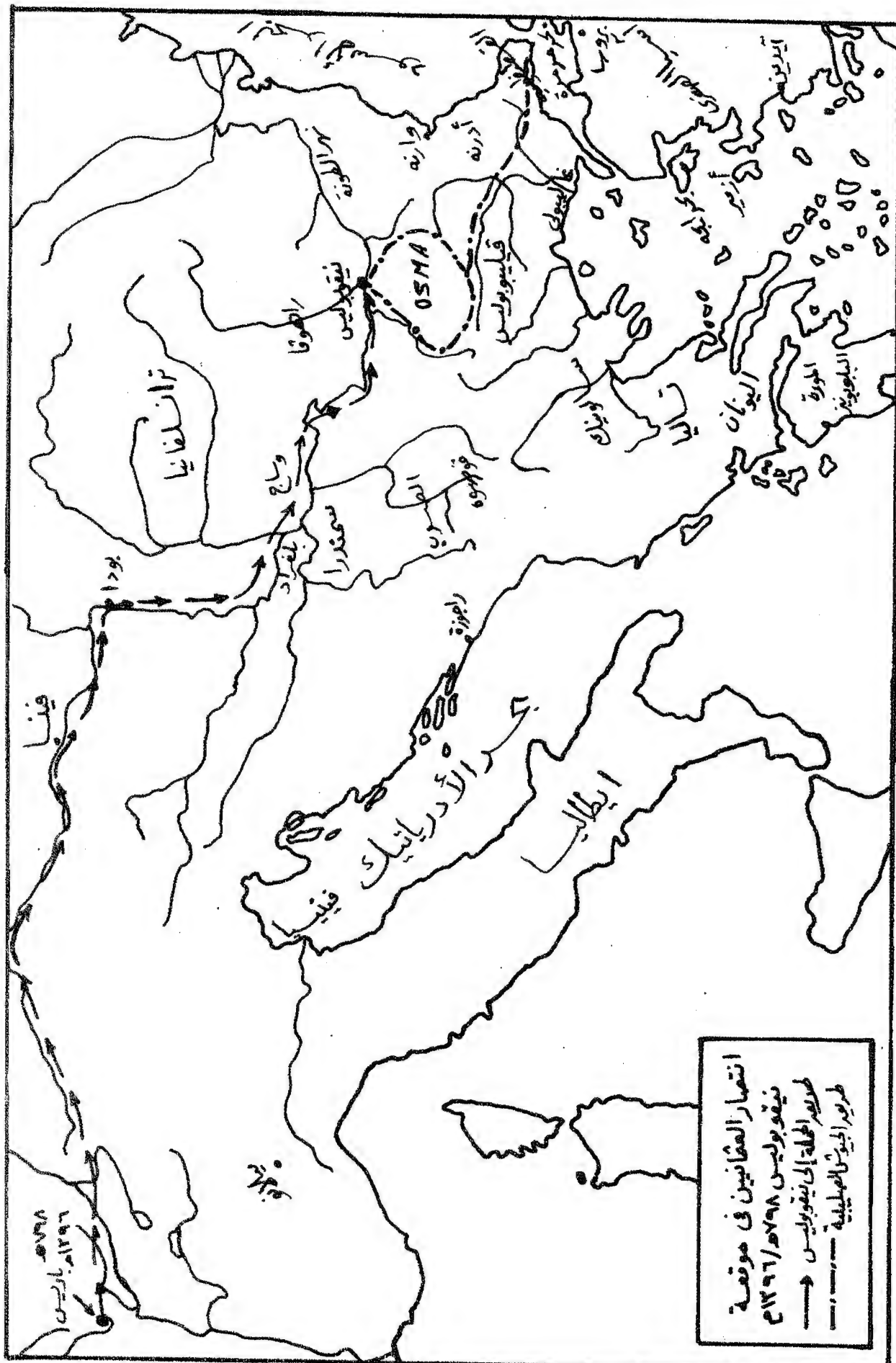
(١) بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج ٣ ، ص ٢٨ ، الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦١٣  
Vasiliev: History of the  
الرشيدي ، نفس المرجع ، ص ٣٢  
Byzantine Empire, pp. 629-630.

ضد الإسلام والمسلمين على ضفاف نهر الدانوب حتى وصلوا الى مدينة أورسوفنا ، ( ORSOVA ) (١) . وعبر الصليبيون البوابة الحديدية على مقربة من المدينة ، واندفع الفرسان الفرنسيون في المقدمة وخربت باقي القوات المسيحية على دفعات ، ففريق اتخذ طريق ترانسلفانيا ، وولاشيا ، وفريق آخر عبر الصرب الى الممتلكات العثمانية ، ومع ذلك فقد ظل ملك الصرب مخلصا على تحالفه مع السلطان بايزيد الأول ، مما كان له أثر سيء عليه وعلى مواطنيه فقد عوملوا بقسوة وشراسة ، من جانب الجيش الصليبي الذي أحدث فيهم جرائم مروعة ، وخصوصا تجاه رعايا الصرب من الأرثوذكس الفقراء ، فكانوا يسلبونهم ممتلكاتهم ، وفي طريقهم الى نيقوموليس استولى الصليبيون على مدينة ويدين Widdin وكان يحكم هذه المدينة أمير بلغاري تحت حماية عثمانية ، فسلم المدينة بدون مقاومة ، إلا أن الصليبيين بغدرهم المصهود ذبحوا طائفة الأتراك المسلمين الموجودين بها . كما استولى الصليبيون على مدينة راهوفا ( RAHOVA ) ، ولكنهم واجهوها في حصارها بعض المشكلات الكبيرة ، وذلك لأن المدينة كانت محاطة بسورين عظيمين ، وكانت تحميها حامية عثمانية مسلحة قوية ، فلما رأى العثمانيون مصير زملائهم في مدينة ويدين ، قاوموا مقاومة شديدة وراء تحصيناتهم ، للدفاع عن المدينة حتى الشهادة في سبيل الله . (٢) ومع ذلك سقطت

---

(١) الشناوي ، نفس المرجع ، ص ٦١٦ . Atiya: op. cit., p. 443.

(٢) Atiya: op. cit., p. 443.



المراجع : Atiya : The Crusade in the Later Middle Ages.

المدينة أخيرا ومعد عناء كبير في أيدي الصليبيين الذين قتلوا سكانها غدرا ،  
ما عدا الأغنياء من السكان الذين قبض عليهم طمعا في فداء كبير من المال  
وذلك بعد أن أشعلوا النار في المدينة كلها . (١)

وسار الجيش المسيحي الى نيقوموليس ، التي كانت تقع على مقربة من  
مدينة OSMA وتواجه وادي ألوتا ( ALUTA ) وتتحكم في طرق  
الدانوب الرئيسية التي تصل ما بين بلغاريا ، وولاشيا ، ويشكل موقعها مشكلة  
كبيرة حيث كان يحيط بها سوران عظيمان وأبراج عالية . وأقامت في  
نيقوموليس حامية تركية قوية تحت قيادة قائد تركي مسلم يسمى دوجان بك  
( Dogan Bay ) أو يوجلون بك ( Yoglun Bay ) (٢) .

وقام القائد التركي المسلم بالدفاع عن المدينة — دفاع المستميت  
الذي يطلب الشهادة في سبيل الله — خير قيام على أمل أن السلطان  
بايزيد الأول لن يترك هذه المدينة الهامة تسقط في أيدي أعدائه . (٣)

وكان السلطان بايزيد مشغولا في ذلك الوقت بحصار القسطنطينية ،  
وعندما وصله أخبار التحالف الصليبي بين دول أوروبا المسيحية ، لم

---

(1) Atiya: op. cit., p. 443.

(٢) الشناوي ، نفس المرجع ، ص ٦١٦ ، Hidden: op. cit.,  
p. 27. ; Atiya: op. cit., p. 444.

(3) Creasy: op. cit., pp. 36-37. / Hidden: op. cit., pp.  
27-28.



يشغله حصار القسطنطينية عن دعوة كل قوات العثمانيين في آسيا وأوروبا فاجتمع لديه كل فرق الجيش ومنها أحد عشر ألفا من السباهي في عاصمته .

اجتمعت الجيوش العثمانية في أدرنه ، عاصمة العثمانيين في ذلك الوقت ، واضطر السلطان بايزيد الأول لرفع الحصار عن مدينة القسطنطينية ليواجه التجمع الصليبي فخرج من أدرنه الى وادي ماريتزا ، ثم الى مدينة فيليبولى ، حيث اكتمل عدد الجيش العثماني بكل فرقته . (١)

أخذت الجيوش العثمانية الطريق المباشر عبر جبال البلقان وتقدمت الى منطقة نيقوموليس على نهر الدانوب ، وأقامت معسكرها في ٢٤ من سبتمبر سنة ١٣٩٦ م / سنة ٧٩٩ هـ على مرتفعات حصينة على مقربة أربعة أميال جنوب الدانوب . وكان يقع بينهم وبين النهر سهل فسيح كانت تطل عليه مدينة نيقوموليس ، ثم بعد ذلك تحصينات المدينة نفسها . وكانت قيادة السلطان بايزيد الأول للجيش العثماني المسلم أحسن بكثير من قيادة أعدائه الصليبيين وخاصة الفرنسيين الذين اجتاحتهم الضرور ، والثقة في أنفسهم حيث كانوا يتخيلون أنهم أمام معركة بسيطة ، وأنهم أمام قوم بحيدين كل البعد عن النظام ، والطاعة للأوامر ، ولم يتوقعوا أنهم أمام قوة المسلمين جنود الله في الأرض . ولم يتصوروا أنهم يحاربون أناسا باعوا أنفسهم لله

---

(١) الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦١٦ - ٦١٧ .

ورسوله من أجل نشر العقيدة المحمدية ، يحاربون ، ولا يهابون الموت ،  
ولذلك أهمل الصليبيون حمل الآلات الحربية للحصار والتي كانت تستخدم  
آنذاك بحيث لم يكن أمام الصليبيين إلا أن يحاصروا المدينة ، حتى يموت  
سكانها المسلمون جوعا وتسلم لهم . وبدأ الضعف يدب بينهم ، وانتشر  
الفساد بين المحاربين الصليبيين ، اذ قضوا أوقاتهم في المقامرة ، وشرب  
الخمر ، وارتكاب الجرائم ، والردائل رغم نصائح رجال الدين المسيحي لهم (١)  
واعتقد الصليبيون أيضا أن بايزيد لن يستطيع عبور البسفور هو وجنوده ،  
هذا في الوقت الذي كان فيه السلطان بايزيد الأول يعبر البسفور بسرعة  
كبيرة ، وتكتم عظيم ، ويتقدم بقواته المنظمة ، الى أن أصبح على بعد  
سنة فراسخ منهم . (٢)

بلغ من غرور الصليبيين ان كان الكونت نيفارا وفرسانه الفرنسيين في مجلس  
الحرب في ٢٤ سبتمبر سنة ١٣٩٦ م / سنة ٧٩٩ هـ حينما وصل اليهم الرسل  
محلين أن بعض أفراد جنود الاستطلاع رأوا جيشا عثمانيا كبيرا على مقربة  
منهم . وقطع الفرنسيون آذان الرسل ونظروا اليهم على أنهم يحملون لمصلحة  
العثمانيين . (٣) ولما تأكدت الحقيقة للصليبيين ، أقدموا على ذبح ألف

---

(1) Creasy: op. cit., p. 37 ; Atiya: op. cit, p. 445.

(٢) بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج ٣ ، ص ٢٨ ، عزيز سوريال عطية ، العلاقات  
بين الشرق والغرب ص ٩٦ .

(٣) المازني ، تاريخ الدولة العلية ، ص ١٥ ؛ Atiya: op. cit., pp. 445 - 446 .

أسير عثماني ، كانوا قد وقعوا في أيديهم في أثناء زحفهم من بودا ( BUDA )  
عاصمة المجر الى مدينة نيقمبوليس . (١)

وكان الخلاف في مجلس الحرب الصليبي على أشده في ٢٤ سبتمبر سنة ١٣٩٦ م / سنة ٧٩٩ هـ ، حيث ظهرت الخلافات في الرأي الصليبي بينهم بشكل خطير . وكان هذا الخلاف سببا من أسباب الكارثة التي حلت بهم في النهاية . واقترح سجنسند الملك المجرى — الذي كان على علم تام بالتكتيكات العثمانية في حروبهم — أن يكون خط الهجوم الأول في الجيش الصليبي من الفرسان الولاشين ، وذلك ضد مقدمة القوات العثمانية ، وأن يشكل فرسان المجر خط الهجوم الثاني ، أما الفرسان الفرنسيون ، فاقترح أن يكون وضعهم في خط الهجوم الثالث ، بحيث يشكلون قلب الجيش الصليبي ، ليقابلوا خيرة القوات العثمانية المسلحة ، ثم تقف في مؤخرة الجيش باقى القوات المجرية ، والألمان ، والبشناق ، وسائر الفرق الصليبية . ومع أن القادة الكبار رأوا الأخذ بنصيحة سجنسند إلا أن الكونت نيفارا القائد الفرنسي ، وبعض القادة الشبان عارضوا ذلك تدفعهم روح التعصب الصليبي الأعى ، وروح التحدى والرغبة في الحصول على شرف الانتصار ، مؤكدين أن الفرسان الفرنسيين لن يجعلوا المجرين في حاجة الى دخول المعركة .

---

(١) الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦١٢ .

(١) وقول ذلك باستحسان كبير من النبلاء الفرنسيين ، وضع السلطان بايزيد الأول قوته الرئيسية في سهل على مقربة من المعسكر الصليبي حيث كان هناك مرتفع من الأرض في الوسط ، حجب الأتراك العثمانيين عن أعين أعدائهم الصليبيين . وأرسل السلطان بايزيد قواته غير النظامية الى الأمام معضدين بقوة من الانكشارية ويقسم كبير من الفرسان ، واستبقى أربعين ألفاً من خيرة قواته في هذا السهل . (٢)

أما في الجانب الآخر فان الفرسان الفرنسيين البالغ عددهم ستة آلاف من الفرسان الأقوياء ، فانهم هجموا باندفاع كبير ، غير منتظرين معارضة من القوة الرئيسية المجرية ، والتي كان يقودها الملك سجنند بنفسه ، والتي كانت تتقدم ببطء شديد في ذلك الوقت . واخترق الفرنسيون قوات الأتراك الغير نظامية بكل سهولة ، ثم هاجموا قسماً من الانكشارية المتقدمة فتدخلت صفوفهم . ووصل الفرنسيون الى قوات الأتراك النظامية ، الذين كانوا يحاولون تغطية انسحاب اخوانهم . وفر هذا النجاة في بداية الموقف بالفرنسيين ، وقام النبلاء الفرنسيون وعلى رأسهم الكونت نيفارا بتتبع السباهي المسلمين حتى وصلوا الى الأرض المرتفعة ، وهم في حالة من الاعياء الشديد ، محقدين أن ذلك هو نهاية يوم عظيم . ولكنهم وجدوا

---

(١) عزيز سوريال ، العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٩٦ .

(٢) عزيز سوريال ، نفس المرجع ، ص ٩٧ .  
Creasy:op. cit,p. 37.

أنفسهم — ليس أمام الأتراك العثمانيين المهزيمين كما توقعوا بل — أمام غلبة قوة من الرماح الإسلامية • فقد كان السلطان بايزيد بنفسه على رأس قواته المحاربة • والذين بدأوا في التقدم وأطاحوا بالفرنسيين من كل جانب • أما القوات العثمانية والتي ظننها الفرنسيون أنها قد انهزمت • فقد عادوا الى الجيش الرئيسى • وأصبحت في نفس الوقت خلف الفرنسيين قاطعة عليهم كل أمل في التراجع أو الهرب • وفزع الفرنسيون وأدركوا أن ذلك لم يكن الا بداية النهاية • اذ رأوا خلف الأفق فرسان بايزيد الأول وقواته الموالية من جنود الصرب تحت قيادة ستيفان لازار فيتش (١) (Stephane Lazarevitch )

وقاتل الفرنسيون • ولكن انتهى بهم الأمر بأن أصبحوا قتلى أو أسرى في جيش المسلمين • ولم ينج منهم الا النزر القليل • (٢)

وبعد الانتهاء من الفرنسيين أعاد السلطان بايزيد الأول تنظيم قواته • وتقدم مباشرة الى حيث ملك المبر سجمند • وفي الحال هوب الجناحان

---

(١) عزيز سوريال • العلاقات بين الشرق والغرب • ص ٩٢ • الشناوى • نفس المرجع • ص ٦١٨ • كمال الدسوقي • الدولة العثمانية • ص ٢٢ •

(٢) بروكلمان • تاريخ الشعوب • ج ٣ • ص ٢٧ — ٢٨ • عزيز سوريال • العلاقات بين الشرق والغرب • ص ٩٦ • الشناوى • نفس المرجع • ص ٦١٨ •

الرئيسيان للجيش المسيحي الصليبي المتحالف لهول ما شاهده من المسلمين الشجعان ، وذلك بدون أية محاولة منهم للاشتراك في المعركة . أما الوسط الذي كان يقوده الملك سجسند نفسه ، والذي كان يتكون من البافاريين والمجريين ، فلم تسعفهم الفرصة للهرب ، ووقفوا رغم ارادتهم أمام التقدم التركي المنظم . واستطاعوا إجبار الانكشارية على التراجع في أول الأمر ، ولكنهم فوجئوا بهجمات القوات المصرية بقيادة الملك ستيفان والذين حاربوا كحلفاء لبازيد في هذه المعركة . (١)

وانتهى الأمر أخيراً بهزيمة تامة للجيش الصليبي ، ودمرت قوات سجسند المجرية وقتل كثيرون من النبلاء البافاريين وغيرهم وذلك في يوم صليبيية نيقوموليس سنة ٧٩٩ هـ / ٢٥ من سبتمبر سنة ١٣٩٦ م . ولاشك أن هذه المعركة قد وطدت مركز العثمانيين في البلقان بصورة لم يكن أحد من الصليبيين يتوقع حدوثها ، في أوروبا كلها ، أو العالم أجمع ، في ذلك الوقت في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي . (٢)

---

(1) Vasiliv: op. cit., p. 629; Creasy: op. cit., p. 39.

(٢) شاكرا الحنبلي ، التاريخ العثماني ، ص ٢٥ ، فيشر ، تاريخ أوروبا  
العصور الوسطى ، ق ٢ ، ص ٤٥١ ، سوريال ، العلاقات ، ص ٩٧  
و ١٣٤ ، المازني ، تاريخ الدولة العلية ، ص ١٥ ، يوسف  
أصاف ، تاريخ سلاطين آل عثمان ص ٣٣ ، كمال الدسوقي ، الدولة  
العثمانية ، ص ٢٦ / ٢٧ ، Charles Diehl: op. cit., p. 163

وخرج العثمانيون المسلمون بفنائم كثيرة ، وعدد ضخم من الأسرى  
وكان بين الأسرى كثير من مشاهير الفرسان النبلاء في أوروبا ، مما جعل  
السلطان بايزيد الأول يحصل منهم على فدية كبيرة .

أما بقية الصليبيين فحاولوا الهرب عن طريق السهول الغربية ، ولكن  
قطع عليهم الأتراك العثمانيون محاولتهم هذه في الهرب ، وحاول الآخرون  
السباحة في النهر ، ولكنهم غرقوا لثقل ما يحملونه من دروع وأسلحة ، ووقع  
بقية الصليبيين في الأسر . (١)

وهنا تجدر الإشارة الى أسباب هذا النصر الكبير الذى أحرزه السلطان  
بايزيد الأول وجيشه العثماني المسلم الذى كان لا يهاب الموت ، ويحرص  
على الشهادة في سبيل الله . وأهم هذه الأسباب هى الطبيعة الفير  
المتجانسة للجيش الصليبي ، والأهداف المتعارضة ، والآمال المتعددة  
بينهم ، والتي كان لها كبير الأثر في هذه الهزيمة الشنعة التى منوا بها .  
والى جانب هذا كان الجانب العثماني في هذه الحرب تربطه وحدة الهدف ،  
والتنظيم الكبير الذى أعطى صورة مخالفة تماما للصليبيين . (٢)

وساعد نظام التيمار على تحقيق هذا النصر ، ففي هذا النظام كانت

---

(1) Creasy: op. cit., p. 39 ; Shaw: History of the Ottoman Empire, Vol. I., pp. 33-34.

(2) Atiya: op. cit., p. 447.

الاقطاعات تمنح في مقابل الخدمة العسكرية حسب رغبة السلطان ، وليست مقابل خدمة عسكرية معلومة في عدد من الأيام المحدودة ، كما هو الحال في الغرب . وكان الحاصلون على هذه الاقطاعات يدينون بالولاء للسلطان وحده . وكان عليهم أن يمدوا جيش السلطان بفارس معد يكامل أسلحته مقابل ٣٠٠ أسبرا ( ASPERS )<sup>(١)</sup> من دخلهم . وهذه الوسيلة كان في مقدور السلطان العثماني في القرن الثامن الهجري - الرابع عشر الميلادي - أن يجهز جيشا قوامه ٧٥ ألف رجل . وساعد على انتصار الممضيين الصفات الخلقية لأفراد الجيش العثماني حيث كان ممنوعا في المعسكرات العثمانية<sup>(٢)</sup> الخمر ، والنساء ، والمقامرة ، واللبا ، ما قضى الرجال أوقات فراغهم في الصلاة . وفوق هذا كله كانت الطاعة هي أعظم ما يتحلون به ، وإيمانهم العميق بأنهم انما يقاتلون من أجل الحق ، ولتحقيق قضية مقدسة ، هي الجهاد في الاسلام . والذي شجع الأتراك المسلمين أن لا يخشوا الموت السدى يمنحهم تاج الشهادة والفردوس الدائم . يضاف الى ذلك كله الصفات الخلقية الممتازة التي كان يتميز بها بايزيد الأول بصفته القائد الوحيد للجيش العثماني ، فقد كانت على النقيض تماما بالنسبة للصفات التي كان يتمتع بها سجنده والتي كانت تتمثل أساسا في ضعف شخصيته فضلا عن الفرور الحنيد والمكابرة التي تميز بها أصحابه من الفرنسيين<sup>(٣)</sup>.

(١) أسبرا ( ASPERS ) عملة نقدية.

(2) The Cam. Hist. of Islam, Vol. I., p. 273.; Atiya : op. cit., pp. 447-448.

(3) Inalcik: op. cit., p. 16 ; Atiya: op. cit., p. 449.



ويصف المؤرخ العربى المعاصر ابن حجر العسقلانى السلطان بايزيد الأول بقوله " (كان أعظم ملوك العالم ) " ويستطرد قائلا " كان مرهوب الجائبة يحب العلم والعلماء ويقدر كل من كان له المام كبير بعلوم القرآن " . (١)

وكانت أساليب الأوربيين فى الحرب أقل كفاءة من أساليب الأتراك العثمانيين ، حيث كانت التكتيكات التى تعتمد على الفرسان المدججين بالحديد قد فقدت تأثيرها المميت أمام خفة حركة الأتراك فى اختراق صفوف المسيحيين ، وفى استخدام السهام (٢) .

بعد هذا الانتصار الرائع الذى أحوزه السلطان بايزيد الأول على التحالف الصليبي فى معركة نيقوموليس سنة ٧٩٩ هـ / سنة ١٣٩٦ م ضيق السلطان العثماني الخناق على الدولة البيزنطية . فلقد أدى هذا الانتصار العثماني على هذا التكتل الدولى الصليبي الواسع النطاق الى توطيد أقدام العثمانيين فى البلقان ، حيث انتشر الفزع بين الشعوب البلقانية وتوغل الجنود العثمانيون متعقبين فلول الصليبيين فى ارتدادهم . واقتصر السلطان بايزيد من حكام شبه جزيرة المورة اللاتين الذين قدموا مساعدات عسكرية للصليبيين ، وبعد هذا لم يبق أحد من هذه الدولة الصليبية يستطيع أن يعد

---

(١) ابن حجر ، أنباء النمر ، ج ٢ ، ص ٢٢٦-٢٢٧ .

(2) Atiya: op. cit., p. 449.

المساعدة للدولة البيزنطية التي كانت هي الأخرى ترزخ تحت وابل الحسب الأهلية . وقد انتهز السلطان بايزيد الأول فرصة هذه الحرب الأهلية وأخضع في سنة ٨٠٠ هـ / سنة ١٣٩٧ م كلا من أبيروس وتساليا ثم تحول بعد ذلك محاولا الاستيلاء على القسطنطينية ليحقق للمسلمين هذا الحلم في سقوطها . ومن ثم تحرك على رأس قواته ، وضرب نطاقا محكما من الحصار حول العاصمة وأخذ يضغط عليها ضغطا لا هوادة فيه . وبينما كانت أوروبا تتوقع سقوط القسطنطينية بين لحظة وأخرى ، فإذا بالسلطان العثماني بايزيد الأول ينصرف عن فتح القسطنطينية بعد أن قبل الإمبراطور البيزنطي بشروط السلطان بايزيد الأول ، وهي دفع عشرة آلاف قطعة ذهبية كل سنة والتخلي عن أحد أحياء القسطنطينية ليكون مسكنا للمسلمين ، وأن يبنوا بها مسجدا جامعاً لاقامة شعائر الدين الخفيف ، وتعيين قاضٍ شرعي للفصل في دعاوى المسلمين . (١) وكان من أسباب رفع الحصار عن القسطنطينية أيضا هو تصميم السلطان على دفع الخطر المغولي ، وعلى رأسه تيمورلنك الذي جاء بجيش جرار لمهاجمة الدولة العثمانية . (٢)

وكانت الدولة العثمانية وعلى رأسها السلطان بايزيد الأول تستشعر هذا

---

(١) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥٠ ، شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي ، ص ٢١٨ .

(٢) زيني دحلان ، الفتوحات الإسلامية ، ص ٧٣ .

Inalcik: op. cit., p. 16.

الخطر المفولى الذى يتهددها من الشرق ، وحال دون استمرار حصار القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية وأدرك السلطان منذ توليه الحكم أنه لابد من منازلة هذا الغازى المفولى ، ومن أجل هذا اتجهت همته منذ البداية الى تقوية مركزه فى آسيا الصغرى ، فانتزع قونية من أمير قرمان سنة ٧٩٤ هـ / سنة ١٣٩١ م ، وأدخل تركمان قيصارية ، وسيواس فى طاعته . وفى سنة ٧٩٦ هـ / سنة ١٣٩٣ م سلم أمير قسطنونى ممتلكاته أيضا للعثمانيين . ولجأ الى تيمورلنك من نجا من القتل والأسر من أمراء الأناضول ، وكانوا جميعا يحرضون تيمورلنك على دخول بلاد الترك العثمانيين<sup>(١)</sup>

وكان المسيحيون أيضا يحرضون تيمورلنك ، كما اتصل الإمبراطور البيزنطى حنا السابع بتيمورلنك أيضا ، وكان البيزنطيون فى القسطنطينية قد وعدوا تيمورلنك أنه اذا انتصر على السلطان بايزيد الأول العثمانى أن يدفعوا له الجزية التى يتقاضاها السلطان بايزيد الأول منهم . وكان ملك فرنسا شارل السادس يشجع هذا التدخل لصالح صديقه الإمبراطور البيزنطى . وأرسل السلطان بايزيد الأول ابنه أرطغرل الى آسيا الصغرى ليصد هجمات تيمورلنك ، ولكن تيمورلنك استطاع أخذ أرطغرل أسيرا لديه وقطع رأسه .

---

(١) البكرى ، المنح الرحمانية ، ورقة ٣ ، ١٦٠ . Inalcik: op. cit., p. 160.

(٢) محمد فريد ، الدولة الحلية ، ص ٥١ ، سالم الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ٣٣ - ٣٤ .

ومعد أن تبادل تيمورلنك والسلطان بايزيد الأول بعض الرسائل ، دخل تيمورلنك في أراضى الدولة العثمانية . (١) وجمع السلطان بايزيد جيوشه وسار لمحاربة تيمور ولكنه تعجل في هذا الأمر ، فجمع جيشا صغيرا جدا بالنسبة لجيش خصمه تيمورلنك ، الذى بلغ جيشه ثمانمائة ألف مقاتل . (٢)

وتقابل الجيشان في سهل أنقرة في ١٩ من ذى الحجة سنة ٨٠٤ هـ / ٢٠ من يولية سنة ١٤٠٢ م . واستمرت الحرب يوما كاملا ، وأظهر بايزيد الأول شجاعة نادرة ، ولكن جيشه ضعف ، وذلك نتيجة لفرار الجنود التتار الذين كانوا في جيش السلطان بايزيد الأول ، وكذلك انفض عنه في أثناء المعركة أتراك آيدين ، وضتشاء وصاروخان ، وكرمان بعد أن رأوا أمراءهم يحاربون في صفوف تيمورلنك . ولم يبق مع السلطان بايزيد الأول إلا خمسة أو عشرة آلاف انكشارى ، وهاكر الصرب حيث ثبتوا ثباتا باسلا حتى المساء . ولم يستطع السلطان بايزيد الأول الصمود في وجه التتار رغم شجاعته واستماتته هو ومن بقى معه من الجند ، حتى يقال انهم عجزوا عن القبض عليه لشجاعته ،

- 
- (١) أنظر ابن عرب شاه ، كتاب تيمور ، مخطوط ، ورقة ٥٨ ، ابن حجر ، أبناء الفخر ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ .
- (٢) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ٢ ، ابن تفرى بردى النجوم الزاهرة ، ج ١٢ ، ص ٢١٦ ، ابن حجر العسقلانى ، أبناء الفخر ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ .
- (٣) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥١ ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج ٣ ، ص ٣١ .

وقوته ، فرموا عليه بساطا وأمسكوه • وأخذوه هو وابنه موسى أسيرين •  
وهوب باقى أبناء بايزيد الأول • (١)

وقبض تيمورلنك على السلطان بايزيد الأول • وأحسن معاملته فى بادىء  
الأمر • لكنه شدد عليه الأسر بعد أن قام السلطان بايزيد الأول بمحاولتين  
للهرب • ولكن السلطان بايزيد الأول توفى فى الأسر فى أول المحرم سنة  
٨٠٥ هـ / ٨ من مارس سنة ١٤٠٣ • وعندما سمع تيمورلنك بذلك حزن  
حزنا شديدا عليه • فقد كان بايزيد الأول من أكبر ملوك الاسلام • وأكثرهم  
غزوا فى بلاد الكفار • وكان ينكر على ملوك عصره تقاعدهم عن الجهاد فى سبيل  
الله • وسمح تيمورلنك بدفنه فى جامع بروسا • (٢)

وأعاد تيمورلنك كثيرا من الامارات الآسيوية الى أصحابها من الأمراء  
السابقين الذين دانوا له بالطاعة • كذلك استعادت الدولة البيزنطية  
كثيرا من أملاكها السابقة • واستعادت أيضا الدول الأخرى المغلوبة •

---

(١) البكرى ، المنح ، ورقة ٤ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، تحقيق محمد مصطفى  
ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦٦٠ ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج ٣ ، ص ٣١ ،  
محمد فريد ، الدولة الحلية ، ص ٥١ .  
(٢) البكرى ، المنح ، ورقة ٤ ، ابن حجر ، أبناء الفخر ، ج ٢ ، ص ٢٢٥  
— ٢٢٦ ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج ٣ ، ص ٣١ ، فيشر ، تاريخ أوروبا  
العصور الوسطى ، ق ٢ ، ص ٤٥ •

(١)

كالصرب ، والبُلغار ، والمورة ، سيادتها واستقلالها .

وقد أجلت هذه الهزيمة من سقوط القسطنطينية لمدة خمسين عاما أخرى بعد أن أوشكت على السقوط في أيدي العثمانيين . وكادت هذه الهزيمة أن تقضى على الدولة العثمانية لولا أن هلك تيمورلنك سنة ٨٠٧ هـ / سنة ١٤٠٥ م ، وقسم أبنائه مملكته ووقعت الخلافات بينهم ، مما أضعف سلطانهم في آسيا الصغرى وفي أكثر ممالكهم . وتخلص العثمانيون من سلطة المغول ولكنهم عندما تخلصوا من القوة الخارجية ظهر بأسهم بينهم ، فكثر الخلاف الداخلي على السلطة بين أبناء السلطان بايزيد الأول ، مما نتج عنه اشتعال الحرب الأهلية داخل السلطنة العثمانية . (٢)

ودام النزاع بين أبناء السلطان بايزيد الأول ما يقرب من اثني عشر عاما . انتهت باعتلاء السلطان محمد الأول بن السلطان بايزيد الأول العرش ، الذي يسمى بمحمد جلبي ويعتبر المؤسس الثاني للدولة العثمانية ، وكان أشد أخوته بأسا ، وأوفرهم نشاطا وحيوية . (٣)

---

(١) ابن حجر ، أبناء النضر ، ج ٢ ، ص ٢٢٦ ، أومان ، الإمبراطورية البيزنطية

ص ٢٥٥ - ٢٥٦ ، سعيد عاشور ، أوروبا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٦٤٢

(٢) فيشر ، تاريخ أوروبا ، ق ٢ ، ص ٤٥٢ ، Ostrogorsky: op. cit.,

p. 495 ; Shaw: History of the Ottoman Empire. Vol. I., pp. 37 - 38.

(٣) Shaw: op. cit., pp. 38 - 39 - 41.

وعمل السلطان محمد الأول على تنظيم دولته بحيث مهد الطريق أمام من جاء بعده من السلاطين العثمانيين لتكملة عملية الفتح الاسلامي مرة أخرى في أوروبا . (١) وواصل السلطان محمد الأول جهوده الكبرى لاتمام دار بناء السفن في غاليلوى ، بحيث يستطيع مواجهة أعداء الدولة العثمانية بحوا اذا لزم الأمر . واستطاع بذلك استعادة القوة الى الدولة العثمانية ، وتوحيد أملاك أبيه ، عندئذ لم يسع الامبراطور البيزنطى وغيره من الأوربيين سوى تقديم فروض الولاء الى السلطان مرة أخرى . (٢) الا أن المنية أدركت السلطان محمد الأول فى سنة ٨٢٤ هـ / سنة ١٤٢١م فأسلم الروح فى مدينة أدرنه بعد أن أوصى للحكم لابنه مراد الثانى . (٣) وكان على السلطان مراد الثانى أن يستأنف حركة الجهاد الاسلامى ضد البيزنطيين وهو موضوع الفصل الثالث .

.. . . .

- 
- (١) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥٤ ، أومان ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٥٦ ، سعيد عاشور ، أوروبا الحصور الوسطى ج ١ ، ص ٦٤٢ .
- (٢) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥٤ ، أومان ، نفس المرجع ، ص ٢٥٦ .
- (٣) البكرى ، المنح الرحمانية ، ورقه ٤ ، Ostrogorsky: op. cit., p. 495.

## الفصل الثالث

### جهاد السلطان مراد الثاني ضد البيزنطيين

- حصار العثمانيين للقسطنطينية ١٤٦٦ هـ / ١٤٩٢ م ونتائجه.
- استعانة الأمبراطور حنا الثامن بالقوى الأوربية ضد العثمانيين .
- هزيمة حملة صليبية أوربية في موقعة واردة (قارنة) ١٤٤٨ هـ / ١٤٤٤ م .



كانت الكارثة التي حلت بالدولة العثمانية في وقعة أنقرة محنة قاسية ، فقد أدت موقعة أنقرة التي وقعت بين السلطان بايزيد الأول ، وبين تيمورلنك في ١٩ من ذي الحجة سنة ٨٠٤ هـ الموافق ٢٠ من يولية سنة ١٤٠٢ م الى اضطرابات داخلية في الدولة العثمانية ، تمثلت في الخلافات الدائمة التي وقعت بين أبناء بايزيد الأول ، واستمرت هذه القلاقل وتلك الصراعات مدة تقرب من اثنى عشرة سنة ، لم تنته الا في عام سنة ٨١٦ هـ / سنة ١٤١٣ م عندما قضى السلطان محمد الأول بن السلطان بايزيد الأول على تلك الخلافات ، وأعاد الأمن والاستقرار ، والمهدوء الى البلاد . (١)

وكان السلطان محمد الأول على نفس مستوى والده السلطان بايزيد الأول ، جم النشاط على المهمة ، استعمل حكمه باسترداد الامارات العثمانية التي استغلت فرصة الغزو المغولي ، وخرجت عن طاعة الدولة العثمانية ، وهذه الامارات هي امارة آيدين ، (٢) وصاروخان ، ومنتشا Menteche

---

(١) أنظر ما سبق الفصل الثاني .

(٢) " آيدين " واسمها القديم ترالس Tralles مدينة في آسيا الصغرى على نهر دباع ( طباق جاق ) ( قديما ايدون Eudon ) وهو أحد نهيرات نهر مندريس Meandres . ( دائرة المعارف الإسلامية مادة آيدين )

المظلة على بحرايجه ، وأضاليا<sup>(١)</sup> Adalia التي كانت آخر مدينته  
في إمارة تكا Tekka ، تطل على البحر المتوسط ، وكان السلطان بايزيد  
الأول قد فتحها سنة ٧٩٤ هـ / سنة ١٣٩١ م . (٢)

واستنفذ هذا الأمر من السلطان محمد الأول جهودا كبيرة ، حتى  
استطاع إعادة السيطرة العثمانية على تلك البلاد مرة أخرى . وما هي  
الاسلام في الضفط على جيران الدولة العثمانية حول تخومها الغربية ، وأن  
يواصل الافارات على الأراضي المجرية . وكان المأمول أن يحقق هذا السلطان  
الحازم للدولة العثمانية أمجادا عظيمة ، بعد أن حقق هذه البداية الطيبة  
في احياء بحركة الجهاد الاسلامي ضد القوى الصليبية ، لكن الموت لم يسلمه  
حتى يكمل خطته ، ومشروعاته حيث توفي في مدينة أدرنه عام ٨٢٤ هـ /  
سنة ١٤٢١ م . (٣)

- 
- (١) أضاليا : ستاليا بالانجليزية ( Stalia ) وأطاليا عند الأقدمين ، عاصمة  
سنجق في ولاية قونية ، وهي إحدى موانئ البحر المتوسط على خليج  
يسمى باسمها وتقوم على صخرة منحدره ترتفع عن سطح البحر بخمسين مترا  
وشكل تلك المدينة شبيه بحذوة الفرس ، ويحيط بها ثلاثة أسوار بعضها  
وراء بعض ، وتسمى قواعدها مياه دودن ( Duden ) ويترجم هذا  
السور الى العهد الروماني ، ( دائرة المعارف الاسلامية مادة أضاليا ص ٦٩ )  
(٢) الشناوي ، أوربا في مطلع الحصور الحديثة ، ج ١ ، ص ٦١٠ .  
(٣) الشناوي ، نفس المرجع ، ص ٦٢٢ . Fisher: op. cit., p. 182 .

خلف محمد الأول ابنه السلطان مراد الثانى الذى حمل من بعد أبيه مسئولية استرجاع البلاد التى كانت خاضعة للدولة العثمانية ، والتى كانت قد فقدتها الدولة العثمانية بعد غزوة تيمورلنك . فكانت أولى أعماله إبرام الصلح مع أمير قرمان ، والاتفاق مع ملك المجر سچسموند على هدنة لمدة خمس سنوات ، حتى يتفرغ لارجاع ما شق عصا الطاعة من ولايات آسيا . ولكن حدث ما شغل السلطان مراد عن القيام بهذا العمل ، وذلك أن الدولة البيزنطية حاولت أن تتحرر من الخضوع للدولة العثمانية ، فقد كانت بيزنطة تدفع اتاوة سنوية الى العثمانيين منذ سنة ٧٩٩ هـ / سنة ١٣٩٦ م عقب هزيمة الصليبيين فى معركة نيقوبوليس . وكانت هذه الأتاوة تدفعها أيضا كل من بلاد الصرب ، والبوسنة ، والافلاخ . (١) وتجلت هذه المحاولة البيزنطية فيما طلبه الامبراطور البيزنطى مانويل باليولوفوس من السلطان مراد الثانى . وهو أن يتعهد له بعدم محاولته مطلقا ، وأن يسلمه اثنين من اخوته ليكونا رهائن فى بيزنطة ضمانا لعدم نقضه والتزامه بهذا الشرط .

وهدد الامبراطور البيزنطى مانويل السلطان مراد الثانى فى حالة رفض طلبه أن يطلق سراح عمه مصطفى ابن السلطان بايزيد الأول ، والذى كان أسيرا فى سالونيك . وكان الغرض من هذا التهديد هو إثارة الحقد

---

(١) سرهنك ، حقائق الأخبار ، ج ١ ، ص ٥٠٠ .

(2) Creasy: op. cit., p. 62.

المتاعب في وجه السلطان مراد الثاني ، واثارة القلاقل والفتن وانشغاله بهما بعيدا عن الدولة البيزنطية . وكان من الطبيعي أن يرفض السلطان مراد الثاني الاذعان لهذه المطالب .

وحين وصل الى مانويل باليولفوس رفض السلطان مراد الثاني لكل شروطه ، أطلق سراح الأمير مصطفى ، عم السلطان مراد الثاني ، وزوده بعشرة مراكب حربية تحت أمرة دم تريوس لاسكاريوس فأتى بها وحاصرو مدينة غاليبولى فسلمت له ما عدا قلعتها التي حاول انتزاعها ولكنه فشل . وفرض الأمير مصطفى على قلعة غاليبولى حصارا شديدا وذلك لمنع أية امدادات تأتى اليها من جانب السلطان مراد الثاني . ثم اتجه الأمير مصطفى بعد ذلك الى مدينة أدرنه في محاولة للاستيلاء عليها ، وذلك بعد أن استطاع أن يستميل اليه أعدادا كبيرة من الجنود العثمانيين . وقد تمكن الأمير مصطفى من اثاره الفتنة بهذه الجموع الخفيرة ، إلا أن الوزير بايزيد باشا خرج لمحاربتة ، فتقدم اليه مصطفى بجيوشه واستطاع قتل بايزيد باشا . ثم زحف الأمير مصطفى بعد ذلك بقواته عبر الدردنيل الى آسيا بجيش كبير ، وفي ذلك الوقت تحرك السلطان مراد الثاني لمواجهة عمه ، وأظهر براعة ، ومقدرة حربية ممتازة ، وهزم الأمير مصطفى في القتال ، وانضم كثير من قوات الأمير مصطفى الى جيش السلطان العثماني مراد الثاني ، وفر الأمير مصطفى الى مدينة غاليبولى ، فسلمه بعض أتباعه الى ابن أخيه مراد الثاني ،

(١)  
فأمر بشنقه سنة ٨٧٦ هـ / سنة ١٤٢٢ م .

وحين فرغ السلطان مراد الثاني من فتنة عمه الأمير مصطفى اتجه إلى الانتقام من الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني بالبولوغوس جزاء ما أثاره من مشكلات وفتن . ورأى السلطان مراد الثاني بثاقب نظره أن الضرورة الموجهة يجب أن تكون بالاستيلاء على القسطنطينية معقل المسيحية ، وهدف المسلمين الأوائل منذ الفتح الإسلامي ، طمعا في بشرى الرسول عليه الصلاة والسلام " لتفتحن القسطنطينية " فلنعم الأمير أميرها ، ولنحسم الجيش ذلك الجيش " . (٢)

من هذا المنطلق أراد السلطان مراد الثاني أن يفوز بالشهادة ، ومشى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه في هذا الجهاد العظيم بفتح تلك المدينة ، التي استعصت على من خلفوه من المسلمين الأوائل ، فأخذ أهله لذلك ، وبدأ في حصارها في سنة ٨٧٦ هـ / أوائل يونية سنة ١٤٢٢ م . (٣) ولما أحس الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني بنوايا السلطان مراد الثاني ، حاول استرضاءه ، فأرسل إليه عدة سفارات تحمل إليه الأعذار ، وتحاول إخماد

---

(١) سرهنك ، حقائق الأخبار ، ج ١ ، ص ٥٠٠ ، محمد فريد ، الدولة العلية ص ٥٤ - ٥٥ Inalcik: op. cit., 19; Creasy: op. cit., p. 60.  
(٢) أنظر أحاديث فتح القسطنطينية في صحيح مسلم ج ٨ ص ١٧٦-١٧٧ .  
(٣) سرهنك ، حقائق الأخبار ، ج ١ ، ص ٥٠٠ ، الشناوي ، نفس المرجع ج ١ ، ص ٦٢٤ ، Creasy: op. cit., p. 60

الأمر إلى ما كانت عليه . ولكن السلطان مراد الثاني كان قد عقد العزم على الجهاد في سبيل الله ، ورفض الاستجابة لهذه السفارات أو قبول هذه الاعتذارات . وفي يوم ٣ من رمضان سنة ٨٢٦ هـ / ٢٤ من أغسطس سنة ١٤٢٢ م كان السلطان مراد الثاني يقف على أبواب القسطنطينية ومعه عَشْرُونَ ألفاً من أحسن الجنود الذين انتقاهم لهذه المعركة الهامة . (١)

وكانت خطة السلطان مراد الثاني أن يجمع بين حصار القسطنطينية ، وضرب القوات البيزنطية فيما حولها . لهذا أفرد السلطان مراد من جنده عشرة آلاف مقاتل تحت قيادة القائد العثماني ميخائيل بك ووجههم للانغارة على أراضي الإمبراطورية البيزنطية خارج أسوار القسطنطينية . أما بقية الجيش المسلم فقاده السلطان مراد الثاني بنفسه ، وخصه لحصار القسطنطينية . وقد أحكم السلطان مراد الثاني الحصار على القسطنطينية بمهارة فائقة ، وعبقريّة خارقة ، كانت تدر في العمليات الحربية المعاصرة . وأقام السلطان مراد الثاني خطاً للتحصينات على مدى سبعين من أسوار المدينة . وكانت هذه التحصينات تتمثل في سور ممتد من البحر حتى القرن الذهبي ، ليتمكن السلطان مراد الثاني من السيطرة على تلك الأراضي التي حول المدينة ، وحصارها . وأقيم هذا الخط من سد تراي مدعم بأخشاب قوية ،

---

(١) شاكر الخبلى ، التاريخ العثماني ، ص ٣٢ ، Hidden: op. cit., p. 45.

(2) Creasy: op. cit., p. 60. ; Hidden: op. cit., p. 45.

ومدرع بصخور قوية لا تؤثر فيها النيران الأفريقية . وفي حماية هذا الخط الاستراتيجي كان جيش السلطان مراد الثاني يستعد للهجوم ، متربيا اللحظة المناسبة . وأعد السلطان لقواته أبراجا متحركة لتحمل القوات الى أسوار المدينة ، ولتقل البارود الى المواقع الأمامية . ولأول مرة في التاريخ استعملت المدافع من جانب العثمانيين المجاهدين في هذه المعركة . (١)

وقد ذكر بعض الباحثين أن السلطان مراد الثاني أراد إثارة حماس جنوده المسلمين المجاهدين ، وحث روح الجهاد والنصرة الدينية بينهم ، فأعلن أن لكل مجاهد من المجاهدين المشتركين في عملية الحصار ، والذين سوف تفتح المدينة على أيديهم ، سوف يكون له نصيب من الكنوز الموجودة بالمدينة . غير أنه يجب الإشارة هنا الى أن هناك من الدوافع الدينية والرغبة المتمكنة في قلوب الجند العثمانيين لفتح القسطنطينية معقل المسيحية ما طغى على كل دافع أو رغبة أخرى .

وبلغ الحماس الديني ذروته حيث انضم الى الجيش العثماني خمسمائة من الشباب المتدين تدبنا عميقا ، والمتفقه في علوم الدين ، وكان على رأس هؤلاء شيخ يدعى بالشيخ البخاري ، وهو عم السلطان العثماني مراد الثاني ،

---

(1) Ostrogorsky: op. cit., p. 497 ; Creasy: op. cit., p. 61.

الذى أخذ بدوره هو وجماعته ييث روح الجهاد بين صفوف الجند العثمانيين ، وأعلنت هذه الجماعة المنضمة الى الجيش العثماني وعلى رأسهم الشيخ البخاري أنهم سيقودون المسلمين لفتح القسطنطينية . وفى يوم ٤ من رمضان سنة ٨٢٦ هـ / ٢٥ من أغسطس سنة ١٤٢٢ م تقدم الجيش العثماني بقيادة السلطان مراد الثانى تجاه القسطنطينية . وكان الجنود يسترخصون الموت ، ويطلبون النصر ، ويستعجلون الشهادة فى سبيل الله . وبدأ الهجوم عنيفا ، وقابله الجنود البيزنطيون باستماتة واستبسال ، وقاموا على أسوار المدينة يدافعون عنها . وكان القتال عنيفا على أشده قرب بوابة سانت رومانوس St. Romanus حيث استبسل الفريقان . (١)

حاصر العثمانيون القسطنطينية بضعة شهور ولكن فى أوائل سنة ٨٢٧ هـ / ١٤٢٣ م أمر السلطان مراد الثانى برفع الحصار عن المدينة ، ولم تكن للأسباب التى ذكرها بعض الباحثين ، بسبب نقص المدفعية ، ونقص قواته البحرية ، وإنما السبب الرئيسى لفك الحصار هو ما بلغ السلطان من قيام فتنة ضده بجمعات الأناضول بتحريض من أخيه مصطفى جلبي الذى شق عليه عصا الطاعة ، وكان الأمير مصطفى قد استعان على أخيه السلطان مراد الثانى

---

(١) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥٥

Hidden: op. cit., p. 45. ; Creasy: op. cit., p. 61.

(٢) أنظر : سوريال عطية ، العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ١٣٧ .



ببعض أمراء آسيا الصغرى الذين كان تيمورلنك قد رد اليهم أقاليمهم التى انتزعها العثمانيون منهم ، وتوجه السلطان مراد الثانى سريعا لاختاد هذه الفتنة . وتمكن من ذلك بعد أن قبض على الأمير مصطفى وقتله فى سنة ٨٢٧ هـ / سنة ١٤٢٣ م . (١) ووقع الرعب فى قلوب من ساعده من الأمراء ، وتنازل أمير قسطنطين عن نصف أملاكه للسلطان مراد الثانى ، وزوجه ابنته اظهارا لاختلاصه ، وولائه للسلطان .

وكان من نتيجة حصار السلطان مراد الثانى للقسطنطينية ، أن وافق الإمبراطور البيزنطى مانويل الثانى باليولوجس من جديد على دفع الاتى السنية التى كان قد فرضها من قبل السلطان بايزيد الأول على أبيه ، وتقدرها بحض المصادر بمبلغ ثلاثين ألفا من الدوكات ، والبعض الآخر يقدرها بخمسين ألفا من الدوكات . (٢) ووافق الإمبراطور البيزنطى أيضا على تسليم الممدن الواقعة على البحر الأسود الى السلطان العثمانى مراد الثانى ، وأن يتنازل عن جميع ممتلكاته ماعدا مدن القسطنطينية ، وسالونيك ، ومنطقة البلومونيز .

---

(١) ابن حجر ، أنباء الفجر ، ج ٣ ، ص ١٣٣ ، أومان ، الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٢٥٨ .

(٢) أومان ، الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٢٥٨ ، والدوكات : هى عملة ذهبية كانت تسكها مدينة البندقية من الذهب الخالص .

وفي السنة التالية ٨٢٨ هـ / سنة ١٤٢٤ م شق قوه جنيد حاكم غاليبولى  
عصا الطاعة على السلطان العثمانى مراد الثانى واستولى على اماره آيدىن ،  
لكن القائد العثمانى حمزه بك أخو الوزير العثمانى بايزيد باشا استطاع  
هزيمته ، وقهره ، وقبض عليه وأمر بخنقه ، فتخلصت الدولة بذلك من  
هذا الخائن سنة ٨٢٨ هـ / ١٤٢٤ م . (١)

كما أعاد السلطان مراد الثانى الى أملاك الدولة العثمانية ولايات  
آيدىن ، ومنشا ، وصاروخان ، وغيرها من الامارات التى شقت عصا الطاعة  
عليه أثناء فتنة الأمير مصطفى . واسترد كذلك بلاد كرميان بعد أن قتل  
أميرها محمد بك وعين ابنه ابراهيم واليا عليها مع منحه بعض الامتيازات بشرط  
أن يتنازل عن اقليم الحميد . (٢) وفي عام ٨٣١ هـ / سنة ١٤٢٧ م فتحت  
قلعة كوكرجينك على نهر الدانوب . (٣) وفي عام ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م توفى  
أمير كرميان عن غير عقب ، وأوصى بما كان باقيا له من بلاده الى السلطان مراد

- 
- (١) سرهنك ، حقائق الأخبار ، ص ٥٠٠ ، محمد فريد ، الدولة العلية ،  
ص ٥٥ .  
(٢) سرهنك ، نفس المرجع ، ص ٥٠٠ ، محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥٥ .  
(٣) فريدون بك ، منشآت السلاطين ، ج ١ ، ص ٢٠٣ ، ساجع الحصرى ،  
البلاد العربية ، ص ٢٠ .

الثاني ، وذلك آلت اماره كرميان للسلطان مراد الثاني العثماني ، ويكون بذلك قد استرد السلطان مراد الثاني جميع ما فصله تيمورلنك عن السلطنة العثمانية . (١)

وهذا استطاع السلطان مراد الثاني — بقضائه على تلك الفتن والحروب الأهلية — أن يتفخ لاسترداد ما فقدته الدولة في أوربا بعد موت السلطان بايزيد الأول ، فابتدأ السلطان مراد الثاني بمحاربة ملك المجر سجسند الذي كان منبع اثاره للفتن في الدولة العثمانية ، ومعطلا لحركة الجهاد الاسلامي . وقامت محاربة شديدة ومعارك عنيفة بينه وبين السلطان مراد الثاني اتم فيها فتح كولمباتز Kolumbatz الواقعة على الشاطئ الأيمن لنهر الدانوب . وأرغم السلطان مراد الثاني ملك المجر على توقيع معاهدة ، تنازل بموجبها الى السلطان العثماني عن كل البلاد الواقعة على شاطئ نهر الدانوب الأيمن ، بحيث أصبح النهر حدا فاصلا بين أملاك الدولة العثمانية ، والمجر في سنة ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م . (٢)

وفي سنة ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م أسرخ أمير الصرب جورج برنكوفيتش ( Georges Brankovitch ) الى استرضاء السلطان مراد الثاني ،

---

(١) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥٥ . Inalcik: op. cit., p.19.  
(٢) سرهنك ، حقائق الأخبار ، ج ١ ، ص ٥٠٠ ، الشناوي ، أورنا في مطلع العصور الحديثة ، ج ١ ، ص ٦٢٦ .

وتعهد بأن يدفع اثاوة الى الدولة العثمانية قدرها ٥٠٠٠٠ ألف ، خمسون ألفا من الدوكات الذهب . والترم بتقديم فرقة من جنوده لمساعدة السلطان مراد الثانى وقت الحرب ، وأن يزوج ابنته ماريا للسلطان مراد الثانى ، وأن يقطع الخلاقة القائمة بينه وبين ملك المجر ، وأن يتنازل للدولة العثمانية عن بلدة كروشيفاتش الواقعة فى وسط بلاد الصرب لتجعلها حصنا مضيعة تأوى اليه جنودها ، منعا لحصول الفتن . (١)

وفى ٥ من رجب سنة ٨٣٤ هـ / ٢٠ من مارس سنة ١٤٣٠ م أعاد السلطان مراد الثانى فتح قلعة سالونيك (٢) اليونانية ، وكانت من أحصن القلاع اليونانية ، وكانت هى والقسطنطينية توأمان فى كونهما منبع الكفر ، والضلالة ، فى أيدى المسيحيين . وقد كانت سالونيك أشد من القسطنطينية وطأة فى اضرار المسلمين باثارة الفتنة والفساد . وكان السلطان مراد قد تركها للامبراطور البيزنطى مانويل الثانى باليولوفوس طبقا للمعاهدة التى وقعت بعد

- 
- (١) سرهنك ، حقائق الأخبار ، ص ٥٠٠ وكروشيفاتش : تسمى فى كتب الترك (الاجه حصار) وتبعد ٥٦ كم عن مدينة نيش بالقرب من ملتقى نهر مورافا ( محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥٥ ) .
- (٢) سالونيك أو سالانيك : بلد من أعمال مقدونية فى طرف خليج سالانيك شرقى مصب نهر رودار ، عند سفح تل يشرف عليها من الشمال الشرقى ، وهى البلدة اليونانية القديمة التى شيد بها كاساندر ( Cassander ) على موقع ثرما ( Therna ) ، وقد أطلق على المدينة اسم زوجته أخت الاسكندر الأكبر . ( دائرة المعارف الاسلامية ، مادة سالانيك ) .

حصار القسطنطينية سنة ٨٢٦ هـ / ١٤٢٣ م ولكن الامبراطورية البيزنطية كانت قد تنازلت عنها للبنادقة الذين كانوا في ذلك الوقت على عداوة ضد السلطان مراد الثاني . (١) ولهذا وجد السلطان مراد الثاني نفسه في حل من استردادها وتم له ذلك بعد أن حاصرها خمسة عشر يوما . (٢)

اتجه السلطان مراد الثاني بعد فتحه سالنيك ( سالونيك ) لمواصلة حركة الجهاد الاسلامي رافعا رايته في أوروبا بادئا بالبانيا ، والمجر . وكانت البانيا تشمل المنطقة الجبلية الممتدة من الساحل الشرقي للبحر الادرياتيكي ابتداء من الجبل الاسود الى خليج آرتا ARTA . وقد تطلع العثمانيون المسلمون الى فتح هذا الاقليم لميزاته الاستراتيجية ، فهو يقع على الطرف الغربي لشبه جزيرة البلقان ، وعند مخرج بحر الادرياتيكي الى البحر المتوسط وهو يطل على عنق الزجاجة في بحر الادرياتيكي ، أي في أضيق مسافة بين الساحل الشرقي والساحل الغربي لهذا البحر ، وبالتالي فهو أقرب مكان في البلقان الى شبه الجزيرة الإيطالية ، وهو على مقربة من الجزر الأيونية ، وفي الاستطاعة اتخاذ موانيه قواعد عسكرية للقوات العثمانية في جهادها ضد

---

(١) فريدون بك ، منشآت السلاطين ، ج ١ ، ص ١٩٩ ، الصنوقي ، تاريخ دول الإسلام ، ج ٣ ، ص ١٠٣ ،

(٢) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥٥ ، الشناوي ، نفس المرجع ، ص

البندقية وفيها من الدول والامارات الايطالية المسيحية والدول البحرينية  
في حوض البحر المتوسط . وأخضع السلطان مراد الثاني سكان يانينا Janina  
وأغلب المدن ، دون عناء ، وقد وعدهم السلطان مراد الثاني بعدم التعرض  
لهم في دينهم وعوائدهم . وألزم السلطان مراد الثاني أمير الجزء الشمالي من  
بلاد ألبانيا حنا كستريو Jean Castriot أن يسلم أولاده الأربعة  
رهينة ليدل على صدقه ووفائه . ثم ضم السلطان مراد الثاني أملاكه  
الى أملاك الدولة العثمانية بعد وفاته سنة ٨٣٥ هـ / سنة ١٤٣١ م . (١)

وفي عام سنة ٨٣٧ هـ / سنة ١٤٣٣ م اعترف فلاد ( Vlad ) حاكم  
اقليم ولاشيا بسيادة العثمانيين عليه . وكان هذا الاقرار تخلصا من حرب  
تخشى عاقبتها ، ولكنه ما لبث أن ثار هو وأمير الصرب ، بناء على تحريض  
من ملك المجر سجنند لهما ، فحاربهما السلطان مراد الثاني وتغلب  
عليهما . ثم سار مراد الثاني الى بلاد المجر وخرب كثيرا من البلدان وعاد  
منها سنة ٨٤٢ هـ / سنة ١٤٣٨ م ومعه الكثير من الأسرى . (٢)

وفي السنة التالية سنة ٨٤٣ هـ / سنة ١٤٣٩ م أعلن العصيان جورج  
برنكوفيتش أمير الصرب فتوجه اليه السلطان مراد الثاني ، وحاصر مدينة

---

(١) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥٦ ، الشناوي ، نفس المرجع ،

ص ٦٢٧ - ٦٢٨ .

(٢) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥٦ .

(١) سمندرا ( Semendra ) القرية من بلخراد<sup>(٢)</sup> عاصمة بلاد الصرب  
وضرب الحصار عليها ثلاثة أشهر ، فلما يئس جورج برنكوفيتش من الموقف  
فر ملتجئاً الى الملك ألبرت ملك المجر الذى تولى عرش المجر بعد سحسند<sup>(٣)</sup>  
سنة ٨٤١ هـ / سنة ١٤٣٧ م . وتوجه مراد الثانى الى ترانسلفانيا ، وحاصر  
أهم مدنها مدينة هومانشتاد ( Hermanstad ) التابعة لملك المجر .  
وكان حاكم هذا الاقليم هو حنا هينادى ( Jean Hunyade ) الذى  
سيصبح له دور هام على مدى السنوات التالية حتى وفاته سنة ٨٦١ هـ / سنة  
١٤٥٦ م . (٤)

ومدأت الرياح تغير اتجاهها فى الميدان الأوربي ضد أمانى السلطان  
مراد الثانى بدءاً بوفاة ملك المجر سحسند سنة ٨٤١ هـ / سنة ١٤٣٧ م ،  
وولاية خلفه الملك ألبرت الذى كان قد لجأ اليه جورج برنكوفيتش حين شدد  
عليه السلطان العثماني الحصار فى سمندرا . وقد تنادى المجريون بحرب

- 
- (١) سمندرا : معناها القديس اندريا ، وهى واقعة على نهر الطونة تبعد ٤٥ كم  
عن بلخراد عاصمة بلاد الصرب .  
(٢) بلخراد : معناها المدينة البيضاء ، مدينة حصينة على نهر الطونة بالقرب  
من مصب نهر ( ساف ) .  
(٣) ترانسلفانيا : معناها البلاد الواقعة فيما وراء الغابات أطلق عليها أهالي  
النمسا هذا الاسم لوجود غابات كثيفة تفصلها عنها ، ولمجاورتها لبلاد  
المجر صارت عرضه لكل من اراد الاغارة على بلاد المجر . ( محمد فريد ،  
الدولة العلية ، ص ٥٦ ) .

صليبية لانقاذ أوروبا من المملاق العثماني المسلم ، الذي استطاع أن يحسوا آثار هزيمة أنقرة أمام تيمورلنك ، وأن يعيد تنظيم قواته الضاربة ، وأن يكتسح خصومه في أوروبا ، والدولة البيزنطية على السواء ، بل أصبح يتهدد الدول الأوربية في وجودها وكيانها أيضا .

وفي نفس الوقت تحركت الامبراطورية البيزنطية حين أحست بالضغط العثماني عليها ، فدعا امبراطورها حنا الثامن الى التعاون مع القوات الأوربية لازالة هذا الخطر القادم من الشرق . وقام الامبراطور البيزنطي بزيارة الى ايطاليا ، حيث استطاع اقناع البابا يوجين الرابع Eugenius IV بقيام وحدة بين الكنيستين الشرقية والغربية ، كما حاول اغراء بطريرك القسطنطينية بمباركة هذا الاتحاد . وقد أثمرت هذه المحاولة في اقناع الطرفين حتى أعلن الاتفاق مبدئيا على توحيد الكنيستين في فلورنسا (١)

وفي فلورنسا انعقد مجمع ديني في سنة ٨٤٣ هـ / ١٤٣٩ م اتفق فيه الامبراطور البيزنطي والبابا يوجين الرابع على توحيد الكنيستين ، وعلى مبدأ ارسال حملة صليبية جديدة يكون هدفها المقدس اخراج الأتراك العثمانيين من الأراضي الأوربية ، وتخليص القسطنطينية من الخطر الاسلامي المباشر ،

---

(١) عبد القادر اليوسف ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٨٣ ،

Cam. Med. Hist., Vol. 4, pp. 621 - 622.



الذى أصبح يهددها بعد ذلك التوفل العميق للقوات العثمانية الإسلامية في البلقان ، حتى أصبحت القسطنطينية مثل جزيرة شبه معزولة ، يحيط بها من كل ناحية موج متلاطم من العثمانيين المسلمين . وقد كان هذا الاتفاق حدثاً فريداً ، لأن ما بين الكنيستين من خلاف حاد وصل الى اتهام كل منهما بكفر أتباع الأخرى ، واعتبارها خارجة على تعاليم المسيحية . (١)

واستكر معظم رجال الكنيسة الأرثوذكسية من البيزنطيين ذلك الاتحاد المتوقع ، كما أثار احتجاجات الدول السلافية ، وخاصة روسيا التي رأى رجال الدين فيها أن موافقة بطريرك القسطنطينية على الوحدة الكنسية خيانة للمعتقد الصحيح ، رغم أن ثمن هذه الوحدة الكنسية هو المساعدة العسكرية للإمبراطور البيزنطي . (٢) وأصبح موقف الإمبراطور البيزنطي هنا الثامن حيال هذه المقاومة ضد وحدة الكنيستين أشد سوءاً منه قبل التفكير فيها ، لأنه وجد نفسه لا يستطيع الاعتماد على ولاء رعاياه أو مساعدة الغرب المسيحي الأروبي . (٣)

---

(١) هسي ، العالم البيزنطي ، ص ٢٢٥ ، سعيد عاشور ، أوربا في الحصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٦٤٣ ، نوار الشعوب الإسلامية ، ص ٤١

Cam. Med. Hist., Vol. 4., pp. 621-622.

(٢) عبد القادر اليوسف ، الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١٨٣

Vasiliev: op. cit., pp. 370 - 372.

(٣) هسي ، نفس المرجع ، ص ٢٢٥

أما الدعوة الى الحلف العسكري الصليبي فقد لقيت استجابة سريعة  
ضد الاسلام المنتصر . وتكون حلف صليبي كبير باركه البابا . وشمل هذا  
الحلف البابوية رأس الصليبية الحاقدة على العثمانيين المسلمين ، والمجر ،  
بولندا ، والصرب ، وبلاط الافلاج ، ( ولاشيا ) وجنوه ، والبندقية ،  
والامبراطورية البيزنطية ، ودوقية برجنديا . وكذلك انضمت الى الحلف كتائب  
من الألمان والتشيك ، كل هذا اجتمع ليضرب الدين الاسلامي متمثلا في  
الأتراك العثمانيين الذين هددوهم في عقرب دارهم ، ونشروا الاسلام بين  
ربوعهم .

وأبحر الى مياه الدردنيل أسطول من السفن الفلمنكية ، وسفن جمهورية  
البندقية لتمنع انتقال العثمانيين من الأناضول الى أوربا . وبرز على سطح  
الحوادث قائد مجري مشهور هو حنا هنيادي Jean Hunyade وهو  
الذي أعطيت له قيادة هذا الحلف الصليبي . وكان من القواد الذين  
اشتركوا معه ياغلون ( Jagellon ) ملك بولونيا ، ولاديسلاس  
Ladislav ملك المجر الجديد . (١)

كانت المعركة الأولى بين القائد الصليبي هنيادي ، والجيش العثماني  
هي معركة هومانشتاد Hermanstad سنة ٨٤٥هـ / ١٤٤١م حيث

---

(١) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥٦ ، الشناوي ، نفس المرجع ، ص  
٦٣١ - ٦٣٢ .

أسرع الصليبيون الى نجدة المدينة ، واستطاعوا رد القوات العثمانية المحاصرة لمدينة هومانشتاد وقتلوا منهم ٢٠٠٠ ر ٢٠ عشرين ألفا منهم قائد هم العثماني شهاب الدين ، وأرغموا الباقين من العثمانيين الى التقهقر خلف نهر الدانوب . ولما علم السلطان بالنبأ أرسل جيشا آخر بقيادة شاهين باشا ، ولكن هنيادى وجنوده استبسلوا حتى هزموا الجيش العثماني المسلم ، ووقع شاهين باشا أسيرا فى معركة قرب بلد يقال لها وازاج أو فاساج ( Vasage ) سنة ٨٤٦ هـ / سنة ١٤٤٢ م ، وأبيد فى هاتين الهزيمتين جيشان عثمانيان .

وكان السلطان مراد الثانى أثناء هذه الممارك مشغولا بمحاربة ابراهيم أمير بلاد كرميان ، وحين فرغ السلطان مراد الثانى منه ، كان المجرىون بقيادة هنيادى قد أحرزوا هذه الانتصارات واتفقوا مع الصربيين على محاربة العثمانيين .

وحين توجه السلطان مراد الثانى لملاقاتهم جبهة بلغراد تقهقر المجرىون وحلفاؤهم ، ولكنها كانت خدعة صليبية ، فبينما كانت جيوشهم أخذة فى التقهقر ، والعثمانيون يتعقبونهم فاذا بهم فجأة يرتدون كارين على جيوش السلطان الذين كانوا يسيرون خلفهم فى مضيق " نيش " . وقد كانت القوة

---

(١) شاكر الخبلى ، التاريخ العثماني ، ص ٣٣ ، الشناوى ، نفس المرجع ،

Creasy: op. cit., p. 64. ; Miller: The Balkans, pp. 293-294.

ص ٦٣٢

الرئيسية الصليبية في هذه المحارك مكونة من الهنغارين والصربيين والولاشيين والألمان . وقامت هذه القوات الصليبية بعبور الدانوب قرب سمفندرا ( Semendra ) (١) ، وقام هنيادى على رأس ١٢٠٠٠ اثنا عشر ألفا من الفرسان المختارين واندفع بهم قرب حوائط " نيس " Nissa ، وتبعه الملك لاديسلاس ، والكاردينال جوليان ليصبحهم البولنديون ، وجزء من القوات الهنغارية ، وصليسيو ايطاليا . (٢)

وفي سنة ٨٤٧ هـ / ٣ من نوفمبر سنة ١٤٤٣ م أحرز هنيادى انتصاره على السلطان مراد الثانى عند شاطئ نهر المورافا Morava قرب نيس ، وهزم الجيش العثماني الكبير ، وتشتت في البلقان بعد أن خسر تسعة ألوية و ٤٠٠٠ أربعة آلاف أسير ، وعدة آلاف من القتلى . (٣) وظل هنيادى يتعقب فلول الجيش العثماني الى ما وراء جبال البلقان ، واستولى في طريقه على مدينة صوفيا التي هيأت له الاستعداد لعبور البلقان ، والتقدم

---

(1) Creasy: op. cit., p. 64.

(٢) سرهنك ، حقائق الأخبار ، ج ١ ، ص ٥٠٣ ، شاكرا الحنبلى ، التاريخ العثماني ، ص ٣٣ ، نوار ، الشعوب الاسلامية ، ص ٤١ ، المازنى ، تاريخ الدولة العلية ، ص ٢١ .

(٣) يوسف آصاف ، تاريخ سلاطين آل عثمان ، ص ٤١ ، Creasy: op. cit. p. 64. ; Dielh: History of the Byzantine Empire, p. 164.

(١)، Philippopolis

الى فيليبوبوليس

وكان هناك ممران واعران خلال جبال البلقان الشاقة ، وكان لهما مدخلان في الشمال قريب أحدهما من الآخر يسمى الغربى منها مضيق سلورد بندن ( Soulourderbend ) والآخر شرقا ويسمى اسلادى Isladi أو Slatiza ، وهما يصلان عبر البلقان الى طريق من صوفيا الى فيليبوبوليس . وقد لجأ العثمانيون الذين يطارد هم هنيادى الى الدفاع عن هذين الممرين باغلاقهما بأكوام من الصخور . ولما رأوا المجرىين يتقدمون صبوا الماء خلال الليل من على منحدرات الجبال ، وأدى ذلك الى أن يتكون فيها عند الصباح حائط من الجليد أمام زحف المسيحيين . ولم يحبباً هنيادى بهذه الحوائق ولا السهام التى كانت تصب عليهم من العثمانيين المسلمين المتحصنين خلفها ، وأخذ يحبس جنوده بالنداء ويحثهم على تسلق الصخور عبر الممر الغربى الى أن وصلوا الى مكان آمن . وهناك تراجع المجرىون لكى يجبروا من الممر الشرقى الذى كان أقل تحصيناً . (٢)

---

(١) بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج ٣ ، ص ٦٥٣٨ . Creasy: op. cit., p. 653.

Miller: op. cit., pp. 293-294.

وفيليبوبوليس : أى مدينة فيليب نسبة الى مؤسسها فيليب والد الاسكندر الأكبر وهى عاصمة الروملى الشرقية . ( أنظر ، محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٤٥ ) .

(٢) الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ٤١-٤٢ ، Creasy: op. cit., p. 66.

وهناك قضت قوات هنيادى بقية الشتاء تشق طريقها تحت واهل من  
سهام المسلمين. فى ذلك البرد القارس ، ولكنهم استطاعوا فى النهاية  
أن يحققوا نصرا على العثمانيين وأن يحتفلوا بعيد ميلاد سنة ١٤٤٣ م على  
تلك السهول الثلجية عند الطرف الجنوبى للبلقان . وقد هزل الغرب المسيحى  
الحاقد لهذا النجاح ، كما بارك البابا يوجين الرابع تلك الجهود . (١)

ومن الواضح أنه لم يكن فى مقدور هذا التحالف الصليبي وعلى رأسه  
البابا ، والقائد المجرى هنيادى أن يوقع هذه الهزائم المتعاقبة بالعثمانيين  
الا فى ظروف غير مواتية تربها السلطنة ، فقد كان العثمانيون مشتقى القوى  
لانشغالهم باخماد الفتنة التى أثارها وتزعجها اسكندريك فى ألبانيا . فقد  
انتهاز اسكندريك فرصة اشتغال السلطان مراد الثانى وجيوشه بمواجهة  
التحالف الصليبي ، واستطاع أن يثير زعماء شمال ألبانيا بهدف طرد  
العثمانيين منها . وقد ظلت فتنة اسكندريك حتى بعد استعادة مراد الثانى  
لهيئته بانتصاراته فى فارنا ( Varna ) وارنه ولم يخمد حركته الا السلطان  
محمد الفتاح فيما بعد . (٢)

---

(١) بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج ٣ ، ص ٣٨ ، سعيد عاشور ، أوروبا ، ج ١

Lodge: op. cit., pp. 507-508; Creasy: op. cit., ٦٤٣ ص  
pp. 65-66.

(٢) بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج ٣ ، ص ٣٨ ، محمد فريد ، الدولة العلية ،  
ص ٥٨ .

Creasy: op. cit., pp. 62-63.

أزعج السلطان مراد الثانى توالى الهزائم على قواته العثمانية ، فى أوربا ،  
والحلف الصليبي القوى الذى قام ضده هناك . واضطر العثمانيون — لأول  
مرة فى تاريخهم الحافل بالأمجاد — أن يطلبوا الصلح . وجرت مفاوضات  
طويلة انتهت بتوقيع معاهدة فى مدينة سيزيجيدين Szegedin فى  
٢٦ من ربيع الأول سنة ٨٤٨ هـ الموافق ١٢ من يولية سنة ١٤٤٤ م والى  
تصل على قيام هدنة مع المجر لمدة عشر سنوات . ومقتضى هذه المعاهدة  
تنازل السلطان مراد الثانى عن كل ادعاء له فى الصوب مع اعترافه  
بجورج برانكوفيتش بوصفه حاكمها المستقل ، كما سلمت ولاشيا الى المجر ،  
ودفع السلطان مراد الثانى ستين ألف من الدوكات الذهبية فدية لزوج أخته  
محمود تكلبي الذى كان قائد الجيش العثمانى ضد هنيادى وأسر فى  
المعركة ، وكتب هذه المعاهدة باللغة الهنغارية واللغة التركية . (١)

وأقسم لادسيلاس ملك المجر على الانجيل ، كما أقسم السلطان  
العثمانى مراد الثانى على القرآن على احترام الهدنة . وقام السلطان  
من جانبه بتنفيذ المعاهدة ، وعاد كسير النفس محزوناً . وصادف ذلك وفاة  
ابنه الأكبر علاء الدين فزهى فى الملك وأثر الحزلة والتكشف ، فتنازل

---

(١) سوربال عطية ، نفس المرجع ، ص ١٠٢ ، محمد فريد ، نفس المرجع ،  
ص ٥٧ ، عبد القادر اليوسف ، نفس المرجع ، ص ١٨٣ .

عن الملك لولده محمد الثاني الذى كان يبلغ من العمر آنذاك أربعة عشر عاماً. وسافر هو الى مغنيسيا فى آسيا الصغرى حيث اعتزل الحياة العامة. (١)

لم تضى أسابيع قليلة على توقيع المعاهدة بين العثمانيين والصليبيين حتى طلب البابا والامبراطور البيزنطى من ملك المجر ومستشاريه أن يقسموا على نقض القسم الذى أعطوه للسلطان العثمانى مراد الثانى . وأعلن الكاردينال جوليان الذى كان يتكلم باسم البابا أنه لا يجوز التمسك بقسم أعطى للكفرة غير المسيحيين ويقصد بذلك العثمانيين ، ولكن القائد هنيادى قاوم بشدة محاولات نقض الهدنة . ولكنه سرعان ما نسى مبادئ الفروسية ووافق على الاشتراك فى هذا الخدر الصليبي ، حينما لوحوا له بأنه سيصبح ملكاً على بلغاريا عندما يطرد منها الأتراك العثمانيون . كما أوهموه بأنه ليس مقيداً بأي شرط من شروط معاهدة سيزيجيدين حيث أنه لم يوقع عليها ، ولم يشترك فى أداء اليمين على احترام أحكامها . (٢) لكنه طلب منهم تأجيل نقض الهدنة الى جمادى الأولى سنة ٨٤٨ هـ الموافق أول سبتمبر سنة ١٤٤٤م حتى يتحقق للقوات المتحالفة السيطرة على الصرب حينما يتم انسحاب

---

(١) شاكرا الحنبلى ، التاريخ العثمانى ، ص ٣٣-٣٤ ، هسى ، العالم البيزنطى ، ص ٢٢٥ ، الشناوى ، نفس المرجع ص ٦٣٣ .  
(٢) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥٧ ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ص ٣٨ ، نوار ، نفس المرجع ، ص ٤٣ .  
الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٣٣ ، فيشر ، تاريخ أوروبا. الحصور الوسطى ، ق ٢ ، ص ٤٥٦ ؛  
Creasy: op. cit., p. 68.



العثمانيين منها طبقا لشروط المعاهدة ، وهذا وحده كسب كبير لهم . وكان  
العثمانيون فعلا صادقين فلقد أقسموا على القرآن الكريم أن يصدقوا فى  
تطبيق المعاهدة ، وأخذوا بالفعل يجلون عن الصرب .

وفى الموعد الذى حدده هنيادى أول سبتمبر سنة ١٤٤٤ م سار الملك  
لادسيلاس والندوب الباهوى الكاردينال جوليان ، وهنيادى وفاجشأوا  
العثمانيين ، وقد حركوا معهم جيشا كثيفا من البولنديين والمجريين  
يحفزهم على ذلك استهانتهم بالسلطان الصغير محمد الثانى بن مراد الثانى ،  
وظنهم أن السلطان محمد الثانى لن يستطيع تدبير الأمور لدفعهم ، أو كسر  
شوكتهم الصليبية واطمأنوا الى ابتعاد السلطان مراد الثانى عن الحياة  
السياسية ، والمسكرة ، واعتزله فى فنيسيا . وتقدم الصليبيون الى ولاشيا  
وهناك انضم اليهم أميرها دراكول مع قواته . وأخذ الجيش المسيحى الواتق  
من نفسه ، المخزور المطمئن الى ضعف خصومه ، يعبر نهر الدانوب وهو  
ممتلئ ثقة بالفوز والخلبة . وساروا عبر بلغاريا حتى وصلوا الى البحر الأسود .  
وهناك ابتدأوا يتحركون الى الجنوب على طول الشاطئ ، حيث دمروا  
التحصينات عند كوندجك ( Koundjik ) . وساعدتهم المفاجأة وعدم  
توقع العثمانيين للخيانة فاستسلمت لهم حصون كثيرة . (١) وكذلك هاجموا

---

(١) شاكرا الحنبلى ، التاريخ العثمانى ، ص ٣٤ ، الشناوى ، نفس المرجع  
ص ٦٣٤ .

تحمينات سانيم ( Sunnuim ) وپريش ( Perech ) وأبيدت الحاميات  
العثمانية في هذه الأماكن . وواصلوا زحفهم بعد ذلك على كافارون ( Kavarna )  
واستولوا عليها ، ثم وصلوا الى مدينة فارنا ( Varna )  
وارنه الشهيرة وفرضوا عليها الحصار . وظلوا يشددون عليها حتى استسلمت  
للقائد هنيادي . (١)

وكان امتلاك التحالف المسيحي الصليبي الحاقط لمدينة وارنه هو  
قمة النجاح الذي حققوه ضد الامبراطورية العثمانية الاسلامية في أوروبا ،  
وخاية المد الذي وصلت اليه انتصارات هنيادي . (٢) ولقد عسكر الصليبيون  
المنتصرون بالقرب من وارنه التي استسلمت لهم ، وظنوا أن الأمور ستجري  
كما يشتمون .

وفي الجانب الآخر نجد وزراء الدولة العثمانية قد أحسوا بهذا التدهور  
الحاد في موقف الجيوش الاسلامية العثمانية ، فاتجهوا الى السلطان مراد  
الثاني حيث كان يحتزل الناس في مغيسيا ، وأبلغوه بهذه الأنباء المزعجة  
وطلبوا اليه العودة ليمسك زمام السلطة من جديد ، لانقاذ الدولة من

---

(١) يوسف آصاف ، نفس المرجع ، ص ٤١ ، Greasy: op. cit., p. 68.

(٢) سرهنك ، نفس المرجع ، ص ٥٠٤ ، Greasy: op. cit., p. 69.

الانهيار أمام المد الصليبي الزاحف من شواطئ البحر الأسود ، والخطر الكبير الذى يوشك أن يستأصل دولة الاسلام من عدوة أوربا . ولم يجتهد الرجل بدا من أن يستجيب الى وزراءه ، وينهض للأمر الذى نذبه له فترك عزلته وعاد يتولى زمام الأمور ، وأنعشت هذه العودة آمال الجنود فى أن تعود أيام النصر المشرقة . (١)

وشكل السلطان مراد الثانى جيشا كبيرا ، واثارت حمية السلطان لنقض أعدائه وأعداء الدين الاسلامى عهودهم ، واستهانتهم بالقسم الذى أقسموه ، وأعطاه ذلك قوة واندفاعا ، فتقدم ومعه أحسن المقاتلين فى آسيا التركيبية حيث حملهم الجنويون على سفنهم وكان عددهم ٤٠٠٠٠ أربعين ألفا (٢) على رأسهم السلطان العثمانى مراد الثانى بنفسه ، وعبروا البوسفور مقابل أجر أخذه الجنويون وذلك للتمويه على الأسطول البايوى الذى كان يقوم بدورياته فى مياه البوسفور . (٣)

---

(١) نوار ، نفس المرجع ، ص ٤٣ ، ٤٤ ، سوريال عطية ، نفس المرجع ، ص ١٠٣ ، زينى دحلان ، الفتوحات الاسلامية ، ص ٧٥ ، المازنى ، نفس المرجع ، ص ٢٢٠ .

(٢) الفاخورى ، تحفة الأنام ، ص ٢٠٦ ، الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٣٤ .  
Creasy: op. cit., pp. 68 - 69.

(٣) سوريال عطية ، نفس المرجع ، ص ١٠٣ ، الرشيدى ، نفس المرجع ، ص ٤٥ .  
Creasy: op. cit., p. 68.

وفوجئت الجيوش الصليبية بالأخبار المزعجة لهم . وانهم الآن على مقربة من جيش عثمانى مسلم عبر اليهم البوسفور من حيث لا يعلمون ، وانهم لا يواجهون الآن تدبير الصبي محمد الثانى ، وانما عاد اليهم الرجل المحنك مراد الثانى مرة أخرى ، وان هذا الجيش الغاضب لخيانتهم ، وفدركهم<sup>(١)</sup> يسعى اليهم مسرعا ، وأنه أصبح الآن على بعد أربعة أميال من وارسه .

وساعد الجيش العثماني عامل آخر ، فقد كان المتوقع أن الجيش الصليبي وهو يزحف صوب الجنوب سيجد نفسه بين أرض مسالمة ، وشعب مسيحي يرحب بهم ، ولكن سوء تصرف هذا الجيش ، وحدة التعصب المذهبي أفسدت عليه هذه الميزة ، لأنه عامل بقسوة وشراسة بعض القوى المسيحية التي قاومت ، واستمر السلب والنهب وهو في طريقه جنوبا .<sup>(٢)</sup> ومضت تسبق زحف الجيش الصليبي تلك السمعة السيئة وتلك الأخبار المروعة عن التدمير والتخريب ، مما جعل طريقه الى الجنوب محفوفاً بالأشواك . وكان الجيش الصليبي نفسه يحمل في ذاته عوامل مدمرة ساعدت على انهيار أيام زهوه وانتصاراته ، فمع ربح الخدر ، ووذيلة القسوة كانت أحقاد القادة وحسد بعضهم لبعض واضحة ، وكانت الخلافات بين قيادات الجيش الصليبي

---

(١) فيشر ، نفس المرجع ، ق ٢ ، ص ٤٥٦ ، الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٣٤ ،

Creasy: op. cit., p. 69.

(٢) شاكر الحنبلى ، نفس المرجع ، ص ٣٤ ، زيادة ، دراسات في التاريخ الاسلامي ، ج ٢ ، ص ٥٢٤ ، نوار ، نفس المرجع ، ص ٤٤ .

تزداد عقلا مرحلة بعد مرحلة ، والخلافت الجوهريّة تطل برأسها مع كل موقف حول الخطة التي يجب أن تتخذ ضد العثمانيين .

كان هنيادى يدعو الى شن حرب هجومية فى حين كان قائد آخر هو فلاد دراكيل ( Vlad - Dracul ) يفت فى عضد المقاتلين الأوربيين ، ويدعو الى تأجيل الحملة الى السنة القادمة حتى يتمكن من اعداد حملة تكون أكثر عددا ، وأقوى تسليحا وتماسكا ، إلا أن وجهة نظر هنيادى هى التى تغلبت . (١) وكان هناك فى نفس الوقت من يحسن هنيادى على ما حصل عليه من صيت وشهرة ، وتناقل عن بطولته وشجاعته حتى أصبح بطلا شعبيا ، فكان هناك من يسمي الى أن يحل محله فى زعامة الحركة الصليبية الجديدة ، ويأمل أن يقترن النصر المرتقب باسمه هو شخصيا لا باسم هنيادى . وكان من بين هؤلاء الحاقدين المنافسين لادسيلاس (٢) ملك المجر الذى كان يصر بأى شكل من الأشكال على أن يكون هذا النصر باسمه هو ولكن دون أن يعلن الخروج على هنيادى .

---

(١) نوار ، الشعوب ، ص ٤٤ .

(٢) سرهنك ، نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٥٠٤ ، بروكلمان ، نفس المرجع ، ج ٣ ، ص ٣٩ ، بولجير ، تاريخ العالم ، المجلد ٥ ، ص ٦٠٥ .

عرفنا من قبل أن العثمانيين قد التزموا بكلمتهم ، ووفوا بعهدهم ،  
وانسحبوا من صوريا ، وانتهزها هنيادى فرصة وقام بالهجوم على بلغاريا  
بجيش مكون من عشرة آلاف ، حتى حاصروا رنه ، وانضم اليه فلاد ( Vlad )  
حاكم ولاشيا بقوة بلغت خمسة آلاف مقاتل . وكان هذا الحاكم يسخر من  
قلة عدد الحملة الصليبية قائلا " ان حاشية السلطان التى تخرج معه للصيد  
أكثر من هذه الحملة الصليبية " .

ومع ذلك فان هذه القوة الصليبية كان على رأسها حشد من القادة  
والحكام ورجال الدين منهم ملك المجر لاسيلاص ، وحاكم ولاشيا ، والقائد  
هنيادى ، والقاصد الرسولى واثنان من الأساقفة . وأخيرا وصل السلطان  
مراد الثانى بجيش عثمانى قوامه أربعون ألفا حتى أصبح فى مواجهة الجيش  
الصليبي . ووقع الاشتباك فى ٢٨ من رجب سنة ٨٤٨ هـ الموافق التاسع  
من نوفمبر سنة ١٤٤٤ م . (١)

وكانت الطريقة التى عبا بها هنيادى قواته تدل على ثقته الكبيرة  
المفروسة فى نفسه . فانه رفض النصيحة التى أبدتها بعض مستشاريه العسكريين  
بأن يعمل تحصينات حول معسكرهم ، وينتظر حتى يهجم السلطان مراد الثانى .

---

(١) الشناوى ، نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٦٣٤ ، الرشيدى ، نفس المرجع ،

ص ٤٥ - ٤٦ ، نوار ، نفس المرجع ، ص ٤٥ ،

Diehl: op. cit., p. 164.

(١) ولكنه أصر على المبادرة بالتقدم نحو عدوه . فى حين أن السلطان مراد الثانى أقام بعناية تامة خندقا عميقا حول معسكره واتخذ التحصينات اللازمة . وكان الجناح الأيسر المسيحى يتكون بصفة رئيسية من قوات ولاشية ، وفى الجناح الأيمن أحسن القوات الهنغارية ، ومعهم أيضا صليبيوا الفرنجة تحت قيادة جوليان . وكان الملك لاسيلاس فى الوسط مع حرسه الملكى ، وكثير من النبلاء . أما المؤخرة فكانت من البولنديين بقيادة أسقف بيتروارديسن ، وتولى هنيادى القيادة العامة للجيش كله . (٢)

أما فى الجانب العثمانى فقد كان الصفان الأولان يتكونان من الفرسان ، وقوات غير نظامية — وكان بيلربك حاكم الرومىلى (٣) يقود الميمنة وبيلربك آخر هو حاكم أنطوليا يتولى الميسرة ، ومن خلف هذه الصفوف اتخذ السلطان موقعه مع قواته ، والفرسان النظاميين من حرسه . وعلقت صورة من

---

(1) Creasy: op. cit., p. 69.

(2) Creasy: op. cit., p. 69.

(٣) الرومىلى : أوروميليا : يطلق الاسم روم ايلى ( أى بلاد الرومان Romans ) بمعناها الإخص على الولاية نفسها التى تحمل هذا الاسم ، وهى تضم تراقيا ، ومقدونيا ، أى المنطقة التى تحد شمالا بالبلقان ، وشرقا بالبحر الأسود والبوسفور ، وجنوبا ببحر مرمرة وبحر إيجه المعروف بالبحر المتوسط ، ثم بسلسلة جبال اوليبوس ، وتحد غربا بجبال بندوس Pindos وبارنوس Barnos وشاردانج (شاربلانينا) وهى المنطقة التى تضم الممتلكات السابقة لتراقيا ، وبلغاريا ومقدونيا والصرب والبانيا . أنظر دائرة المعارف الإسلامية ، الرومىلى ، المجلد ١٠ )

المعاهدة التي نقضت على سارية عالية تتقدم صفوف العثمانيين لتكون شاهدا على خيانة هؤلاء الفادرين . وقد بدت المعركة في ظاهر الأمر وكأنها ستنتهي بانتصار حاسم للمسيحيين .

وأجرى هنيادى تنظيمات في توزيع الجيش تتسم بالحيطة ، والحرص الشديد . وطلب الى الملك لادسيلاس مشددا ألا يفادر موقعه المعين له ، إلا عندما يعطيه الإشارة . وفي الوقت نفسه بدأ هنيادى عملياته بطريقته الخاصة ، وأحرز تقدما كبيرا حيث قاد الميمنة ، وهاجم القوات الآسيوية بشدة ، واكتسح صفوفها ، وأجلاهم عن مواقعهم ، وكذلك الجناح الآخر الصليبي تحرك فيه البولاشيون مهاجمين فرسان غرب روميليا ( AZABS Roumelia ) ، وحصلوا على نجاح مباشر في هجومهم . (٢) ولكن الملك لادسيلاس الحاسد الحاقذ الذي اعتقد أن الفوز قد لاح ، والنصر أصبح مضمونا ، خشى أن يحرم من هذا الفخار ، فأمر فرسانه بالمهجوم من القلب فتراجعت القوات العثمانية التي كانت في مواجهتهم وانساقوا وراءها يوالون هجومهم . وبهذا تكون جميع فرق الصليبيين قد حققت أول المعركة انتصارا سريعا مرحليا . ولكن تكتيك العثمانيين كان يعتمد على حدة الهجوم ، وعلى

---

(١) فيشر ، نفس المرجع ، ق ٢ ، ص ٤٥٦ ، نوار ، الشعوب الإسلامية ، ص ٤٥

Greasy: op. cit., p. 69.

(٢) بولجير ، تاريخ العالم ، م ٥ ، ص ٦٠٥ ، الصوفي ، تاريخ دول الإسلام ،

Greasy: op. cit., p. 70.

ج ٣ ، ص ١٠٤



القوات الانكشارية التي كانت تحصيناتها عند المرتفعات الواقعة شمال المدينة .  
واندفع لادسيلاس وفرسانه في هجوم عنيف قاصدا الهجوم على السلطان  
مراد الثاني نفسه الذي كان واقفا على تل مرتفع يعطى الأوامر لجيشه فاذا به  
يصطدم بالقوات الانكشارية الهائلة . وهنا أطبقت الجيوش العثمانية —  
الاسلامية على لادسيلاس وجنوده وأبیدت القوات المجرية . وقاتل الملك  
لادسيلاس حتى سقط عن فرسه ، وقتله الجنود العثمانيون لحنقهم عليه  
بسبب غدره ، ونقضه للمعاهدة ، ورفعوا رأسه على عمود الى جوار صورة  
المعاهدة التي نقضها (١) ودب الرعب والفرع في قلوب من بقى من الجنود  
وفروا هاربين تأخذهم سيوف العثمانيين في كل مكان . وصار هنيادي قائم  
الصلبيين يجمع فلول الحساكر ، ويخرضهم على الرجوع ، والثبات ، فلم ينجح  
في ذلك لأن الرعب كان قد استولى على قلوبهم ، وقتل منهم في ذلك اليوم  
ما يزيد على عشرة آلاف . وغنمت القوات العثمانية في هذه المعركة ( وارنة )  
غنائم لا تحصى ، وكان ذلك في ٢٨ من رجب سنة ٨٤٨ هـ / التاسع  
أو الثاني عشر من نوفمبر سنة ١٤٤٤ م . (٢)

---

(١) سرهنك ، حقائق الأخبار ، ص ٥٠٤ ، سعيد عاشرو ، الحركة الصليبية ،

ج ٢ ، ص ١٢٥٢ ، يوسف أصاف ، نفس المرجع ، ص ٤٢ .

(٢) بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج ٣ ، ص ٣٨ — ٣٩ ، سوربال عطية ،

نفس المرجع ، ص ١٠٣ ، كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٢٦

Atiya: The Crusade in the later Middle Ages, p. 467. ;

Shaw: History of the Ottoman Empire and Modern Turkey,  
Vol. I, pp. 51 - 52.

وهذه النهاية ملاء الرعب قلوب النبلاء المجريين ، وولى القلب كله  
هاربا فى فوضى ، وفشل هنيادى فى زحف حزة القوات العثمانية المسلمة -  
(١)  
وأخيرا فر هنيادى مع بقايا قواته ، ومع الولايشيين الذين تجمعوا حوله .  
أما المجريون الذين كانوا يمثلون المؤخرة ، فقد استسلموا مع قادتهم . وقتل  
غير ملك المجر الكاردينال جوليان الصعوث البابوى والذي كان السبب  
المباشر فى نقض معاهدة ( سيزيجيدين ) . ولم تسبب هذه الهزيمة تدمير  
المجر مباشرة ، ولكنها كانت قاسية على الصلافيين جيران العثمانيين ، والذين  
كانوا قد انضموا الى ملك هنغاريا .

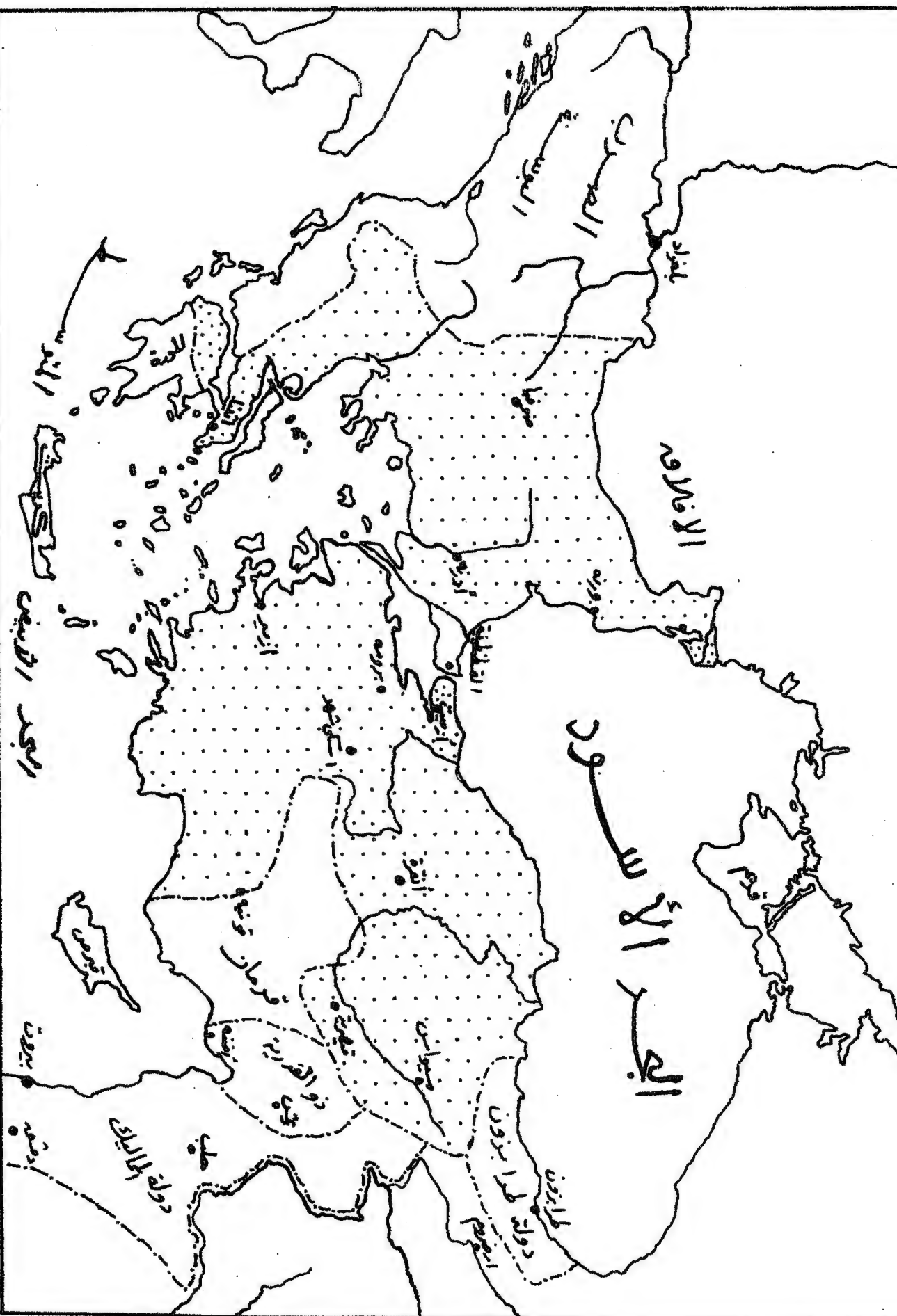
(٢)  
واكتسح العثمانيون مرة أخرى كلا من الصرب ، والبوسنة ، وكان سكان  
الصرب ، والبوسنة يتبعون الكنيسة الأرثوذكسية ، ولهذا كانوا يحاطون من  
أخوانهم مسيحي المجر وبولندا الذين كانوا يتبعون الكنيسة الكاثوليكية -  
معاملة سيئة ، وينظرون اليهم كما ينظرون أيضا الى الكنيسة البيزنطية نظرتهم  
الى الهرطقة . وتحكى المصادر الصربية أن جورج برنكوفيتش سأل مرة هنيادى  
عما سيتبعه من الناحية الدينية اذا تحقق له النصر ، فأجابه هنيادى بأنه

---

(١) بولجير ، تاريخ العالم ، م ٥ ، ٦٠٥ ، سوريال عطية ، العلاقات بين  
الشرق والغرب ، ص ١٠٣ ، اليوسف ، نفس المرجع ، ص ١٨٣ ،

Cam. Med. Hist. Vol. 8, p. 577.

(٢) أحمد شلبي ، نفس المرجع ، ص ٤٨٨ ،  
Creasy: op. cit., pp. 70 - 71.



الدولة المملوكية في عهد السلطان مراد الثاني [١٤٥١ - ١٤٨١]

سيجبر الجميع على اتباع الكيسة الرومانية الكاثوليكية ، وانه أيضا وجه نفـس السؤال للسلطان مراد الثانى فأجابـه بأنه سيبنى بجوار كل مسجد كيسة ، وسيترك للناس حرية اتباع عقائدهم . (١)

وهذا يوضح تماما أن المسلمين ماكانوا يعمدون الى اكراه الناس على اعتناق الاسلام . وهذه الصفات التى اتصف بها السلطان مراد الثانى من سمو بالمعاني الانسانية ، وروح التسامح الكريمة التى أملاها عليه دينه ، وعقيدته كانت سببا فى جذب قلوب المسيحيين وتعلقهم بالدولة العثمانية الاسلامية بعد مقارنتهم بين ما أعلنه هنيادى وبين ما أبداه السلطان مراد الثانى من التسامح الدينى . فلا غرابة اذ كان النصر دائما فى جانب العثمانيين المسلمين ضد المسيحيين المتعصبين ، ولا غرابة أيضا أن يزوج أمير الصرب جورج برانكوفيتش ابنته للسلطان مراد الثانى والتى تدعى مارا Mara بعد أن لمس فى السلطان روح التسامح الدينى وكانت هذه الزيجة سببا فى توثيق التحالف بين الدولة العثمانية وبين الصرب التى رفضت تقديم أية مساعدة للقائد هنيادى حينما حاول أن يثار لهزمته فى وارنه سنة ١٤٤٨م (٢)

---

(1) Creasy: op. cit., pp. 70 - 71 - 72.

(٢) الشناوى ، نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٦٣٥ ، توماس أرنولد ، الدعوة الى الاسلام ، ص ٢٢٣ .

وقضى الانتصار الرائع الذي حققه السلطان مراد الثانى على الصليبيين  
فى معركة واره سنة ٨٤٨ هـ / ١٤٤٤ م على آخر آمال الغرب الأوروبى الصليبي  
فى انقاذ الدولة البيزنطية من الانهيار التام، وأدى السقوط المخرى للقسطنطينية  
فى يد السلطان محمد الفاتح بعد ذلك بتسع سنوات تقريبا .

وقد أراد السلطان مراد الثانى أن يعود مرة أخرى الى عزلته لكنه لم يكـد  
يفعل ذلك حتى ثار الانكشارية فى أدرنه سنة ٨٤٩ هـ / سنة ١٤٤٥ م ، فبرأى  
السلطان مراد الثانى أن ابنه محمد الثانى أصغر من أن يقبض على زمام الموقف  
(١) فعاد السلطان مرة أخرى ، واستطاع القبض على زمام الأمر وخضع له الانكشارية .  
وواصل السلطان مراد الثانى حركة الجهاد الاسلامى بادئا ببلاد اليونان  
وذلك بعد أن قضى على كل بارقة أمل للغرب الصليبي فى انقاذ الإمبراطورية  
البيزنطية الآيلة للسقوط فى أيدي المسلمين المجاهدين .

عاود السلطان مراد الثانى الجهاد الاسلامى مرة أخرى بادئا ببلاد  
اليونان حيث كان يحكم أثينا فى ذلك الحين دوق فلورنسى يدعى نيريو اكسييفولى  
( Nerio Acciaivali ) وكان يدفع الجزية للدولة العثمانية . فلما شغل  
السلطان مراد الثانى بحروبه ضد التحالف الصليبي انتهز قسطنطين حاكم الموره

---

(١) زبنى دحلان الفتوحات الإسلامية ، ص ٧٦ ، محمد فريد ، نفس المرجع ،  
ص ٥٧ ، الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٣٤ .

وأخو الامبراطور البيزنطى هذه الفرصة فتعدى على هذا الدوق وطرده من امارته ، وشيد سورا ضخما على برزخ كورنثس بمعونة أخيه توماس ثم استقر فى المورة . (١) ولكن هذا السور لم يعق الجيوش العثمانية الإسلامية ، فلقد سلط عليه السلطان مراد الثانى مدافعه التى أحدثت ثلما فى السور دخلت من خلاله الجيوش الإسلامية العثمانية الى مدينة كورنثس . وبذلك تم فتح المدينة ، وقبل قسطنطين أن يدفع اتاوة سنوية للسلطان وكان ذلك سنة ٨٥٠ هـ / ١٤٤٦ م . (٢)

ثم وجه السلطان مراد الثانى جهوده بعد ذلك الى ألبانيا حيث لقى عدوا لدودا كان من مشيرى الفتن فى البلاد العثمانية أثناء حروب السلطان مراد الثانى مع الصليبيين وهذا العدو هو جورج كاستريوتا G. Kastriota الذى اشتهر باسمه الاسلامى اسكندر بك أمير ألبانيا الشمالية . وكان كستريوتما والد جورج هذا قد سلم الى السلطان مراد الثانى أبناءه الأربعة ليكونوا رهائن عنده ، ومات منهم ثلاثة أطفال وبقي منهم أصغرهم وهو جورج كاستريوتا . وأحببه السلطان مراد حبا عظيما ، وكان يحنو عليه حنو الأب على ابنه . ونشأ جورج كاستريوتا فى القصر العثمانى نشأة إسلامية ، وعنى مراد بتربيته عقليا وجسميا حتى بلغ درجة كبيرة من الثقافة ، ومهر فى ركوب الخيل

---

(١) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥٧ .

(٢) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥٧ — ٥٨ .

والضرب بالسيف ، وأساليب القتال . وعهد اليه السلطان مراد الثانى بولاية من ولايات الدولة العثمانية ، ولقبه اسكندربك ، ولما انهزم العثمانيون فى نيس سنة ٨٤٧ هـ / سنة ١٤٤٣ م واضطرب أمرهم لغتتم اسكندربك هذه الفرصة وأسرع فى الفرار واتبعه ثلثمائة من مواطنيه الألبانيين الذين ناصروه . ووصل اسكندربك الى كرويا Kruya ( آق حصار ) <sup>(١)</sup> وهى حاضرة أسرة كاستريوتا فرحب به الناس على أنه الوالى الجديد من قبل السلطان مراد الثانى . ثم دعا الجيش الألبانى وزعماءه الى حمل السلاح للدفاع عن حرية بلدهم فلبوا نداءه وأجمعوا على اختياره زعيما لهم وقائدا . وأصبح اسكندربك السيد المطاع فى ألبانيا وارتد عن الاسلام الى النصرانية وأعلن حربا صليبية جديدة على الأتراك العثمانيين . <sup>(٢)</sup>

بلغ جيش اسكندربك اثنين وعشرين ألف رجل . واتخذ كرويا قاعدة لأعماله الحربية . فلما سير السلطان مراد الثانى جيشه بعد ذلك بقيادة على باشا هزمه اسكندربك شر هزيمة . وحاول السلطان مراد الثانى بعد انتصاره فى معركة وارنه سنة ٨٤٨ هـ / ١٤٤٤ م أن يستميل اسكندربك اليه بالحسنى فكتب اليه يدعوهُ الى الطاعة ويَعِدُه بالمغفلة يَزِدُه ذلك الا تمنحاً

- 
- (١) توماس أرنولد ، الدعوة الى الاسلام ، ص ٢٠٥ ،  
( آق حصار ) مدينة بألبانيا فى سنجق اسقودره وتسمى اليوم " آقجه حصار "  
( أنظر دائرة المعارف الاسلامية مادة آق حصار ) .
- (٢) محمد فريد ، نفس المرجع ، ص ٥٨ ، الرشيدى ، محمد الفنايح ، ص ٤٩ .

واستكبارا ، واصرارا على الكفر والصليبية • وكتب الى السلطان مراد الثانى  
يود دعوته ، ولقب نفسه بجندى المسيح ، وأمير الألبانيين والايروسيين •

وفى سنة ٨٥١ هـ / ١٤٤٧ م خرج السلطان مراد الثانى بنفسه الى  
ألبانيا وأضى فيها نحو ثمانية عشر شهرا • واستطاع برغم ما أظهره اسكندر  
بك ورجاله من الهسالة والاستمالة فى القتال أن يستولى على سفيتجـراد  
Dibra • وديبرا Sfetigrad (١)

وكان هنيادى منذ هزيمته الأولى فى معركة وارنه لا يهدأ عن التأهب  
والاستعداد لينتقم لنفسه من تلك الهزيمة ، لذلك انتهز هنيادى فرصة  
انشغال السلطان مراد الثانى فى حربه مع اسكندر بك ، فحشد جيشا عظيما  
لقتاله بعد أربع سنوات من هزيمته فى وارنه فى أواخر رجب سنة ٨٥٢ هـ /  
أواخر سبتمبر سنة ١٤٤٨ م وزحف هنيادى بجيش كبير يتكون من الألمان ،  
وسكان ولاشيا ، وبوهيميا ، والمجر ، وترانسلفانيا ، فلما بلغ ذلك السلطان  
مراد الثانى غادر ألبانيا من فوره ، وأسرع للقاءه • وكان هنيادى قد أدخل  
فى تقديراته حينما زحف ليقا تل العثمانيين معاونة الصرب ، والألبانيين له ،  
إلا أن شيئا من هذا لم يحدث وذلك لأن الألبانيين كانوا مشغولين بـصـد

---

(١) سرهنك ، حقائق الأخبار ، ص ٥٠٥ ، محمد فريد ، نفس المرجع ، ص



الحمالات التي كانت تبعتها الدولة العثمانية عليها تباعا ، أما الصرب فكان  
السلطان مراد قد تزوج من ابنة أمير الصرب جورج برانكوفيتش فكانت هذه  
الزيجة سببا في توثيق التحالف بين الدولة العثمانية وبين الصرب التي  
كانت تود أن تتخلص من حكم المجر . وتقابل الجيشان المسلم والصليبي  
في سهل قوصوه Kossova . وقبل أن ينشب القتال بين الجيشين  
بعث السلطان مراد الثاني إلى هنيادي وفدا ليقاضه في العدول عن  
الحرب وسفك الدماء ، ولكن هنيادي أخذته العزة والصلف ، وظن أن هذا  
ضعفا وعجزا من السلطان مراد الثاني على الحرب ، وما لبثت المعركة أن نشبت  
بين الجيشين المجرى والعثماني الأسلاف فكانت حربا حامية دامية طيلة ثلاثة  
أيام كاملة في شعبان سنة ٨٥٢ هـ / أكتوبر سنة ١٤٤٨ م . وللمرة الثانية  
شهد سهل قوصوه انتصارا عظيما ساحقا للعثمانيين ، وكانت المرة الأولى في  
عهد السلطان مراد الأول سنة ٧٩١ هـ / سنة ١٣٨٩ م . (١)

أما هنيادي فانه عندما لمح بوادر الهزيمة على جيشه انقلت من بين عساكره  
ولاذ بالفرار ، وهام على وجهه ، وكان من نتيجة هذه الهزيمة القاسية في  
كوسوفا ( قوصوه ) الثانية أن فقدت الدولة البيزنطية خاصة والدول الأوربية  
عامة آخر أمل في احياء الحروب الصليبية ضد الدولة العثمانية الإسلامية

---

(١) سرهنك ، حقائق الاخبار ، ص ٥٠٥ ، محمد فريد ، الدولة العلية ،  
ص ٥٨ ،

الفتية ، وانقاذ الدولة البيزنطية والقسطنطينية من مصيرها المحتوم ، كما أخرجت هذه المعركة بلاد المجر لعشر سنوات على الأقل من عداد الدول التى تستطيع النهوض بعمليات حربية هجومية ضد الدولة العثمانية الإسلامية . وهكذا ضاع أمل الصليبيين الغربيين ومن ورائهم الدولة البيزنطية فى القضاء على الدولة العثمانية الفتية وانقاذ المسيحية الشرقية من الانهيار وذلك بانتهيار وسقوط القسطنطينية الذى بات متوقعا بين لحظة وأخرى .

وفى أواخر السنة التالية لمعركة قوصوه الثانية قصد السلطان مراد الثانى ألبانيا سنة ٨٥٣ هـ / سنة ١٤٤٩ م وحاصر كرويا Kruya وقد صاحبه فى هذه الحملة ابنه محمد الثانى فأظهر من الهمة والنشاط والجلد ما أكسبه إعجاب جنده . ورغم الجهود العظيمة الجبارة التى بذلها السلطان مراد الثانى فقد امتعت عليه مدينة كرويا ، وأخذ اسكدر بك كلما جن الليل يرهق الجيش العثمانى بهجمات عنيفة متواصلة . واضطر السلطان مراد الثانى آخر الأمر ان ينسحب بجنوده بعد أن فقد منهم عددا غير قليل ، وعاد الى عاصمته أدرنة ليجهز جيشا جديدا كافيا لقمع هذا الثائر ولكنه توفى فى يوم ٥ المحرم سنة ٨٥٥ هـ / ٩ فبراير سنة ١٤٥١ م . (١) ولا شك أن

---

(١) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥٨ ، سرهنك ، نفس المرجع ،  
Diehl: op. cit., p. 164. ص ٥٥٥

انتصارات السلطان مراد الثاني في أوروبا قضت على آمال الغرب الأوربي في انقاذ الدولة البيزنطية من قدرها المحتوم الذي كان ينتظرها على أيدي العثمانيين . وكان على السلطان الجديد محمد الثاني بن مراد الثاني أن يحقق حلم المسلمين وأملهم في القضاء على الدولة البيزنطية والاستيلاء على عاصمتها القسطنطينية وهو موضوع الفصل الرابع .

.....

## الفصل الرابع

### السلطان محمد الثاني وفتح القسطنطينية

- أحوال الدولة البيزنطية قبل حصار العثمانيين للقسطنطينية .
- استعدادات السلطان محمد الثاني لفتح القسطنطينية .
- موقف القوى الأوروبية من الفتح العثماني للقسطنطينية .
- انتصار الإسلام وسقوط القسطنطينية .

قضت معركة وازنه سنة ٨٤٨ هـ / ٤٤٤ م على آخر آمال الفرس  
الأوربي الصليبي في انقاذ الدولة البيزنطية من مصيرها المحتوم على أيدي  
العثمانيين المسلمين . وضم العثمانيون على فتح القسطنطينية عاصمة  
البيزنطيين ، ومقل المسيحية في شرق أوروبا بعد أن استعصت هذه المدينة  
الحصينة على الغزاة الفاتحين منذ عصر صدر الاسلام . فقد شهد القرن  
الاول الهجري القرن السابع والثامن الميلادى حملتين كبيرتين لفتح  
القسطنطينية ، وكانت أولى المحاولات الاسلامية الجادة لغزوها عام ٤٩ هـ /  
٦٦٩ م ، حيث جهز معاوية بن ابي سفيان رضى الله عنه جيشا عظيما لفتح  
القسطنطينية ، وكان الجيش بقيادة يزيد بن معاوية ، وخرج معه من الصحابة  
سفيان بن عوف ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ،  
وأبوايـب الانصارى ، وسار الجيش الاسلامى حتى بلغ القسطنطينية ، واقتتل  
المسلمون والروم في بمسالة نادرة ، ولكن الجيش الاسلامى لم يتمكن من فتح  
المدينة ، وتوفي ابوايوب الانصارى أثناء الحصار ، ودفن تحت اسوار  
القسطنطينية . وانتهى حصار المسلمين للمدينة بعد فشل الحملة ، ولكن  
المسلمين ظلوا يحسون بهتاف ابى ايوب الانصارى بهم ، ودعائه لهم بأن  
يهاودوا الكرة ، حتى لا يظل جثمانه في ارض العدو . (١) أما الحملة  
الثانية فكانت في عهد الخليفة الأموى سليمان بن عبد الملك وذلك سنة ٩٦ هـ  
سنة ٧١٤ م ، وكان قائدها مسلمة بن عبد الملك بن مروان الذى عرف بالشجاعة

والقوة ، ووصلت هذه الحملة الى القسطنطينية وحاصرتها ، ولكنها رغم ذلك لم تحقق هدفها المنشود وامت الحملة بالفشل بعد ان تفشى المرض بين رجالها . (١)

وهكذا أخفقت جهود المسلمين الاولى فى فتح العاصمة البيزنطية ، ومقر الكنيسة الشرقية الارثوذكسية ، حتى جاء عهد العثمانيين الذين وضعوا نصب أعينهم فتح القسطنطينية ليحققوا ما عجزت عن تحقيقه المحاولات الاسلاميه السابقة ، وليرفعوا راية الاسلام عالية خفاقة ، فى سماء اوروسا . وتحققت هذه الامنية أخيرا فى عهد السلطان محمد الفاتح . بعد أن مهد له أسلافه من العثمانيين طريق الفتح فى القارة الاوربية .

تولى محمد الثانى (الفاتح) السلطنة فى السادس عشر من المحرم سنة ٨٥٥ هـ ، ١٨ من فبراير سنة ١٤٥١ م وكانت سنة فى ذلك الوقت لا تتجاوز الثانية والعشرين من عمره ، وكان السلطان محمد الفاتح يملك شخصية فذة حيث بز كل اقرانه منذ حداثة ، وهو يتلقى العلم فى مدرسة الامراء . وأبرز ما عرف عن السلطان محمد الفاتح هو اجادته كثيرا من اللغات المعروفة ، كما كانت ميوله لدراسة التاريخ وغيره من العلوم وانتفع بهذه الدراسة

---

(١) الطبرى ، الاسم والملوك ، القدسى الحنبلى ، قلائد العقيان ، ورقه ١٤ ، ورقه ١٥ ، مخطوط .

فى معرفة سير الشخصيات الكبرى ذات الشهرة فى ميادين القتال والادارة. (١)  
واستطاع السلطان محمد الثانى فى السنة الاولى من حكمه ان يعيد تنظيم  
داوهرن الدولة ، ومعالجتها المختلفة وخاصة الناحية المالية التى عمد فيها  
الى محاربة البذخ والتقليل ايضا من الترف ، كما نظم البلاط السلطانى ،  
واهتم بالسجلات الخاصة بالجيش ، وزاد من رواتب الجند ، ثم اتجه  
الى حكام الاقاليم فرفع بعضهم الى أعلى المناصب ، وعاقب المقصرين ،  
واستبدل البعض الآخر ، وقد تم كل ذلك بروح دبلوماسية عادلة مما جعل  
الجميع يثنون على كفايته ، ومقدرته . (٢)

وأدرك السلطان محمد الثانى ان المعركة الفاصلة بينه وبين الامبراطور  
البيزنطى قد حان وقت وقوعها ، فأصلح امور كل المقاطعات الآسيوية  
بقضاءه على الخلافات الداخلية ، وقد هدته لمدة ثلاث سنوات مع  
القائد هنيادى المجرى ، وقد معاهدات مع مدينة البندقية ، ومع  
أمرأ الافلاق ، والبوسنة ، ومع فرسان الاستارية (القديس يوحنا) فى  
رودس ، ومع الحاكم الألبانى اسكندربك ، ومع الجنوبيين وغيرهم . (٣)

(1) Lane - Pool: op. cit., p. 101; Alderson, op. cit., 123.

(2) Alderson: op. cit., p. 123.

(٣) سوريال عليه ، العلاقات ، ص ١٣٧ ، الشناوى ، نفس المرجع ،  
ص ٦٣٩ ، كمال الدسوقي ، نفس المرجع ، ص ٣٧

بدأ السلطان محمد الثاني في بناء قلعة على الجانب الأوربي لمضيق البوسفور ، وتسمى " روم ايلي حصار " ، وهي على <sup>بعد</sup> خمسة أميال من القسطنطينية ، في مكان يضيق فيها البوغاز وتقليل تماما قلعة اناضول حصار التي بناها السلطان بايزيد الاول على الشاطئ الاوربي . (١) وأراد محمد الثاني من تشييده لقلعة روم ايلي حصار التحكم في هذا الممر عند حصار القسطنطينية والحيولة دون وصول أية مساعدات قد تأتي الى البيزنطيين من البحر الاسود . وأراد السلطان محمد الثاني أيضا عزل الدولة البيزنطية سياسيا ، وعسكريا عن بقية الدول الاوربية .

وتحول موقف الامبراطور البيزنطي قسطنطين الحادي عشر من التماس والتهديد ، الى الخنوع والخضوع ، حينما بنى السلطان محمد الثاني قلعة روم ايلي حصار . وازدادت مخاوف الامبراطور قسطنطين ، وحاول الحصول على معونة من القوى الاوربية المسيحية ، دون جدوى ، لان الدولة البيزنطية قبيل الحصار العثماني للقسطنطينية كانت في نذر القوى الاوربية وتهدد ان تعاني من امراض الشيخوخة ، بالاضافة الى التفكك الناشئ عن الحروب الاهلية ، والصراع حول العرش البيزنطي . (٢)

- 
- (١) أومان الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٦٢ ، سوريال عليه ، العلاقات ص ١٣٧ ، نوار ، الشعوب الاسلامية ص ٤٩ .  
(٢) سعيد عاشور ، اوروبا في العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٦٥٦ ، نوار ، الشعوب الاسلامية ، ص ٣٢



ولم تكن الحروب الاهلية وحدها سببا فى ضعف الدولة البيزنطية ، بل كانت هناك الناحية الاقتصادية ايضا ، والتي يلفت من السوء أن خزانة الدولة كانت تعاني من نقص الموارد المالية رغم الضرائب الباهظة التى فرضتها الدولة على رعاياها ، ولم يقف تدهور الدولة البيزنطية عند هذا الحد بل ان الأباطرة اتجهوا الى الاستدانة ، حتى انهم باعوا جواهر التاج موهنوها ، وانتشرت المجاعات بسبب التدهور الاقتصادى الذى اثار بدوره على قوة الجيش البيزنطى ، لدرجة ان استخدمت الدولة قوات كبيرة من الجند المرتزقة . (١)

ولما أرادت الدولة البيزنطية الاستعانة بدول الغرب الا وهى كانت فرنسا وانجلترا قد انهكها حرب المائة عام . وفى نفس الوقت كانت ألمانيا ممزقة ، لا تستطيع الوقوف على قدميها . ومن اجل ذلك اصبح الامبراطور البيزنطى وحيدا فى مواجهة الجيش العثمانى دون معاونة تذكر من القوى الاوربية المعاصرة . (٢)

ولم يبق امام الامبراطور قسطنطين الحادى عشر الا ان يستغيث

- 
- (١) الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٥٦٦ ، عمر توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٢١ ، فيشر ، نفس المرجع ، ق ٢ ، ص ٤٤٢ .  
(٢) سعيد عاشور ، اوربا فى العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٤٦ ،  
Cam. Med. Hist., Vol. 4, p. 695.

بالبابا نيقولا الخامس وينذر به انه اذا سقطت القسطنطينية في يد العثمانيين فانهم سيتجهون بعد ذلك الى ايطاليا نفسها . واعلن قسطنطين للبابا قبوله باتحاد الكيستين ليحصل في نظير ذلك على معونة البابا مهما كلفته ذلك من ثمن (١) . ووجد هذا العرض من قسطنطين الحادي عشر قبولا من البابا نيقولا الخامس وافد البابا في سنة ٨٥٦ هـ / ١٤٥٢ م الى القسطنطينية وقد يتكون من خمسين رجلا على رأسهم الكاردينال ايزيدور ( Isidore ) الذي اقام قداسا دينيا على الطريقة الكاثوليكية برئاسة الامبراطور في كنيسة القديسة صوفيا ، وحضر مراسم الاتحاد ، واقامة الشعائر الامبراطور واعوانه ، الامر الذي اثار الغضب والسخط في نفوس رجال الدين وعامة الناس في الامبراطورية الذين كانوا يعارضون مشروع توحيد الكيستين . (٢)

ولما اشتد غضب رجال الدين على هذا التصرف ، كتب احدهم منشورا هاجم فيه مشروع توحيد الكيستين . وترتب على هذه المعارضته

---

(١) كمال الدسوقي ، الدولة العثمانية ، ص ٣٦ ، الرشيد ، محمد

الفتاح ، ص ٢٨٧ ، *Mijatovich: The Last Emperor of the greeks p. 45 FF.*

(٢) عزيز سوريال عطيه ، العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ١٢٨ ، الشناوي

نفس المرجع ، ص ٦٤٢ ، الدسوقي ، الدولة العثمانية ، ص ٣٦ ،

الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ٨٨ .

ان الاساقفة البيزنطيين عندما دعاهم الامبراطور ليقدّموا كنوزهم ، وماعدهم  
من الاموال لأعداد السلاح للدفاع عن القسطنطينية كانت اجابتهم للامبراطور  
هى الاتهام بالهرطقة . وهاضت الكنيسة الارثوذكسية تصرفات الامبراطور ،  
لدرجة ان بطريرك الكنيسة الارثوذكسية لوكاس ناتوراس Lucas Natoras  
اعلن بصراحة انه يفضل ان يرى عمامة السلطان محمد الثانى فى كاتدرائية  
القديسة صوفيا بدلا من ان يرى قبعة البابا يقولوا الخامس بابا روما فى  
القسطنطينية (١) .

وهكذا اتضح ان مشروع توحيد الكنيستين قد اسفر عن ازدياد  
سخط سكان بيزنطة ، على الامبراطور واعوانه من اللاتين ، ومن اجل ذلك  
تبدد حماسهم للدفاع عن عاصمتهم ، ولم يبالوا بمصير مدينتهم مادام  
متمسكين بمذاهبهم الارثوذكسى (٢) .

ومث البابا يقولوا الخامس الى حكام ايطاليا ، وفرنسا ، والمانييا  
وغيرها لجمع المال اللازم ، واستنهاض هم الملوك والأمراء لنجدة القسطنطينية

---

(١) الثنائى ، نفس المرجع ، ص ٦٤٢ ، الرشيد ، محمد الفاتح ،

Cam. Hist. of Islam, I, p. 283 F.

ص ٨٨ .

(2) Creasy: op. cit., p. 79.

وأرسل البابا قوة صغيرة من الجنود المحترفين • أما المدن الإيطالية  
والإسبانية التي كانت لها علاقات تجارية مع القسطنطينية ، فقد أظهرت  
اهتماما كبيرا بأمر القسطنطينية ، فأرسلت بعض القوات للدفاع عنها • وكان  
أهم المحاربين في هذه الجماعة القائد الجنوبي المخامر جان جستنيان  
( Jean Justinian ) الذي وصل في ١٨ المحرم سنة ٨٥٧هـ / ٢٩  
يناير سنة ٤٥٣م مع سفينتين حربيين وثلاثمائة من الرجال المختارين  
الذين وصلوا إلى القسطنطينية قبل الحصار بقليل (١) •

أما السلطان محمد الثاني فإنه بذل جهدا كبيرا في الاستعداد  
والتأهب للحصار ، ودرس الموقف دراسة شاملة فاحصة من جميع النواحي ،  
وجمع أحسن قواته الموجودة في أدرنه ، وجيز أعدادا كبيرة من جميع فرق  
الجيش ، ولم يأت ربيع سنة ٨٥٧هـ / ٤٥٣م إلا وكانت قواته قد بلغت أوجها  
في الاستعدادات ، واكملت معداتها خاصة من المدافع الثقيلة ذات المرمى  
البعيد ولم يكتف السلطان محمد الثاني بما لديه من مدافع قوية ، بل عمل  
على شراء عدد كبير من المدافع الحديثة التي لم ير مثلها قبل ذلك في أية  
حرب سابقة • (٢)

---

(١) الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ٨٧ ،  
Gibbon, Bowen: Islamic Society and the West, Vol. I, p. 177  
FF.

(٢) الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٤٣ ،  
Creasy: op. cit., pp. 77 - 78.

واستطاع السلطان محمد الثانى ان يعتمد فى جلب هذه المدافع على رجل  
مجرى مشهور من أشهر صناع المدافع فى زمانه يسمى أوربان  
Uroban وكان هذا الرجل يعمل فى خدمة الامبراطور البيزنطى قسطنطين الحادى عشر ،  
ولكنه وجد أن قسطنطين لا يعطيه من أثمان بضاعته الا القنزر القليل من المال ،  
وانتهز السلطان محمد الثانى سخط أوربان المجرى على الامبراطور البيزنطى ،  
ووعده بالعطاء السخى ، والجوائز الثمينة ، له ولكل من يماونه فى حصار وفتح  
القسطنطينية ، ولم يكف السلطان محمد بالخفاوة بأوربان والأغداق<sup>عليه</sup> بالمطايا ،  
والجوائز المجزية ، بل فتح له أبواب خزائنه ، وغمره بأموال كثيرة . ( ١ )

وفى مقابل هذا السخاء من جانب السلطان محمد الثانى ، صنع أوربان  
مدفعا ضخما للعثمانيين فكان هذا المدفع موضع اعجاب من العثمانيين ، كما  
كان موضع رعب وخنق للبيزنطيين حيث كان وزن الكرة التى يرمى بها هذا  
المدفع كما يقال - اثنتى عشر ألف رطل ( حوالى ٣٠٠ كيلو جرام ) ، وسدى  
مرماه اكبر من ميل . ويقال انه كان يلزم لتحريك هذا المدفع الضخم ونقله  
من مكان الى آخر حوالى مائة ثور و ٧٠٠ من الرجال ، وتحتاج قذيفة هذا  
المدفع لنحو ساعتين حتى يتم اعدادها . ولما كان هذا المدفع بهذا الحجم  
والوزن فقد استغرق نقله من أدرنه الى موضعه أمام أسوار القسطنطينية نحو  
شهرين ، مع ان الطريق من أدرنه الى القسطنطينية كانت تقطع فى يومين عادة ،

---

( ١ ) جييون ، سقوط الامبراطورية الرومانية ، ص ٣٤٥ ، ٣٦٨ ، الشناوى ،  
نفس المرجع ، ص ٦٤٣ ،  
Creasy: op. cit., p. 77.

ولم من استعظام العثمانيين لهذا المدفع ان نسبوه الى السلطان محمد الثانى  
واطلقوا عليه المدفع السلطانى . (١)

ولم تقف عبقرية أوربان واخلاصه للعثمانيين عند تقديم هذا المدفع  
وانما صنع عدة مدافع أخرى أدت دورها فى رفع معنويات الجيش العثمانى ،  
كما ألقت الرعب فى حامية القسطنطينية . بجانب هذا المدفع كانت هناك  
اعدادا كبيرة من البنادق التى كانت ذات فائدة كبيرة فى معاونة الجيش  
العثمانى . وأصبحت كل هذه المعدات الحربية من كل نوع تؤدى دورها  
فى مواقعها المختلفة . (٢)

وكان السلطان محمد الثانى وهو يمد الخطة المحكمة لـحـمـار  
القسطنطينية قد كلف المهندسين من ضباطه برسم المدينة وأسوارها وحصونها ،  
كما كلفهم بدراسة مخططات المدينة جميعها ، وتحديد المواقع ، والأماكن  
التي سوف توضع بها المدافع والذخيرة ، كما طلب تعيين أماكن لكل فرقة  
من القوات العسكرية . وهكذا كان السلطان المجاهد محمد الثانى على جانب

---

(١) سرهنك ، حقائق الاخبار ، ص ٥٠٢ ، شاكرا الحنبلى ، التاريخ  
العثمانى ، ص ٣٦ - ٣٧ ، الشناوى ، نفع المرجع ، ص ٦٤٣ ،  
ابوالحسن الندوى ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ص ١٦٠

(2) Creasy: op. cit., p. 77.

كبير من الخبرة العسكرية ، والدقة المتفاهية فى تصرفاته ، بحيث لاتمر عليه  
صغيرة ولا كبيرة الا بعد دراسة شاملة وتحليل دقيق . ولما انتهى السلطان  
محمد الثانى من هذه الدراسة العسكرية ، والمواقع الاستراتيجية ، تبين  
له ان الطريق الى القسطنطينية من ناحية البسفور لاتزال مفتوحة حيث كانت  
السفن تدخل من هذه الناحية الى المدينة وتخرج فى حرية كاملة . ورأى بثاقب  
فكره أن يسرع فى بناء سفن جديدة تقف فى هذه الناحية لمنع تسرب أى سفينة  
صليبية تحمل المعدات والموءن للمدينة ، وتحول بينها وبين الوصول الى  
الميناء . (١) .

بلغ عدد السفن العثمانية الاسلامية حوالى ٣٢٠ سفينة من مختلف  
الاحجام ، ولكنها كانت أقل كفاءة من الاسطول البيزنطى ومع ذلك خشى  
البيزنطيون ان تدخل هذه السفن الاسلامية الى ميناء القرن الذهبى ، فسدوا  
مدخله فى سنة ١٢/٥٨٥٧ من ابريل سنة ٤٥٣ م بسلسلة ضخمة من الحديد ،  
حيث احتمت السفن البيزنطية وراءها . وعهدوا بحراسة الميناء الى البحارة  
الجنوبيين . (٢) .

- 
- (١) اومان ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٦٣ ، الرشيدى ، محمد  
القاتح ، ص ٩٣ .  
(٢) سرهنك ، حقائق الاخبار ، ص ٥٠٧ ، شاكر الحنبلى ، التاريخ  
العثمانى ، ص ٣٧ ، يوسف آصاف ، تاريخ سلاطين آل عثمان ، ص ٤٥ ،  
نبيه عاقل ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٣٥١ .

ومعد أن أتم السلطان محمد الثاني استعداداته زحف بجيوشه  
الى القسطنطينية ، وحينما وصلت الجيوش العثمانية الى مشارف المدينة وقف السلطان  
محمد الثاني ، وخطب في رجاله خطبة بليغة ، حثهم فيها على الجهاد في  
سبيل الله ، وصدق القتال ، وقرأ عليهم كثيرا من الآيات والأحاديث النبوية  
الشريفة المبشرة بفتح القسطنطينية ، وعرفهم بأنهم سيحصلون على الفخر ،  
والنصر ، بالفتح العظيم لمعقل المسيحية ، وان هذا الفتح سيميد للاسلام  
عزة وكرامة ، ويرفع منارته ، كما كان في عهد الخلفاء الراشدين . (١)

ولم يكف ينتهي من خطبة العظيمة التأثير في نفوس جنده . حتى  
تمالت صيحات جنوده المسلمين مدوية مججلة تشق عنان السماء ، الله اكبر ،  
الله اكبر . وكان في طليعة الجيش الاسلامي عدد كبير من كبار العلماء  
المسلمين الذين كان لهم دور كبير في رفع الروح المعنوية ، وتعبئة الشهور  
الديني واشغال الحماس في قلب كل جندي ، ومن هؤلاء العلماء الذين لهم  
التأثير الروحي الكبير في الجند المقاتلة ، الشيخ آق شمس الدين . الذي  
اكتشف قبر أبي ايوب الانصاري رضي الله عنه ، والشيخ آق بيق ده ، والمولى  
احمد الكوراني . ورفع العلماء الكف الضراعة سائلين المولى عز وجل ان ينصر  
الجيش الاسلامي ، ويعز دينه ، ويحفظ كتابه ، وأخذوا يرددون حديثا

---

(١) الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ٩٣ .



نسب الى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وهو يقول " افتتحن القسطنطينية ولنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش " (١)

وانطلق طوفان الجنود حتى بلغ أسوار القسطنطينية ، وضرب الحصار حولها • واحكمت الخطط التي استفادها السلطان محمد الثاني من والده السلطان مراد الثاني ، وزاد عليها السلطان محمد الثاني دعم التحصينات ، واعداد فرقة من الجيش أمام الاسوار البحرية •

واستعدت فرق المشاة للقيام بواجبها في قذف السهام الى الحائط الخارج الذي كان يظهر عليه المدافعون عن المدينة من الجيش البيزنطي • كما اعدت المجانيق (٢) على طول الخطوط تحمل قطعاً ضخمة من الصخور لدك الاسوار الحصينة ، حول القسطنطينية • ومن المظاهر التي تدل على

---

(١) صحيح مسلم ، الجزء الثامن ، شكيب أرسلان ، حاضر العالم الاسلامي ، ج ٢ ص ٢١٤ ، الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ٩٤ •

(٢) المجانيق أو المنجنيقات جمع منجنيق وهي آلة حربية اقذف الاحجار والنقط ، د • نظير حسان سعداوى : جيش مصر في عهد صلاح الدين أو عبد الرحمن زكى : السلاح في الاسلام •

اخلاص السلطان محمد الثانى فى جهاده ، والاعلان عن صدق نيته ففى  
رفع راية الاسلام ، انه كان محافظا على الصلاة فى اوقاتهما ، وكلما حضر  
وقت الصلاة ، نشر سجادته ، واستقبل القبلة ، وكبر للصلاة ، ومعه جنوده  
البواسل مكبرين فى صوت كله خشوع مما افزع الاعداء ، ونشر الرعب بينهم . وكلما  
سمعوا صوت الحق مكبرا به المسلمون ايقنوا ان مصيرهم ومصير مد ينتهم قد  
اصبح وشيك الوقوع فى ايدى العثمانيين المجاهدين (١) .

ثم اخذ السلطان محمد الثانى يشدد الحصار على القسطنطينية بقواته  
العسكرية ، وقد اختلف المؤرخون فى تحديد الجنود العثمانيين المحاصرين  
لمدينة القسطنطينية ، وترددت اقوالهم ما بين سبعين الفا ، ومائة وخمسين  
الفا ، ومائتين وخمسين الفا ، وثلاثمائة الف مقاتل (٢) . ولا شك ان الذين  
بالنوا فى عدد الجيش العثمانى قد تأثروا بالنتائج الباهرة التى تحققت فى  
فتح القسطنطينية ، واعتقدوا ان هذه النتائج لا يمكن تحقيقها الا اذا كان  
الجيش يحتوى عددا خياليا يصل فى تقديرهم الى ثلاثمائة الف مقاتل ، وانهم  
بتقديرهم هذا اغفلوا عن عوامل النصر التى كانت كامنة فى الجيش العثمانى .

---

(١) أوسان ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٦٣ ،

Creasy: op. cit., p. 79.

(٢) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥٩ ، سرهنك ، حقائق الاخبار ،  
ص ٥٠٦ ، الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٤٢ ، الدسوقى ، الدولة  
العثمانية ، ص ٣٢ .

وهى بعيدة كل البعد عن كثرة العدد ، وهى بطولة الجنود العثمانيين ، وقوة عقيدتهم ، وحرصهم على الموت فى سبيل الله . وانهم بهذه الصفات لم يكونوا بحاجة الى هذه الاعداد الكبيرة من الجند لاسيما وان القوة البيزنطية المدافعة عن القسطنطينية لم يزد عدد هاقى رواية بعض المؤرخين عن تسعة آلاف مقاتل ، ومزيد عدد هم الى اربعين الفا فى الروايات الاخرى . ومن اجل هذه الاعتبارات يتضح ان الرأى الذى يكون قريبا من الحقيقة هو ان عدد الجيش العثمانى لم يزد عن سبعين ألفا ، وذلك بالاضافة الى القومات الاخرى للجيش الاسلامى وهى قوة العقيدة والتنظيم الادارى والحربى . (١)

وكانت مدينة القسطنطينية أشبه بمثلث متساوى الساقين محاط من كل جانب بالأسوار ، رأسه بارز شرقا فى مياه البوسفور والجانب الشمالى منه واقع على مياه القرن الذهبى ، والجزء الجنوبى منه يطل على بحر مرمرة . أما القاعدة فهى الاسوار الغربية التى تفصل المدينة عن باقى القارة الاوربية . والمدينة من كافة نواحيها محاطة بالأسوار ألا أن أسوار القسم الواقع على القرن الذهبى كانت مهمة بعض الشيء لاعتقاد البيزنطيين بأن مهاجمة المدينة من هذه الناحية بعيدة الاحتمال . (٢)

---

(١) اومان ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٦٣ ، Creasy: op. cit., p. 179.  
(٢) جميل بيهم ، فلسفة التاريخ العثمانى ، ص ١٥٦-١٥٨ ، كمال الدسوقي ، الدولة العثمانية ، ص ٣٩ .

وكان هناك في الجهة الغربية خطان من الاسوار طولهما أربعة أميال  
يمتدان من شاطئ بحر مرمرة الى شاطئ القرن الذهبي ، ويبلغ ارتفاع  
الاسور الداخلى منهما نحو أربعين قدما ، وقد دعم بابراج ارتفاعها ستون  
قدما ، وتبلغ المساحة بين كل برج وآخر نحو مائة وثمانين قدما ، ويبلغ  
ارتفاع الاسور الخارجى نحو خمسة وعشرين قدما ، وقد حصن ايضا بابـراج  
شبيهة بابراج الاسور الاول وان كانت أصغر حجما . وهذا الاسور الخارجى  
وعد ، كان من القوة والمناعة بحيث يكفى لحماية أية مدينة من مدن المـصـر  
الوسطى . كما حضر البيزنطيون خندقا واسعا الى جوار الاسور الخارجى ،  
يبلغ عرضه ستين قدما ، وعرضه مائة قدم ، ويعتبر هذا الخندق خط الدفاع  
الاول عن القسطنطينية . وللـسـور الخارجى لهذه المدينة ابواب كثيرة ، اهمها  
باب أدرنه ، وباب القديس رومان ، ( Saint-Roman ) وباب  
المدفع ، والباب الحسكرى الثالث ( ١ ) .

أقام السلطان محمد الثانى جنوده تجاه الاسور الخارجى ، وقسمهم  
الى ثلاثة اقسام هى : — القسم الاول وهو الميمنة ، وتتألف من جنود  
الاناضول ، بقيادة اسحق باشا ومحمود بك ، ويواجه جزءا من الاسور ، يمتد  
الى نهايته من الجنوب عند بحر مرمرة الى باب القديس رومان . والقسم الثانى  
وهو الميسرة ، وتتألف هذا القسم من جنود روملى والمتطوعين من غـيـر

---

( ١ ) الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ٩٦ ، محمود زياد ، دراسات فى التاريخ  
الاسلامى ، ج ٢ ، ص ٥٣٠ — ٥٣١



الانطاميين تحت قيادة قره جه باشا ، ويواجه جزءا من السور يمتد من أقصى الشمال عند ميناء القرن الذهبي الى باب أدرنه . والقسم الثالث وهو القلب ، ويتألف من الانكشارية والجنود المختارة ، تحت قيادة السلطان محمد الثانى نفسه ، ويواجه هذا القسم الجزء الاوسط من السور والذي يمتد من باب القديس رومان الى باب أدرنه . ويعتبر هذا الجزء من السور هو أضعف جزء فيه ، ان يقع فى وادى نهر ليكوس ( Lycus ) ( ١ ) .

وأقام السلطان محمد الثانى مركزا للقيادة العامة والأشراف على حركات الجند وسير الحصار والقتال ، خلف مركز القلب ، كما أقام عند كل باب مراقبا خاصا ، وعسكر زغرس باشا احد قادة السلطان محمد الثانى مع فرقة من الجند فى المرتفعات المشرفة على غلطة لمراقبة الجنود بها ، ومنعهم من امتداد القسطنطينية بالمرءن والعتاد ، ومراقبة الشاطئ الشمالى من القرن الذهبى . وأمره السلطان محمد الثانى أن يقيم جسرا عند نهاية الميناء لتسهيل الاتصال ، ونقل الجنود من احدى الضفتين الى الضفة الاخرى وليتمكن من الاشتراك فى الهجوم على المدينة من ناحية البر عند الحاجة . وقد استمر حصار القسطنطينية حوالى ٥٣ يوما متواصلة من ٢٧ من ربيع الاول سنة ٨٥٧ هـ / ٢٠ من جمادى الاولى سنة ٨٥٧ / ٦ من ابريل سنة ١٤٥٣ م - ٢٩ من مايو سنة ١٤٥٣ م . ( ٢ ) .

---

(1) Lane - Pool: Turkey, p. 108 FF.

(٢) جييون ، نفس المراجع ، ص ٣٤٥ ، والصفحات التالية .

وفي يوم ١٦ من ربيع الثاني سنة ٨٥٧هـ / الثامن عشر من ابريل سنة ١٤٥٣م أمر السلطان محمد الثاني ، الذي قاد قلب الجيش ، بالهجوم على منتصف سور المدينة ، عند وادي نهر ليكوس (Lucus) ، ودام الهجوم أربع ساعات في قتال عنيف مرير . وكان السلطان قد نصب المدافع والمجانيق وأحكم وضعها وتنسيقها امام السور البري ، كما نصبت مدافع أخرى امام باب القديس رومان ولكن القوات البيزنطية المقابلة بقيادة جستنيان ، قائد قوات جنوة استطاعت ان تصد ذلك الهجوم . ودا للمسيحيين أنهم سيمكنون من المقاومة لمدة طويلة ، خاصة وأنه بعد مضي يومين فقط من هذا الهجوم ، استطاعت أربع سفن قادمة جنوية ، وسفينة يونانية أخرى من خيوس من شق طريقها بالقوة بين الاسطول العثماني ، وتمكنت ايضا هذه السفن من دخول القسطنطينية والانضمام الى المدافعين عنها . وكانت هذه السفن الخمس محملة بالقمح والشعير والنبذ والخضروات ، وبها جنود ومطارة على درجة جيدة من التدريب والمهارة . (١)

وفي صبيحة اليوم الثامن عشر من ربيع الثاني سنة ٨٥٧هـ / العشرين من ابريل سنة ١٤٥٣م أمر السلطان محمد الثاني جزءا من اسطوله بقتل السفن المسيحية التي كانت تنساب بسرعة وثبات عبر البسفور . كما قام

---

(١) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٦٠ ، الشناوي ، نفس المرجع ، ص ٦٤٤ ، الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ١٠١ ،

Lane - Pool : op. cit., p. 108 FF.

البيزنطيون بزيادة اعداد المدافعين عن الاسوار ، بينما كان العثمانيون مجتمعين على الشاطئ ، يشاهدون هذا التدخل . وركب السلطان محمد الثانى جواده واتجه بنفسه الى حافة الماء لمراقبة الموقف ، لكن السفن المسيحية كانت جيدة التسليح ، محملة بالرجال واقتحمت طريقها بين اعدائها الشجعان من العثمانيين المسلمين الذين لم تمكنهم كفاءتهم من اجادة ركوب البحر والقتال فيه حتى يتمكنوا من صد هجوم السفن المسيحية ، وادى ذلك الى حدوث ارتباك ولبلة فى الاسطول العثمانى حتى اخذت سفنهم تصدم بعضها ببعض ، وارتفعت اصوات البيزنطيين بالفج من أعلى اسوار المدينة . (١)

وأعطى هذا النصر الموقت الذى حققه هذا الاسطول الجنوى الصغير دفعة قوية من الثقة بالنفس للجنود الذين يدافعون عن القسطنطينية . وما كان السلطان محمد الثانى بالرجل التى تثنيه تلك المقاومة الهزيلة عن عزمه ، أو تحرقه عن مشروعه ، لذلك حاولت السفن العثمانية اكر من مرة النفاذ الى القرن الذهبى للسيطرة عليه ، وتحطيم هذه السلسلة الضخمة القائمة عند مدخله ، ولكن السفن الاسلامية العثمانية لم توفق . وهنا لاحظت فكرة عسكرية جديدة امام مخيلة السلطان محمد الثانى وهى نقل السفن العثمانية من مرساها فى البسفور الى القرن الذهبى برا . واختمرت الفكرة فى رأس السلطان

---

(١) شاكرا الحنبلى ، التاريخ العثمانى ص ٣٧ ، كمال الدسوقي ، الدولة العثمانية ، ص ٤٠



محمد الثاني حيث قرر تسيير السفن الحربية على اليابس مسافة ٣ أميال ، وقد أمر مهندسية بغطية الأرض التي يراد سحب السفن عليها باسطوانات من خشب الصنوبر ، المدهون بالشحم حتى يمكن سحب السفن عليها ، وكان عدد ها يقرب من سبعين سفينة . واختار السلطان محمد الثاني الخفاف من السفن ، وأمر بدفعها على هذه الاسطوانات الخشبية المدهونة بالشحم ونشرت أشرفها وجرها الرجال بقوة فسارت على الاخشاب ، ونزلت هذه السفن على الجانب العلوي من القرن الذهبي حيث المياه الهادئة والمنطقة ضيقة ووجد الاسطول المكون من كل من الشاطئين . وهكذا أصبحت واجهة المدينة البحرية الداخلية فضلا عن واجتها الخارجية محاصرة بالعثمانيين . (١)

واستيقظ اهل القسطنطينية في صباح يوم ٢٠ من ربيع الثاني سنة ٨٥٧هـ / ٢٢ من ابريل سنة ١٤٥٣م على صيحات المسلمين المدوية ، وهتافاتهم المتصاعدة ، وتكبيراتهم القوية عقب نزولهم داخل الميناء . وزاد من أهمية هذه العملية الحربية ، ما أحدثته من رعب وفزع في صفوف سكان القسطنطينية ، ومابعثته من ثقة في صفوف الجند العثمانيين . وبدأت تلك

---

(١) سر هنك ، حقائق الاخبار ، ص ٥٠٧ ، سوريال عطية ، العلاقات ، ص ١٣٩ ، أومان ، نفس المرجع ، ص ٢٦٤ ، يوسف آصاف ، نفس المرجع ص ٤٥ ، نبيه عاقل ، نفس المرجع ص ٣٥١ ، سلوك سبيل الرشاد للسلطان مراد ، مجهول المؤلف ، ورقه ١٨ ، مخطوط ،

The Cam. Hist. of Islam, Vol. I, pp. 295 - 296; Greasy: op. cit., p. 81.

السفن فور وصولها الى الميناء في قذف المدينة وأسوارها بوابل من القذائف الثقيلة (١) .

كما أمر السلطان محمد الثاني مهندسيه ان يبنوا الى جانب هذه السفن جسرا عائما صنع من البراميل والصناديق الخشبية ، وشد بعضها الى بعضها بالجمال الضخمة ، وثبتت عليها الألواح الخشبية . ولما كانت نهايته القريبة قريبة من زاوية الساحل ومن حائط الميناء ، نصبت عليه المدافع لقذف ذلك الجانب من اسوار القسطنطينية والمطل على الميناء وتهديده ، ومنذ لك أصبحت السفن البيزنطية وغيرها هناك محاطة بالسفن الاسلامية من الجانبين ، وادركها الفزع والذعر الشديد . وحاول القائد البيزنطي جستنيان — ولكن دون فائدة يماونه الجنويون والاسطول اليوناني — ان يدمر الجسر ويحرق الاسطول العثماني . كما حاولت البنادقة أيضا بدون نجاح ، ولهذا اضطر الامبراطور البيزنطي قسطنطين الحادي عشر أن يضع في هذا الجانب من السور عددا كبيرا من الجند لمراقبته (٢) .

---

(١) سر هنك ، حقائق الاخبار ، ج ١ ، ص ٥٠٧ ، عزيز سوريال عطية ، العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ١٣٩ ، اومان الامبراطور البيزنطية ، ص ٢٦٤ ، يوصف آصاف ، تاريخ سلاطين آل عثمان ، ص ٤٥ ، سلوك سبيل الرشاد ، مجهول ، ورقه ١٨ .

The Cam. Hist. of Islam, Vol. I, pp. 295-296.

(٢) عزيز سوريال عطية ، العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ١٣٩ ، الرشيدى محمد القاتح ، ص ١٠٧ ، Greasy: op. cit., p. 82.

ولما اشتدت ربحى الحرب ، وملك العثمانيون زمام الموقف ، وأحكموا  
الحصار حول مداخل المدينة ، بدأ أهل القسطنطينية يشعرون بتناقص  
الطعام . وفى أوائل مايو سنة ١٤٥٣ م اضطركبير من الجند المسيحيين  
ان يتركوا مواقعهم ليبحثوا عن غذائهم ، وفداء عائلاتهم ، فكان ذلك أول الوهن ،  
وبداية الانهيار ، حيث اشتد بهم القلق وخاصة بالامبراطور البيزنطى الذى  
اسقط فى يده ، وغابت كل آماله لعدم وصول نجده اليه من أوروبا . وفى ذلك  
الحين شن العثمانيون هجوما عنيفا على اسوار القسطنطينية ، واشتد الضيق  
والكرب على المحصورين . كذلك شددت السفن العثمانية ضغطها فى هجومها  
على ميناء القرن الذهبى المرة تلو الاخرى ، كما نشطت الطاميات البحرية فى  
اطلاق مدافعها من البحر . وفى نفس الوقت كان السلطان محمد يواصل  
المهجمات ، واطلاق القذائف فى البحر والبحر ، على غير انقطاع ليلا ونهارا ،  
حتى انهك فيها الحاميات البيزنطية وجعلهم لا يستطيعون الراحة بعدما اجتاحتهم  
حالة يأس شديدة . وكان السلطان محمد الثانى قد قسم عساكره المجاهدين  
الى فرق تحت قيادة أمهر ضباطه . ونادى مناديه فى المعسكر بأن أول من  
يتسلق سور المدينة من المعسكر سوف يوليه السلطان ولاية من أغنى الولايات ،  
وينعم عليه بالعطايا الوفيرة ، والاعطامات الجزيلة (١) . واخذ يخطب  
فيهم ويستغثهم ، فسار المتطوعون امام المعسكر يحملون الأحجار والاشغال

---

(١) سرهنگ ، حقائق الاخبار ، ص ٥٠٩ ، الرشيدى ، نفس المرجع ،  
ص ١١٣ ، الشناوى ، نفس المرجع ص ٦٤٧ .

ملئت  
مع اكياس بالطين والرمل ليلقوها بالخندق لتكون كالجسر يعبرون عليه لا متسلك  
المدينة . ولما صدر لهم الامر بالسير اندفعوا كالسيل الجارف وصاروا يلقيون  
ما يديهم بالخنادق ، فانصبت عليهم من اعلى السور نيران الاعداء وقتل  
منهم العدد الكثير ، واطلم الجو من دخان المدافع ، وقابلتهم سهام  
المدافعين . كل ذلك والجيوش المنتظمة لم تبد أقل حركة ، حتى تصيب  
عسكر الامبراطور البيزنطى ، فمئذ ذلك تحركت تلك الفرق وزحف على  
الاسوار بقلوب لا تنهاب الموت ، ولما منهم قلعة شامخة من الخشب على عجل  
يجرها الجند مكسوة من الخارج بمواد كيميائية خاصة على الدوام لتضيق تأثير  
النيران التى كان يقذفها المحاصرون . وكانت تحمل فى اسفلها السراب  
والاعجار ، والاشباب لرذم الخندق ، وفى اعلاها سلا من الحديد  
عصبت فى اطرافها كالايب يلقونها على اعلى السور فتشرب فيه ليمر عليها الجند  
كالقنطرة ، بينما كان الجند الآخرون يصرون نبالهم الى كل من يطل برأسه  
على السور من المدافعين . وشرع النقبابون فى ثقب الاسوار ، واشتبك القتال  
وقويت نيران الاعداء بعد ضعفها ، وفتحت مدافع العثمانيين افواهها  
ورغم ذلك فلم يكن بوسع المدافعين استعمال مدافعهم الكبيرة من فوق الاسوار  
لان اهتزازها عند الانطلاق كان يزلزل السور ويهدمه . (١) وهال اهل  
القسطنطينية أمر هذه القلعة الجبارة ، وقال المؤرخ البندقى باربارو الذى  
شهد هذه القلعة بنفسه " لو اجتمع جميع نصارى القسطنطينية على ان يصنعوا

مثل هذه القلعة لما صنعوها فى شهر ، وقد صنعها المسلمون فى ليلة واحدة بل فى اقل من اربع ساعات (٢٠) ومع ذلك فقد استطاع الامبراطور البيزنطى قسطنطين الحادى عشر تركيز الضرب بالنيران على القلعة واحراقها فى النهاية .

ومضى على الحصار المثمانى للقسطنطينية سبعة أسابيع ، وهذا الحصار قائم على قدم وساق ، حتى بدأت اثاره تظهر ، اذ دمرت أربعة من الابراج الكبيرة للمدينة ، وحدثت ثغرة كبرى قسى حائط المدينة قرب بوابة سانت رومان ، وامتلاً الخندق بالانقاض بعد أن كلت ايدى المصورين عن رفعها . واعتقد السلطان محمد الثانى أن الميعاد قد حان للهجوم الاخير على القسطنطينية ، فارسل آخر اذار الى الامبراطور البيزنطى قسطنطين للتسليم قبل أن يراق المزيد من الدماء . مدت الروح الكريمة ، والمعاملة النبيلة ، التى ابداهها السلطان محمد الثانى من هذا الانذار ، فقد بعث رسولا الى الامبراطور البيزنطى يخبره بأنه ان سلم المدينة بغير قتال ، فان السلطان سيمنح جميع الرعايا الحرية التامة ، ولا يتعرض لهم فى شىء اصلاً ،

---

(١) انظر سر هناك ، حقائق الاخبار ، ص ٥٠٩ ، الشناوى ، نفس المرجع ،

ص ٤٧ ، ٦ ، Creasy: op. cit., p. 82.

ومهب الامبراطور بلاد الموره ليكون اميرا عليها ، فلم يقبل الامبراطور اليزنطى  
هذا العرض من السلطان العثمانى ورد ردا غير كريم ، ونسى أن يصيـر  
مدينته قد تقرر بالفعل ، واصبح وشيك الوقوع . (١)

وفى مساء ١٨ من جمادى الاول سنة ٨٥٧هـ / ٢٧ من مايو سنة ١٤٥٣م  
أوقد الجنود العثمانيون النيران والمشاعل والقناديل ، واشعلت الشموع على  
رءس الرماح حول معسكر المسلمين ، وتعالصيحاتهم وهم يهتفون فرحين  
بأعلى صوتهم " لا اله الا الله " . ودقت الطبول ، ونفخ فى الابواق ،  
وارتفعت الاناشيد الحماسية . واخذ فريق من الشيوخ والعلماء ينشدون القصائد  
التي تثير الحماس ، وتقوى الروح المعنوية ، ويستغيثون بالخالق سبحانه  
وتعالى ليهبهم النصر وعلى راية الاسلام . وامضى السلطان محمد الثانى  
اليوم التالى ١٩ من جمادى الاولى سنة ٨٥٧هـ / ٢٨ من مايو سنة ١٤٥٣م فى  
اكمال استعداداته الاخيرة ، فطاف بالسور مرة اخرى ليتعرف جيدا هو وجنوده  
مناطق الضعف فيه .

وعاد السلطان محمد الثانى الى خيمته ودعا اليه كبار رجال جيشه ،  
واصدر اليهم التعليمات الاخيرة قائلا : " اذا تم لنا فتح القسطنطينية  
تحقق فينا حديث من أحاديث رسول الله ومعجزه من معجزاته ، وسيكون من

---

(١) حقائق الاخبار ، ص ٥٠٩ ، عبد العزيز نوار ، الشعوب الاسلاميه ،  
ص ٥٠ - ٥١ ، الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٤٧ - ٦٤٨

حظنا ما أشاد به هذا الحديث من التمجيد والتقدير ، فأبلفوا العساكر فردا فردا ، ان الظفر العظيم الذى سنحرزه سيزيد الاسلام قدرا وشرفا ، ويجب على كل جندى ان يجعل تعاليم شريعتنا الشراعية نصب عينه فلا يصدر عن احد منهم ما يجافى هذه التعاليم ، وليتجنبوا الكائنات والمعابد ولا يمسوها بأذى ، وان يتركوا القسوس والضعفاء ، والمعزة الذين لا يقاتلون (١) .

أما فى القسطنطينية فقد قطع البيزنطيون كل أمل فى مجيئ النجدة الاوربية من الغرب ، ووضعوا كل اطمعهم فى هذا السور الضخم الذى لستم تنقطع عنه المدفعية المشمانية طوال تلك الايام الماضية ولمدة سبعة اسابيع منذ لك ارهقت اصحاب الكثير من المحاصرين داخل المدينة وفروا الى معسكر المسلمين لينشدوا لانفسهم الامن والسلامة ، ولقوا فى المعسكر الاسلامى كل ترحيب وأمن . كما التجأ ايضا الى المعسكر الاسلامى فيمن التجأ الراهب بترو فى والشماعة من اصحابه ، فاکرمهم المسلمون ، واحسنوا معاملتهم وكان لذلك وقع طيب فى نفس الراهب وشرح الله صدره للاسلام فاسلمهم ، وعرف منذ ذلك الحين بمحمد بترو وكان خير معين للمسلمين فى الهجومات العام على القسطنطينية ، حيث دلهم على عسورات المدينة وقد اجزل اليه السلطان محمد الثانى العطاء (٢) .

(١) محمود زيادة ، دراسات فى التاريخ الاسلامى ، ج ١ ، ص ٤٨١ ،

الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ١٢٦

(٢) الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ١٢٢ .

وكان السكان البيزنطيون فى القسطنطينية يتخلّبون على الفزع بالتمسك بالاعتقاد فى اساطيرهم الدينيه التى تقول بأن القديسين والملائكة سيساعدون هؤلاء الذين لا يستطيعون مساعدة انفسهم . ونشب النزاع ، والشقاق بين اليونانيين واللاتين المدافعين عن القسطنطينية ، فعندما طلب جستنيان القائد الذى كان يتولى الدفاع عن الثغرة الكبرى عند بوابة سانت رومان ، مزيدا من المدافع من الدوق نوتاراس الذى كان له الاشراف على التموين العام رفض ذلك بحجة عدم ضرورتها . (١)

وفى ليلة ٢٠ من جمادى الاولى سنة ٨٥٧هـ / ٢٩ من مايو سنة ١٤٥٣م أدى الامبراطور البيزنطى قسطنطين الحادى عشر القداس فى كنيسة آيا صوفيا ، ثم توجه الى القصر الامبراطورى الكبير حيث قضى فترة من الزمن فى انحاء القصر حيث حكم اسلافه قرونا عدة ، وعندما خرج قسطنطين من القصر سأل الناس المغفرة ، وطلب منهم العفو عن اى عمل قد يكون عمله حيا لهم . ووسط الدموع ، والصلوات التى عقدها الجميع ، ذهب آخر القياصرة البيزنطيين الى ساحة القتال . (٢)

أما فى المعسكر العثمانى فكان كل شىء يعد للاستشهاد فى سبيل المولى عز وجل ، حيث كانوا مؤمنين بالاسلام عن عقيدة ، كما كانوا

---

(١) الرشيدى ، محمد الفتح ، ص ١١١ - ١١٢ ،

Creasy: op. cit., pp. 82-83.

(2) Creasy: op. cit., p. 83.



مؤمنين بسلامة الهدف وموجب طاعة سلطانهم فكانوا يتطعمون الى الشهادة  
فى تواضع ، فرحين بوعده الله ، وما اعد لهم من نعيم مقيم فى الجنة •

وهكذا كانت القوات العثمانية تعلم ان نعيم الآخرة قبل الدنيا لمن  
نصر دينه وجاهد فى سبيله وحاز الشهادة • ومن وراء هذه الاحاسيس  
كانت مواظب العلماء تعرض على مسامع المجاهدين سيرة المجاهدين من اصحاب  
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الذين سقطوا من قبل تحت أسوار هذه  
العاصمة • ومن بين هؤلاء المجاهدين جند الله الانكشارية الذين كان السيف  
سلاحهم • والاسلم دينهم وعقيدتهم • وقبل المعركة استعدوا للشهادة  
فذهبوا يتطهرون ومسجدون لرئيسهم فى صلاة خاشعة ، وذكرونها فى ايمان  
عميق بعدما ظهرت نواياهم •

وما كادت الساعات الاولى من يوم الثلاثاء الموافق ٢٠ من جمادى  
الاولى سنة ١٠٥٧هـ / ٢٩ من مايو سنة ١٩٤٣م تنشر نورها على القسطنطينية  
حتى اعطيت الاشارة بدق الطبول ، والبرقات العثمانية ايدانا بيد المعركة ،  
والمهجم الشامل ، فتعالت التكبيرات ، وجاوت اصوات المهللين ، والمكبرين  
فى البر والبحر مع دقات الطبول ، وصهيل الخيول ، وجلبة الزحف العسكرى ،  
بينما كان السكون الحزين يخيم على مدينة القسطنطينية • وتتابع وشوب  
الجنود العثمانية على موجات تتلوها موجات متلاحقة تدق اسوار المدينة ،  
ولاسيما ان السلطان محمد الثانى قد أمر بتركيز الهجوم على الجزء الواقع

بين (سانت رومان) في الجنوب ، وبأب أدرنه الشمالي ، حيث كان هذا الجزء من السور قد أصابته قذائف المدافع العثمانية فهدمت منه جزءا كبيرا . وحاول قائد البيزنطيين جستينان ان يقيم المتاوريس في الجزء المتهدم أملا في تحصينه (١) .

وتعاون الاسطول العثماني مع القوات البرية فاخذ يضرب التحصينات المتعددة على طول الميناء . وجعل السلطان محمد الثاني جنوده يقاتلون في مناطق ثلاث ، وعلى ثلاثة أقسام : القسم الاول : كان مؤلفا من جنود الروملي والمتطوعين الحديثي العهد بالقتال وكان هؤلاء الجنود من اجناس مختلفة . وتقدم هؤلاء الجنود الى الامام حتى صاروا قرب السور بحوالي مرمى سهم تقريبا ، وعندئذ توقفوا عن السير ، واخذوا يقذفون المدافعين بالسهم والنبال . ثم اندفع تحت هذا الوابل من القذائف الفتاك كبير من المهاجمين نحو سور المدينة ، واقاموا عليه السلا لم تسلقه . وكان المدافعون اسرع منهم فقلبو هذه السلا لم يمن عليها وقذفوهم بالصخور الضخمة .

---

(١) عزيز سوريال عطيه ، العلاقات ، ص ١٣٨ ، أومان ، نفس المرجع ،

ص ٢٦٥ ، Greasy: op. cit., p. 83.

(٢) سرهنك ، حقائق الاخبار ، ص ٥٠٩ ، عزيز سوريال عطية ، العلاقات ص ١٣٨ ، نبيه عاقل ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٣٥٢ .

واستمر القتال على هذا النحو لمدة ساعتين قتالا عنيفا بين الجانبين ، كان السلطان محمد الثانى يرقبه من فوق صهوة جواده ، وكان يدرك تماما بأس وشدة المدافعين عن المدينة ، وكذلك حسن موقعهم الاستراتيجى بالنسبة للمهاجمين . ويبدو أن السلطان محمد كان يريد من وراء هذه المهجمة — للقسم الاول من قواته — ارهاق المحصرين ، وانهاك قواهم ، واضعاف روحهم ومعنوياتهم وتبديد طاقتهم ، قبل ان يضربهم الضربة القاضية ، والاخيرة . (١) .

وبعد ان استمر القتال ساعتين دبر السلطان خطة جديدة عمد فيها الى سحب قواته الباقية خلف الذين ارحقوا ليحل محلهم القسم الثانى من الجيش وهم جنود وقوات الاناضول . وذن المدافعون عن القسطنطينية ان المسلمين يئسوا من الحصار وانسحبوا الى غير رجعه . لكنهم فوجئوا قبل ان يتنفسوا الصعداء بهجوم أشد بأسا ، وحكة من الهجوم الاول ، فهو هؤلاء الجنود كانوا أحسن تدريبا ، وتنظيما ، وأكثر مراسا فى القتال . وكان اشد الهجوم عند بوابة سانت رومانوس . وادرك الامبراطور البيزنطى قسطنطين خطر الموقف هذا ، فاحضر الى هذا المكان المزيد من المدافعين ، وآلات الرمي والقذائف . ونشط جيتسنيان وجنوده الشجعان بدروعهم ، وقاموا

---

(١) سر هنك ، حقائق الاخبار ، ص ٥٠٩ ، الرشيدى محمد الفاتح ، ص ١٣٣

هذا الهجوم العنيف مقاومة المستميت ، وسبوا نيرانهم وقذائفهم المحرقة  
على العثمانيين ، وقلعوا السلا لم يتساقطها من المسلمين ، الا ان هذا  
كان له اثر قوى على العثمانيين فزادت حاستهم واستماتوا للوصول الى أعلى  
السور ، واستدلا بعضهم الوصول فعلا الى السور . وذلك انتقلت ارض المعركة  
الى أعلى اسوار المدينة ، حيث التحم المهاجمون ، والمدافعون فى صراع  
جسدى مميت ، وتردد النصر بين الفريقين ، وقتل الكثير من العثمانيين من  
كرة السهام ، والقذائف ، ولذلك أمر السلطان محمد الثانى بسحب جنوده  
واستعمال المدافع مرة أخرى . ولغبط من فى العاصمة وعلى رأسهم جستنيان  
للمرة الثانية بانسحاب العثمانيين وارتفعت صيحات الفرح والنصر من جانب  
السور . (١)

ولم يمهل السلطان محمد الثانى البيزنطيين ، فلم يكد يسحب جنوده  
الى اسل حتى انطلقت المدافع مدوية مرة أخرى ، ولكنها اشد تدميرا .  
وجاء دور القسم الثالث من جنود السلطان محمد الثانى وهم الانكشارية ،  
فقد كانوا اكر حكة ، وتدريباً ، وسالة فهم خير الجند العثمانية . وكانت  
خطة الهجوم هذه المرة اكر احكاماً ، وتنفيذها اكر دقة وانتظاماً ، ومن  
ورائهم كان الشيوخ والعلماء يشجعونهم ويستحثونهم على صدق القتال

والجهاد • ووصل السلطان محمد الثاني بنفسه الى حافة الخندق ، وهناك أمر الرماة والنبالة بأن يملأوا المدافع بالبيزنطيين بالسهم والنبال • وتحت هذا الهجوم المكثف زحف الانكشارية حسب الخطة الموضوعة (١) •

وحق وطيس القتال ، وبلغ اقصاه من العنف لاسيما عند بوابة سانست رومانوس وباب ادرنه • وتقدم احد الانكشارية الشجعان وكان يدعى حسن الهاد ( طولماتلى ) واندفع هذا الفدائى المجاهد ، ومعه ثلاثون من زملائه المجاهدين ليحتل بقايا أحد الابراج المحطمة والتي تسيطر على الثغرة ، واستطاعوا الوصول اليها رغم القذائف البيزنطية المميتة التي انهمرت عليهم من فوق السور لتثنيهم عن عملهم هذا ، ولكنها كانت تزيدهم عنادا لاسيما بعد ان صرفت ثمانية عشر مسلما منهم • وتسلى حسن الهاد وقية رفاقه المجاهدين السور واسرع اليهم المدافعون ونشب بينهم صراع دام وعنيف ، وظهر حسن الهاد ، ورفاقه بساله منقطعة النظير ، اشاد بها المؤرخ البيزنطى فرانتزس ( Frantezets ) الذى شاهدها بنفسه ، وذكر ان هذا الجندى المسلم الشجاع أصيب بقذيفة قوية اوقعته أرضا ، ولكنه وقف على ركبتيه ، وظل يقاتل فى حماس شديد • وتكثرت الصليبيون عليه فخرصوا عليه بعد أن فتح لاخوانه المسلمين المجاهدين طريق الوصول الى القسطنطينية واقتحامها من اعلى السور • وزادت بطولة حسن الهاد من حماس المسلمين ،

---

(١) اومان ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٦٥ ، عمر توفيق ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ٣٢٠

فضاعفوا جهدهم وقتهم في الهجوم . ونتيجة لهذا وجه احد الجنود  
العثمانيين طعنه الى جستان قائد الجيش البيزنطي اصابته بجرح عميق  
اضطره لترك موقعه في المعركة ليموت على سطح سفينة في الميناء ، فكان  
وقع الخسارة بموت جستان شديدا . ولما لاحظ قادة الانكشارية ضعف  
المقاومة في هذا الامر الذي تركه جستان عززوا هجماتهم لاقتحام هذا الامر  
وزاد الهجوم الانكشاري عنفا وقوة ، وارتقى كثير منهم انقاض السور وثبتوا اقدامهم  
في هذه المنطقة . (١)

واشترك السلطان محمد الثاني بنفسه في هذه المرحلة الاخيرة من المعركة  
فاجتاز الخندق بحصانه ، وأخذ يدير القتال بنفسه ، وتأكد من سقوط  
القسطنطينية . وأخذ يحبس جيشه ويفرضهم بكل الحوافز المعنوية والمادية  
فيحمل الحاسم الديني بواسطة رجال الدين والعلماء . وأعلن السلطان محمد  
الثاني عن مكافآت سخية لكل من يظهر بطولات عسكرية في اقتحام المدينة . (٢)

ولم يمض وقت طويل على ذلك حتى انطلقت صيحات عالية مدوية من الجبهة

---

(١) ايمان ، نفس المرجع ، ص ٢٦٥ ، الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ١٣٥ ،  
عمر كمال توفيق ، نفس المرجع ، ص ٢٣٠ ، Lane - Pool: op. cit.,  
Creasy: op. cit., p. 84.

(٢) سرهنك ، حقائق الاخبار ، ج ١ ، ص ٥٠٩ ، محمد فريد ، الدولة  
العلية ، ص ٦٠ ، الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٤٧ - ٦٤٨ .

الشماليه للسور ، ما لبثت ان سرت في جميع انحاء المدينة ، وهى تدوى : دخل العثمانيون المسلمون المدينة . والتفت الابراطوس البيزنطى قسطنطين الحادى عشر ، فاذا بالاعلام العثمانية ترفرف على بعض الابراج القريبة من باب ادرنه . وكان يقود القوات العثمانية فى هذه المنطقة القائد العثماني المجاهد قره جه بك الذي استطاع زعزعة المدافعين عن اماكنهم ، ووثبت جنوده على الانقاض المتراكمة للسور الى جنوب هذا الباب ، وتمكوا من قتل قائد الحامية البيزنطى ومقتل قائد الحامية البيزنطى ، انهارت مقاومة المدافعين عن هذا الموقع فولوا الادبار ، ودخل العثمانيون القسطنطينية .

ولما رأى الابراطور البيزنطى قسطنطين الحادى عشر ، ان كل شىء قد انتهى ، لم يجد امامه الا الحفاظ على شرفه فأقائد يتعتم عليه الموت فى الميدان . وهاجلة احد الجنود المسلمين بضربة سيف قاتله غر صريحا على اثرها . وزاد ذلك من فزع سكان القسطنطينية .

أما عن القتال الدائر من جانب البحر فقد اخذ العثمانيون يناجزون المدافعين وذلك من فوق سفنهم الراسية فى بحر مرمرة ، والقرن الذهبى ، وظلوا على ذلك الى أن رفعت الاعلام العثمانية فوق الابراج القائمة على السور البرى . وعين رآها المدافعون خارت قواهم ،

فمنهم من استسلم ، ومنهم من فر يطلب النجاة مع الفارين . ( ١ )

وفى ظهر يوم الاربعاء ٢٠ من جمادى الاولى سنة ٨٥٣هـ / ٢٩ من مايو سنة ١٤٥٣ دخل السلطان محمد الثانى الذى لقب بالفتح المدينة من البوابة الرئيسية سانت رومانس وهو لا يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره فخلد بذلك اسمه بين عظماء الفاتحين . ولم يدمر السلطان محمد الفاتح المدينة ، ولم يقتل اهلها كما فعل الصليبيون والمغول من قبل فى المدن التى قاومتهم ، وانما اظهر السلطان محمد الفاتح تسامحا منقطع النظير ، فقد أمر جنده بوقف القتال ، وامام الباب الرئيسى لكنيسة القديسه صوفيا Sainte Sophia ترجل السلطان محمد الفاتح عن جواده ، ودخل القبة فى ايا صوفيا ، والتفت السلطان محمد الفاتح الى احد العلماء يأمره بصعود المنبر ، وان تقرأ هناك صيغة التشهد الاسلامى ، وهكذا دوى صوت الحق جل وعلا " الله اكبر الله اكبر اشهد الا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله " . ( ٢ )

- 
- ( ١ ) سرهنك ، حقائق الاخبار ، ص ٥٠٩ ، محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٦١ ، الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٤٨ ، الدسوقي ، الدولة العثمانية ، ص ٤٤ ، يوسف آصاف ، تاريخ سلاطين آل عثمان ، ص ٤٥ ، عبد القادر اليوسف ، نفس المرجع ، ص ١٨٤ ، عمر توفيق ، نفس المرجع ص ٢٣٠ ، نبيه عاقل ، نفس المرجع ، ص ٣٥ .
- ( ٢ ) فريدون بك ، منشآت السلاطين ، ص ١٤٣ ، يوسف المقدسى ، قلائد الحقيان فى فضائل آل عثمان ، مخطوط ، ورقة ١٤ ، البكرى ، المنح ، ورقة ( ٥ ) ، اوام ، نفس المرجع ، ص ٢٦٤ - ٢٦٥ ،



وأخذ الموعظون الذين كانوا يسرون في ركاب السلطان محمد الفاتح أيضا يوعظون للصلاة . ولما فرغ الموعظون من آذانهم المدوى ، وصعد السلطان محمد الفاتح الى مذبح الكاتدرائية وادى الصلاة شكرا لله الواحد القهار اذا بنا بتحويلها الى مسجد . واطلق على مدينة القسطنطينية اسلا بول Islamboul أى عاصمة الاسلام . ( ١ )

وهكذا قدر للمدينة التي شادها قسطنطين الاول ان تطوى آخر صفحاتها في عهد سميه قسطنطين الحادي عشر . ومن المفارقات حقا ان المدينة التي جعلها قسطنطين رمزا للامبراطورية المسيحية ، أصبحت منارا اسلاميا ، ومنطلقا لتوجيه الدعوة الاسلامية على يد العثمانيين المجاهدين الى جهات أوروبا الشرقية . فقد حقق العثمانيون ما عجز عن تحقيقه المسلمون الاوائل . واكملوا بذلك ما بدأه السلف الاسلامي .

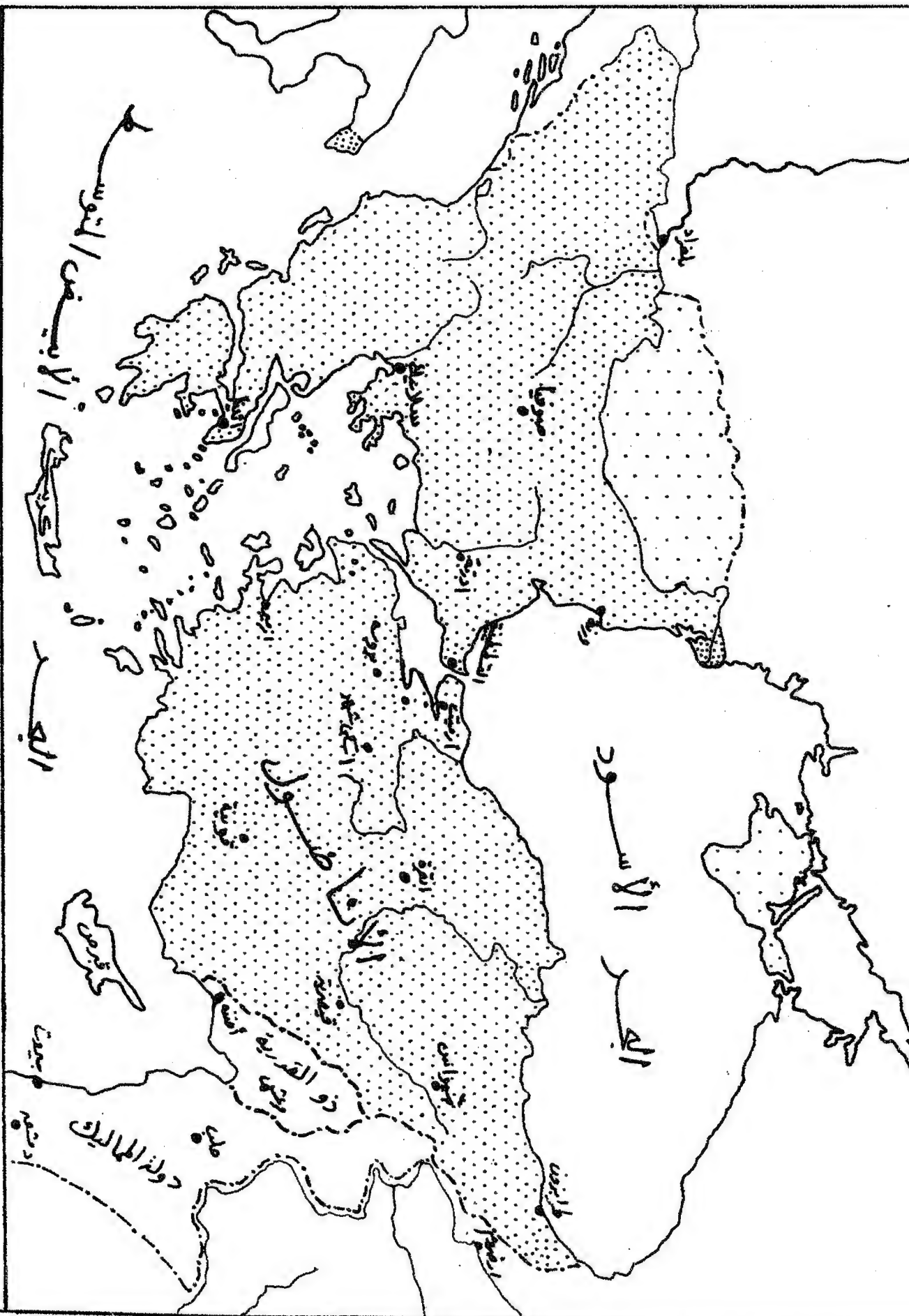
وسلك السلطان محمد الفاتح نحو أهل القسطنطينية سياسة التسامح والرفقة ، فأمر جنوده بحسن معاملة الاسرى ، وافتدى السلطان محمد الفاتح عددا كبيرا من كبار الاسرى بماله الخاص . ومنح السلطان محمد الفاتح أهل جنوة من سكان حي غالطة بالقسطنطينية شروطا مناسبة للصالح ،

---

( ١ ) اومان ، نفس المرجع ، ص ٢٦٦ ، الشناوى ، نفس المرجع ، ص

[ ١٤٥١ - ١٤٨١ م ]

الدولة المملوكية عهد السلطان محمد الثاني



لانهم التزموا الحياد أثناء الحصار ، فضمن لهم حرية العيش بأمان لقضاء تسليمهم اسلحتهم جميعا ، كما ضمن لهم حرية التجارة ، مقابل اداء الضرائب والكوس التي فرضت عليهم . ( ١ ) كما اعطى السلطان محمد الفاتح لكبار رجال الدين المسيحي حرية دينية كاملة بل زاد من سلطانهم بأن وكل اليهم امر القضاء المدني ، والفصل في القضايا الخاصة بالاحوال الشخصية للمسيحيين من رعايا كنيستهم . وبعد ثلاثة ايام من فتح العاصمة ، أمر السلطان محمد الفاتح بانتخاب بطريرك جديدا ، وفاز بالمنصب البطريرك جناد يوس Jennadius وهو أحد رجال الكنيسة الارثوذكسية المشهورين وقد تمت مراسيم تنصيبه للكرسي البابوي في احتفالات ضخمة ، ونظر البيزنطيون من سكان اسلا بول بعين الرضا للسلطان محمد الفاتح القائد المسلم . وعلى هذا فقد رجع كثير من اليونانيين الفارين الى العاصمة اسلا بول بعد ما شاهدوا تسامح السلطان محمد الفاتح وعده ، وقد تمتعوا في ظل الحكم العثماني بالحرية الكاملة في ظل الدولة العثمانية الاسلامية الكبرى . ( ٢ )

وكان من نتائج فتح القسطنطينية تحولها من معقل المسيحية الحصين في الشرق الاوربي الى عاصمة اسلامية ، فكانت منبع التسامح الاسلامي ،

---

(1) The Cam. Hist. of Islam, Vol. I, pp. 295-296.

(٢) الشناوي ، نفس المرجع ، ص ٦٥٢ - ٦٥٣ ، الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ١٤٥

وقاعدة الفتوح الاسلامية في اوربا المسيحية حتى بات العثمانيون يهددون  
بفتح روما ، والوصول الى الكرسي البابوي بها . ( ١ )

كما أصبحت اسلامبول ( استانبول ) مصدر اشعاع للفكر الاسلامي  
في اوربا حيث انشئت فيها المدارس والمجالس العلمية والادبية ، كما  
انشئت بها المساجد والمكتبات والمعاهد ، وتوافد اليها أهل العلم  
من كل بقاع العالم الاسلامي والاوربي ايضا ، فكانت بذلك منبع العلم  
والعلماء ودعمت بها حركة التأليف والترجمة لنشر المعارف بين الرعايا  
المسلمين وغير المسلمين ، مما كان له اكبر الاثر في تاريخ الحضارة الانسانية  
جمعا . ( ٢ )

وسقوط القسطنطينية انتقلت العاصمة العثمانية من ادرنه العاصمة  
الاولى للدولة العثمانية في اوربا الى القسطنطينية بعد تسميتها اسلامبول ،  
وهارتللا تترك العثمانيين المسلمين مرفأ تجاريا من أهم المرافئ البحرية  
على بوزاز البسفور والدردنيل حتى صاروا أقوى امة في البحر الابيض المتوسط  
بعد ذلك . ( ٣ )

- 
- ( ١ ) الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٦٦  
( ٢ ) المقدسى الحنبلى ، قلائد العقيان ، ورقة ٢٣ ، مخطوط .  
( ٣ ) الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٤٩ ، الدسوقي ، الدولة العثمانية ،  
ص ٤٤ ، اومان ، نفس المرجع ، ص ٢٦٦ .

هذا وقد اهتزت اوربا كلها لسقوط القسطنطينية ونظرت الى هذا الحدث الجلل على انه مصاب ضخم للمسيحية وانتصار رائع للاسلام . ولم تلبث ان تحولت فكرة القتال ضد العثمانيين الى القتال ضد المسلمين كافة وغزو بلادهم امعانا في الانتقام واخذ الثأر لمدينة القسطنطينية . ( ١ )

اما في الشرق الاسلامي فقد عم الفرح والسرور بين المسلمين ففى ربوع آسيا وافريقيه لهذا الفتح الاسلامي العظيم . وما ان وصل رسول السلطان محمد الفاتح الى مصر والحجاز وفارس يحملون نبأ هذا الفتح حتى هلل المسلمون وكبروا ، وأذيعت البشائر من منابر المساجد ، وأقيمت صلوات الشكر ، وزينت المساجد والخوانيت ، وأمضى الناس في هذه البلاد أياما كأحسن ما تكون ايام الاعياد الاسلامية روعة ورنقا وبها . وندع هذا المؤرخ المصرى المعاصر أبا المحاسن بن تغرى بردى يصف شعور الناس وحالهم فى القاهرة بعد ان وصل اليها رسل السلطان محمد الفاتح فى الثالث والعشرين من شوال سنة ٨٥٧هـ ( ٢٧ أكتوبر سنة ١٤٥٣م ) بنبأ فتح القسطنطينية ومعهم الهدايا واسيران من عظماء الروم . قال " قلت ولله الحمد والمنة على هذا الفتح العظيم وجاء القاعد المذكور ومعه اسيران من عظماء اسطنبول وطلع بهما الى السلطان ( انيال ) وهما من أهل قسطنطينية وهى الكنيسة العظمى باسطنبول ، فسر السلطان والناس قاطبة

---

( ١ ) الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ١٦٠

بهذا الفتح العظيم سرورا زائدا ودقت البشائر لذلك ، وزيت القاهرة  
بسبب ذلك أياما . ( ١ )

وقد بعث السلطان محمد الفاتح بعدة رسائل الى ملوك وسلاطين  
الدولة الاسلامية ، يرف اليهم البشرى بفتح القسطنطينية معقل المسيحية ،  
وانتصار الاسلام والمسلمين . وقد سجل لنا التاريخ صورة هذه الرسائل  
والرد عليها بمظاهر الفرح والسرور ، مما يدل على ان العالم الاسلامي ،  
كان يعتبر نصر العثمانيين نصرا للاسلام في كافة البلاد الاسلامية .  
وهكذا توج جهاد العثمانيين ضد البيزنطيين بفتح القسطنطينية .

... ..

---

(١) ابن تفرى برقى : النجوم الزاهرة ج ٦ ، ص ٧ ( حوادث سنة  
٨٥٧ هـ ) .

الخاتمة

أهم النتائج التي توصل إليها البحث

رأينا فى الفصول السابقة كيف أن العقيدة الإسلامية واكبت الفتح  
العثمانى ، حيث أخذ سكان البلاد الأوروبية المسيحية يدخلون فى الإسلام  
أفرادا وجماعات . ورغم هذا التسامح الدينى الذى واكب الفتح العثمانى  
الإسلامى ، فقد حاول كثير من المؤرخين أن يجعلوا من تلك الفتوحات  
العثمانية الإسلامية ، توسعا إقليميا عسكريا نتيجة دوافع اقتصادية ، ولكننا  
استطعنا بعون الله سبحانه وتعالى أن نثبت أن فتوحات العثمانيين فى أوروبا  
ضد الدولة البيزنطية لم تكن الا لنشر الدين الإسلامى والجهاد فى سبيل الله  
طمعا فى ثواب الدنيا والآخرة . فقد وضع العثمانيون نصب أعينهم منسذ  
قيام دولتهم ضرورة فتح القسطنطينية عاصمة المسيحية الأرثوذكسية وقاعدة دولة  
الروم ، التى كانت حاجزا كبيرا أمام انتشار الإسلام فى شرق القارة الأوروبية .  
ولذلك فقد وضع العثمانيون خططهم التى قامت على أساس تطويق القسطنطينية  
والالتفاف حولها من جميع النواحي .

وكان أول موطئ قدم للعثمانيين فى أوروبا حسب خطة الالتفاف هى  
مدينة غاليبولى ، القلعة الحصينة ، ومنها الى مدينة أدرنة التى اتخذها  
العثمانيون عاصمة إسلامية ، ليستطيعوا من خلالها توجيه حركة الجهاد الإسلامى  
ضد الدولة البيزنطية ، وقد كانت الدولة العثمانية بعد فتح أدرنة سنة ٧٧٢هـ  
/ سنة ١٣٧٠م ، قادرة تماما على فتح القسطنطينية ، حيث كانت الدولة  
البيزنطية فى حالة ضعف شديدة ، ولكن تبعها لخطة العثمانيين فى عملية  
الالتفاف وحصار القسطنطينية من جميع جوانبها ، فقد أراد السلطان مراد الأول



في ذلك الوقت أن يقضى أولا على أعداء الدولة العثمانية من الصربيين والبُلغار  
أولا وكذلك أمراء آسيا الصغرى الخارجيين ، حتى لا يكون هناك ما يهزقل  
الدولة العثمانية الإسلامية في فتوحاتها العظيمة ، وعلى رأسها الفتح الأكبر  
للقسطنطينية .

وأثبتت الدراسة أيضا كيف وقعت الدولة العثمانية الإسلامية حاجزا منيعا  
أمام التحالفات الصليبية التي كانت تريد القضاء على الإسلام في شخص للدولة  
العثمانية ، وأن تلك الحروب كانت دينية بين الإسلام في شخص الدولة  
العثمانية والمسيحية في شخص الدولة البيزنطية ومن وقف معها من اللقسنوى  
المسيحية الغربية . واستطاع العثمانيون بقوة عقيدتهم وتمسكهم بالجهاد  
في سبيل الله تحقيق انتصاراتهم الرائعة على المسيحية بسقوط للقسطنطينية  
في أيدي المسلمين العثمانيين وتحويلها إلى عاصمة إسلامية كبرى في أوربا ،  
انطلق منها المجاهدون لينشروا الدين الإسلامي الخفيف في باقي البلدان  
الأوروبية .

كما حققنا ما تورط فيه كثير من الباحثين من تعمد المبالغة في عدد  
الجيش العثمانية والتقليل من جيش البيزنطيين ليصلوا من وراء ذلك إلى  
أن النصر الإسلامي العثماني كان بسبب كثرة العدد ، ولم يكن لقوة العقيدة ،  
والتفاني في سبيل نشر الإسلام . ويرى ذلك واضحا عندما استطاع العثمانيون  
— على سبيل المثال لا الحصر — تحقيق انتصار كبير وحاسم على التحالف

الأوروبي ضد الاسلام والمسلمين ، وذلك فى موقعة نيقمبوليس سنة ٧٩٨ هـ /  
١٣٩٦ م ، وفى موقعة فارنا ( وارنة ) سنة ٨٤٨ هـ / سنة ١٤٤٤ م ، وفى  
فتح القسطنطينية سنة ٨٥٢ هـ / سنة ١٤٥٣ م .

وبرهنت الدراسة على أن المسلمين المعاصرين أدركوا بأن نصير  
العثمانيين نصر للاسلام والمسلمين جميعا ، فكانت كل البلاد الاسلامية تنظر  
لهذه الفتوحات العثمانية الاسلامية خاصة ضد الدولة البيزنطية ، على أنها  
الوثبة الثانية فى الاسلام . ويتضح ذلك جليا من خلال تلك المراسلات  
التي كانت تتبادل بين السلاطين والأمراء المسلمين المعاصرين ، وبين  
السلاطين العثمانيين الذين وصلت اليهم الرسائل العثمانية بأنباء وأخبار الفتوحات  
الاسلامية فى أراضى الدولة البيزنطية خاصة، والأراضى الأوروبية المسيحية بصفة  
عامة .

وبعد أن سقطت القسطنطينية فى أيدي العثمانيين المسلمين ، وانتشر  
الاسلام فى كثير من بلدان أوروبا المسيحية ، اتضح للمسلمين أنهم اذا قويست  
عقيدتهم واشتد ايمانهم . فانهم يستطيعون أن يحققوا للاسلام عزته ، وكرامته  
مهما كانت قوة أعدائهم . وقد دل هذا النصر العثماني الاسلامى العظيم  
على تلك الروح الاسلامية العظيمة التي تربي عليها العثمانيون الأتراك  
وتأدبوا بأدابها حيث انعكست على أفعالهم فى البلاد المفتوحة وشعرهم بها  
ولمسها رعايا هذه البلاد على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأديانهم ، مما جعل

الكثير من هؤلاء المسيحيين يتجهون الى الاسلام واعتناقهم اقتناعا بما يلاقونه  
من حب ورحمة وسأواة من جانب المسلمين الفاتحين .

وفي الختام أوجو من المولى القدير أن يكون هذا للمبحث قد حقق  
الغاية المرجوة له ، ولكمال الله سبحانه وتعالى وحده .



# الملاحق

ملحق رقم (١) : رسالة السلطان مراد خان الثاني إلى سلطان مصر الأشرف بأمر سبأى يخبره ويهنئه بفتح قلعة سلانيك على يديه ويعزيده في موت ولده يوسف .

ملحق رقم (٢) : رسالة السلطان محمد الفاتح إلى سلطان مصر الأشرف إينال يخبره فيها بفتح القسطنطينية .

ملحق رقم (٣) : جواب سلطان مصر إلى السلطان محمد الفاتح .

ملحق رقم (٤) : رسالة السلطان محمد الفاتح إلى شريف مكة ( وقد أرسلها إليه عن طريق سلطان مصر ) .

ملحق رقم (٥) : جواب شريف مكة إلى السلطان محمد الفاتح .

الملحق رقم ( ١ )

رسالة السلطان مراد الثانى  
الى سلطان مصر الأشرف برسباى  
يخبره ويهنئه بفتح قلعة سالانيك على يديه  
ويعززه فى موت ولده يوسف (١)

الحمد لله الذى أعلا أعلام الدين باعلاء كلمة الحق المبين ، ورفع لواء  
أهل الايمان بلمعان بارقة سيوفهم على ظلمات الكفرة والمشركين ، وفتح علينا  
أبواب النصر والظفر بكسر أحزاب الشياطين ، وتخریب بلاد الكفار والملاعین ،  
نصر من الله وفتح قريب ومشر المؤمنين . وسرور هذه البشرى أزال الأحزان  
عن قلوب عباده المخلصين ، بعد أن يملوهم بنقص من الأولاد بقوله تعالى  
" ومشر الصابرين " الآية ، والصلوة على خاتم المرسلين محمد المصطفى  
الأمين وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوا شرايع الدين . . . وأن يبدل أحزان  
هذه المصيبة بمسررات خير ظفر المسلمين وقلبة المجاهدين على أعداء  
الدين وأحزاب الشياطين لعنة الله عليهم أجمعين ، ولا سيما بفتح سالانيك  
التي هي أحصن القلاع الافرنجية وأصعب الديار الحربية ، هي والقسطنطينية

-----  
(١) فريدون بك : مجموعة منشآت السلاطين ، المجلد الأول ، ص ١٩٨-٢٠٠

توأمَانِ في كونهما منبجى الكفر والضلالة في أيدى الكفرة الفجرة ، ومظهِرُ  
العدوان والفجوة في تصرف مشركى الخسقة بل هي أشد من القسطنطينية  
في اضرار أهل الاسلام بالفتنة والفساد فعزمتها وحاصرناها بخلوص الطوية  
والاعتقاد ، فشاهدناها مشيدة البرج والبنيان ، مرصعة الجدران والأركان ،  
وقللمها بأوج السماء محاذية ، ومرفقاتنا من رؤس أهاليها دانية ، فدعونا  
أهلها الى الاسلام أو الجزية فأبوا عنها ولم ينفعهم تكرار الدعوة ، فخذلنا  
عقائدنا لمجرد اعلاء كلمة الله العليا بقطع النظر عن أقراض الأموال وزخارف  
الدنيا . ففي غدوة اليوم الخامس من شهر رجب سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة  
بالتكبير والتهليل شرعنا بالحرب ، فلما نصبت الرايات الاسلامية المنصورة  
المنسوبة الى آيات الفتح والظفر على الكفار وجاء نداء " نصر من الله وفتح  
قريب " من اليمين الى اليسار وآية " جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل  
كان زهوقا " من الفوق ففتحت بالصولة الأولى قبيل الضحوة الكبرى من ذلك  
اليوم فذلك الآية من آيات القرآن العظيم ومكة أفيضت علينا من معجزات  
النبي الكريم حيث قال عليه التحية والتسليم لا يزال طائفة من أمتي على الحق  
ظاهرين الى يوم القيامة صدق رسول الله . وفاء المجاهدين بالمغانم الجمّة ،  
وكسروا أوثانهم وصلبانهم ، وخرّبوا دورهم وقصورهم ، وأسروا اناثهم وذكورهم ،  
وجعلوا كتابهم الجمع والمساجد وأظهرنا فيها شعائر الاسلام فقرأنا " الحمد  
لله رب العالمين " . ثم لما كان في المملكة الاردنية تكفور مسمى بايوان  
المتملك بالمملكة الكثيرة من القلاع والبلدان فانه ما هو خال من وراء وغدر  
وعدوان ، ولم يزل يشتكى الينا من خراب بلاده وضعف رعيته ويقسم انه في غاية

المجز عن جمع مال القطيعة ويبالغ في سؤاله من امهال ماله قليلا . وكما  
أولا نطن الصدق في مقاله الى أن كشفنا أخباره ، وتحققنا كذبه وفساد نيته  
وتسويفه وجمعه مال القطيعة وصرفه اياه فيما أراد ، وقد بحث عزنا بالعساكر  
المنصورة الى جهة تخريب بلاده وقع آثاره وهدم حريمه ودك قلاعه على  
رأسه . . . . . ففتحت غنوة بعون الله تعالى على وجه السداد ، وكان ايوان  
اللعين متحصنا بشواهد الجبال في أقصى ملكته فتبين بعدم نفع الفرار  
فجاء مطيعا ومنقادا ، فقطع دابر الكفار فجهزنا مجلس الأمير المكرم خلاصة  
صناديد العالم مالك ممالك المعالي والمكارم . . . . . بدر الدين محمود بك  
أدام الله معاليه ولا يزال فضل الله حاميه لينوب عن المحب المخلص بإقامة  
سنن التحزية وسنن مراسم التسلية وليعلا مسامح سلطان الاسلام والمسلمين  
عز نصره مسرة وابتهاجاتنا على ظهور المؤمنين ، وخلاص المظلومين من أيدي  
الظالمين ، الذين يخربون البلاد ، ويعذبون العباد والحمد لله رب العالمين  
على حصول تلك النعمة العظيمة . . . . . وقد جهزنا بصحبته من الهدية ما تضمنته  
الورقة المحظوظة على ذيل هذا المسطور ليكون رسم المراسلة غير مهجور . . .

الملحق رقم ( ٢ )

رسالة السلطان محمد الفاتح  
الى سلطان مصر الأشرف اينال  
يخبره فيها بفتح القسطنطينية (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم متينها بذكره القديم ( اللهم مالك الملك تؤتي  
الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك  
الخير انك على كل شيء قدير ) يحمد الله ويشنئ عليه عهده المستبشر  
بالمبشرات المتواردة ، اللاتي ينبئن عن استقرار القدم المقدم المقدام على  
سير السلطنة السامية الباهرة بالدولة الحالية القاهرة الا وهو السلطان الوالى  
الحالى الحالى الحاملى المؤيدى المظفرى الظهيرى النصيرى العونى الفوشى  
الفيائى الامامى الهامى النظامى الذى أشرقت من أفق التوفيق شمس  
سلطنته ، وخفقت راية الاقبال من هبوب نسيم خلافته ، ويتطأ لها أعناق  
الجبابة نحو سدة السنية ، ويتكأ أفيال الأكاسرة على عتته العلية ،  
وم أضحى عقود الامامة منتظمة ، وأمور السلطنة ملتزمة ، ويتفاخر بوصفه  
المآثر ويختال بذكره المفخر ، أعنى الملكى الألفى السلطانى الأشرفى

(١) فريدون بك ، مجموعة منشآت السلاطين ، م " ١ " ، ص ٢٣٥-٢٣٨ .



الأبوى الأعطف ضاعف الله تعالى ملكه وسلطانه ، وأفاض على العالمين بصره  
واحسانه ، ولا يرح في دولة لا تنهدم دارها ، ونعمة لا تنقص آثارها ،  
وسعادة لا تصفر أوراقها ، وسيادة لا تتغير آفاقها ، وما انفك بنود الدين  
بباهر صولته مرفوعة ، واسنة الحوادث في محور أعدائه مكسورة ، وجماجيم  
حصاده على رؤوس الاسنة منصوبة تحت الأقدام . ونقول لما تتابعت عندنا  
الأخبار التي تشتمل على صعود شمس السلطنة على أوج سرير الخلافة أدامه  
الله وأعلاه وبارك فيه ، وأبقاه ببركة نبيه المجتبى ورسوله المصطفى عليه  
وعلى آله من صلة الصلوات أركانها ، ملئنا بهجة وسرورا وغبطة وجبورا ،  
وأشدنا بلسان صدق بشعر :

هنيئا لمصر أنت صوت عزيزة	بلغ الأمانى وابتناء المحامد
وتحتدل الأيام فيها ويقتنى	صفوف البرايا منه طرف الفوائد
فمذ ظهرت فيه علايم بأسكم	قد التظمت منها رسوم المفاصد

هذا أو ان الولاء والمواصلة بين من تكفل بمؤنة احياء نسل الحج للعباد  
والعباد وبين من تحمل بمشاق تجهيز أهل الفزرو والجهاد كما هو المتوارث من  
الآباء والأجداد ، أنعمهم الله بنعمه الموعودة في الميعاد ، فالقلب مصمم  
على تأييد تلك القديمة بسلوك طرائق تنسى لطائف آخرها بطيب نعيمها  
لذايذ أوليها ، فبهذا الجهل المتين نحن ما سكون ، وعلى هذا الصراط  
المستقيم المستبين سالكون ، فشددنا وثاق صدق ذلك المقر العالي أعلاه الله

وأسماء ، وفتحنا أبواب المراسلة ، وقدمنا أسباب المواصلات ، وأهدينا طرايف التسليمات السليمة عن شوايب الرياء والرعونات ، واتحفنا لطايف التحيات المنورات بنور الاخلاص المجلاة بالولاء ، والاختصاص المزهوات بصدق الطوية رياضها المترعات من زلال المحبة حياضها ، ورفعنا الأدعية الصالحة المستجابة ، والاثنية الفايحة المستطابة ، والأشواق البالغة ذروة الكمال ، والأتواق المتوالية بالخير والآصال ، وانهمينا الى العلم الكريم محفوظا بما يسره الله تعالى من المطالب البهية ، والمآرب السنية ان من أحسن سُنن أسلافنا رحمهم الله انهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ونعني على تلك السنة قائلون ، وعلى تيك الأمانة دائمون وممثلين بقوله تعالى " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله " و متمسكين بقوله عليه السلام " من أغشيت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار " فهمنا في هذه العام عمه الله بالبركة والانعام محتصين بحبل الله ذي الجلال والاکرام ، و متمسكين بفضل الملك العالم ، الى أداء فرض الفزاة في الاسلام مؤتمرين بأمره تعالى " قاتلوا الذين يلوونكم من الكفار " و جهزنا عساكر الفزاة والمجاهدين من البر والبحر لفتح مدينة ملئت فجورا وكفرا ، التي بقيت وسط الممالك الاسلامية تباهى بكفرها فخرا ، شمر :

فكأنها حصف على الخد الأفسر      وكأنها كلف على وجه القمر

وهي محصنة صعبة المرام ، شامخة الأركان ، راسخة البنيان ، ملوثة من المشركين الشجعان ، خذلهم الله اينما كانوا ، وهم مستكبرون على أهل

الايمان ، متناصرون بالجزاير الغربية مثل روهى وقطلان ووندك وجنويــــــــــــز  
فغيرهم من أهل الشرك والطفيان ، وحصن حصن مسدد مسدد مشيد منسق  
النظام ، ما ظفربه أسلافنا المظام هؤلاء السلاطين الفخام مع انهم جاهدوا  
حق الجهاد ولم ينالوا بها تيلا ، وهى قلعة عظيمة مشتهرة فى السنة  
أهل الأرض باسم القسطنطينية ، ولا يعد من أن تكون هى التى نطق بها  
صاح الأحاديث النبوية والأخبار المصطفوية عليه وعلى آله أتم الصلاة والتحية  
" فيفتحون قسطنطينية فبينما هم يقتسمون الخنايم قد علقوا سيوفهم بالزيتون "   
الحديث وغير هذا من الصحاح المشهور هى هذه المدينة الواقع جانب منها فى  
البحر وجانب منها فى البر فأعدنا لها كما أمرنا الله بقوله " وأعدوا لهم  
ما استطعتم من قوة " كل أهبة يعتمد بها وجميع أسلحة يعتمد عليها من البرق  
والرعد والمنجنيق والنقب والجحر وغيرها من جانب البر والفلك المشحون ،  
والجوار المنشآت فى البحر كالأعلام ، من جانب البحر ونزلنا عليها فى السادس  
والعشرين من ربيع الأول من شهر سنة سبع وخمسين وثمانماية . شعر :

فقلت للنفس جدى الآن فاجتهدى      وساعدنى فهذا ما تمنيت

فكلما دعوا الى الحق أصروا واستكبروا ، وكانوا من الكافرين فأحطنا  
بها محاصرة وحاربناهم وحاربونا ، وقتلناهم وقتلونا ، وجرى بيننا وبينهم  
القتال أربعة وخمسين يوما وليلة . شعر :

إذا جاء نصر الله والفتح هيين      على المرء معسور الأمور وصعبها



وبدا انهم نقضوا ميثاقهم وأظهروا نفاقهم ، فأردنا أن نفعل بهم ما فعلنا  
بالأخرى فبينما هم جاؤا مهتلين ومتضرعين وقالوا ان لم ترحمنا لنكونن ممن  
الخاسرين ، فعفونا عنهم انه هو العفو الغفار ، ومننا عليهم الحنة لله العزيز  
الواحد القهار ، وقررنا على ملكهم الملك لله العزيز الجبار ، ولكن جعلنا  
حصنهم صعيدا جززا بحيث لا ترى فيها عوجا ولا أمنا ، وملكنا أرضهم وماءهم  
وكتبنا في جريدة الجزى أسماءهم حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون  
” الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله ” . شعر :

سعد الزمان وساعد الأقبال      ودنا المنى وأجابت الآمال

فلما جمع الله تعالى بفضله فى قلب عبده زين السرورين العظيمين  
أحدهما حفظ نظام سرير السلطنة ، وحماية البلاد والآخر قررة لعين الشرع  
بأجاء فرض الجهاد وجه تلقاء الأرض المقدسة التى ببارك الله فيها بأجاء  
أحكام السلطنة حامل وقر الثناء وناقل ورق الدعاء فخر الأماجد ذخر المحامد  
أمير جلال الدين القابونى رزقت عودته بالسلامة بهدية يسيرة من الاساوى  
والفلمان والأقمشة ، وغيرها حسبما ذكر مفصلا فى كتاب غير هذا وان كانت  
نسبتها الى ما وجب علينا كنسبة للقطر الى البحر ، فالأماول الاعضاء بحسن  
القبول ، فاذا يسر الله التشريف بتقبيل بساط الخلافة زاد الله بسطه  
بالعدل والنصر يتأمل ويتمنى أن ينعم بالمشرفات السارة المحتوية بسلامة  
النفس النفيس الطيبة ، وصحة الذات المطهرة أبقاها الله فى دولته دينية  
ودنيوية ، وسوانح الأخبار من مهمات السلطنة كما نتشرف بالانتاء الى ذلك

المقر الشريف وتتلطف بالاعتزاء لذلك المجلس اللطيف ونحن نترقب طيبات  
أدعية تلك المساكن الطيبة والله مجيئها ببركة نبيه المجتبى عليه من  
التحيات أزكاها الحمد لله على نواله والصلوة على محمد وآله والله أعلم  
بالصواب واليه المرجع والمآب .

الملحق رقم (٣)

جواب سلطان مصر الى السلطان محمد الفاتح (١)

أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم العالي الكبيرى العالى العادلى  
المجاهدى المرباطى الخياشى المهدى المشيدى الزعيمى الظهيرى الناصرى  
محز الاسلام والمسلمين ، ناصر الفزاة ذخر المجاهدين ، ملجأ الفقراء  
والمساكين ، زعيم جيوش الموحدين ، مهيد الدول ، مشيد الممالك ، حامى  
الثغور الاسلامية ، فياى الملة المحمدية ، ملك الملوك والسلاطين ، عضد  
أمير المؤمنين وهنأ بهذا الفتح الذى جاء الاطناب فى بلاغته وجيزا وابتهل كل  
موحد به وأعلن بسمرة الفتح وتلا " وينصرك الله نصرا عزيزا " . لازالت  
وجوه النصر ترى فى مرآة صفاحه وثمرات النصر تجتنى من أنفصان رماحه ، وفروشه  
الجهاد بسيفه المسنونة فى كل وقت تقام ولاده الاسلامية محروسة بالجناب  
المحمدى عليه السلام ، وهزات عوامله بصدور الكفار موصولة ، والسن سيفه  
بثغور بلادهم من رشف ارحاق دمائهم ملولة ، وهم أبطاله منتظمة فى نصرة  
دين الله كالمقد النظيم " وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم " ولا يرحمت  
عزيمته تحلى من أعداء الاسلام المقاعد ، وتحل منهم المعاهد وتحلو عليهم

(١) فريدون بك ، مجموعة منشآت السلطين ، م " ١ " ، ص ٢٤٠ - ٢٤٣ .

مواقف الحرب مستمرة المواقف ، وتطلع في سماء النقع من سيوفه نجوما ، وقادة  
وتشهد على الكفار في مضر الخزوما يحجز وكيف وذاك المواطن محل الشهادة  
فهو بحمد الله ما سلك خلف الكفار برا الا قالوا " لقد لقينا من سفرنا هذا  
نصبا " ولا خاض عباب بحر " الا اتخذ سبيله في البحر عجبا " .

أصدرنا هذه المفاضلة الى المقر الكريم معرفة عما نحن منظرون عليه من  
التهاني بهذا الفتح الذي وضع على جبين الصباح بشره ، ورجح على ميزان  
الكواكب قدره ، ونخصه بسلام يتأرجح عرفا ، ويتلج وصفا ويكاد يمازج النسيم  
لطفا . وثناء ، جلل ملابس الاكرام وأضفى وأعذب موارد الوداد ، وأصفى  
قد اتخذ نفحات المسك طليحة ، وأجمل لرداء الملك تفويفه وتوشيحاه ،  
وانتشر به بناء الحب الذي استودعه من الصدور الرسائل بحفظ الله هذه  
الوديعة . ونهذى لعلمه الكريم ورود كتابه الكريم وخطابه الذي أزرى بالدر  
النظيم على يد المجلس السامي الأيمرى الكبيرى الأوحدى الأكملى المؤتمنى  
المقرين الجمالى يوسف القابونى الناصرى أحسن الله وفادته ويسر الى المقر  
الكريم اعادته ، فأكرمناه حين قابلناه ورفعنا محله لما تناولناه ، واستشققنا  
المسك لما فضضناه ، وابتهجنا ابتهاج الظمان بوروده ونظرنا منه الى أحسن  
من برود الريح اذا حل الندى ازرار وروده ، فشمنا فحائل النصر من سطوره ،  
ونزهنا النواظر فى رياض منظومه ونشوره ، وتلمحنا من خطه وخطابه ما هو  
أزهى من زهر الخمايل عند مر النسيم ، ووجدناه مشتملا على أنواع البراعة  
محاشي الرقيم ، محتويا على بديع الألفاظ التى سحبت ذيل البلاغة على



سحبان في الزمن القديم ، متضمنا بما من الله به ويسره على المقر الكريم من هذه  
النصرة على أهل الكفر والحناد ، ولفه من انغام أعداء الله ورسوله بسنى  
الأصفر أقصى المراد ، وانتهينا الى ما أشار اليه من سيره على القسطنطينية  
المظلي بحساكره الاسلامية وجنوده المحمدية ، وانهم أحد قوايها فكانوا لها  
أصفادا ، وزلزلوا أرضها بجياد خيل وقتت صابرة فكانت أوتادا ، وانهم  
أرسل التيهاني في البحر جوارى كالأعلام ، ومدنا في اللج سوائركأنها مخلقة  
بالايام ، ورمها بفرسان من البر وأقدم على منازلها بمن أطاع الله ويسره ،  
وخطبها بركا فتمنعت وأطالت في التحنى فترفت ، فلما تحققت عظم أمرها  
في النفوس ورأت كثرة ما ألقى اليها من نثار الرؤس ، ضجت الى الأحضان  
بعد النشور ، وعلمت أن الامتناع من قبول الاحسان لا يجوز فلمكنت زمامها من  
يد خاطبها وامتنعت على رخم أنف مراقبها وأنشد لسان الحال ، شعر :

خطبتها بركا وما أمهرتها	الا قنا وقواضيا وفوار
من كانت السم العوالي ميسره	جلبت له بيض الحصون عرايسا
الله أكبر ما جنيت ثمارها	الا وكان أبوك قبلك غارسا

هذه كلمها بحزائم لم يشمها في الحرب نكول ولا تقصير ، فكان بحمد الله  
جميعه جمع سلامة ، وجمع الاعداء جمع تكسير ، فأخذهم أخذ القرى وهى  
ظالمة ، وأعلمهم أن السيوف الاسلامية لم تترك لهم بقوة الله يدا في الحروب  
مبسوطة ولا وجلا في المواقف قائمة ، فزلزل بيمون الله أقدامهم ونكس أعلامهم ،  
وقايل العدو بصدرة وقايل حتى أفنى جديد بيضه ويسره ، وهبت نسيمات النصر

على جيوشه فقيل يا خيل الله اركبي وبأيد النصر اكتبى ، وقامت الحرب على سلق وأضحى كل من الاعداء الى حتفه يساق ، وهجرت سيوفهم الاغصان ، وأقسمت انهم لا تقرأ الا فى الرؤس ، والاسنة أسرع وآلت انهم لا تروى ظمأها الا من دماء النفوس ، والسهم ، قد التزمت انهم لا تلج كما ينهم الا من النحر ولا تحصى عن حنايا القسى بخبايا الاضلع الا لترفعها لا تحل الا فى الصدور والدرع ، قد لزمت الأبطال قائمة لا تفارق الأبدان حتى تتلى سورة الفتح المبين ، والجياد حومت وطء الأرض وقالت لفرسانها لا نطأ الا جثث القتلى ورؤس الملحمين ، فعند ذلك أثبت سيفه الناصر الحق لأنه القاضى فى ذلك المجال ، ونفذت سهامه لأجل تصميمه فلم تمهل حتى أخذت دين الآجال وهو حال . شعر :

الله أكبر هذا النصر والظفر هذا هو الفتح لا ما يزعم البشر

فظهر الله منهم تلك الديار وسلموا عندما ايقنوا بالدمار ، وصارت بحمد الله نجوم الضلال آفلة ومواطن الكفر بالاسلام أهلة ، وعن الأذان يحرب حيث كان الناقوس يضرب ، وأصوات حماة الاسلامية بالتكبير والتوحيد بها عالمة فقد فهمنا ذلك وحمدنا الله تعالى :

وقابلنا هذه البشارة بتكرار الشكر لله الذى جعل جيوش الاسلام حيث سلكت ملكة ، وأين حجت من بلاد أسرت وفتحت ، لله العمد الذى أيدكم بنصره وجعل مهابة جيوشكم فى قلوب الكفرة تقوم مقام هزيمة العدو وحصره ،

وظفركم على حزب المشركين الذين زعج هيتكم دانيهم وقاصيهم ، وأنزل  
الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وسدد سهم رأيكم الذي دل على  
هلاك العدى سرعة نفاذه ، ووعدكم مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه  
وحكمكم في بلاد العدى لتشرروا بها المهابة وتطوها ، وأورثكم أرضهم  
وديارهم وأرضاً لم تطوها ، ولقد أيدتم هذا الدين المحمدى الذى وضع  
به طريق النجاة ، واستنار وفزتم بقوله عليه الصلوة والسلام " ما أفبرت قدما  
عبد فى سبيل الله فتسه النار " وقوله صلى الله عليه وسلم " ان الجنة مائة  
درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء  
والأرض " رواه البخارى ومسلم رضى الله عنهما ، فله الحمد على ما أنعم  
به عليكم من الفسزوات التى سطرت أجورها فى صحايفكم وصحايف أسلافكم  
الكرام ، وصار خبرها غرة فى جبهة الدهر وحسنة فى صحيفة الأيام ولقد أنشد  
شاعر حضرتنا :

كذا قليكن فى الله جل الحزائم	والا فلا تجفوا الجفون الصوارم
كتائبك البحر الخضم جيادها	إذا ما تهادت موجه الجتلاطم
تحيط بمنصور اللواء مظفر	له النصر والتأييد عبد وخادم
فيا ناصر الاسلام يامن بنزوه	على التفر أيام الزمان مواسم
تهن بفتح سار فى الأرض ذكره	سرى الخيث يحدوه الصبا وانعام

فعند ذلك أمرنا باعلان البشائر واطهار الزينة والسرور بحمالتنا الشريفة  
لما من الله به من هذه النصرة وأمددناكم بصالح الدعاء مع تضاعف المسرة ،

وأضحى المسلمون مستبشرين بهذه النعمة التي تسير كل واحد منها بأمرى لبس ، وتلا كل منهم ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ، وجهزنا أميركم فخر الحجاج والزوار زين الدين حاجي محمد الزيتوني زاد الله تقواه ويسر مناه مع الافلوريات المسكوكة بالسكة الجيدة الجديدة السلطانية المنهضة الى شريف مكة المكرمة وفقراء الحرمين الشريفين مع القافلة المصرية فالمرجو من الله عز وجل أن يصل الى المقصود بالخير سيمود ان شاء الله تعالى .

وأما ما أشار اليه الكريم من سروره وابتهاجه بجلوسنا على سرير ملكنا الشريف ، واذعان جميع الرعايا لطاعتنا وأمرنا المنيف من المشرف والشريف ، وانه أخذ بالحظ الوافر من هذه البشرى التي خصت الاسلام وعمت أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، وانه أمدنا بدعائه ان الله يشد أزر سلطاننا ويشيده ويجعل ألوية ملكنا الشريف مسيلة على مقامنا ، ويخلده وما أشار اليه من أنه عاقبة هذه الفزوة الشريفة عن المكاثبة والابتداء بالمخاطبة لتحقيق بخواطرننا الشريفة تأكيد أسباب الوداد وتصحيح علل الاتحاد ، فقد فهمنا ذلك ونتحقق ان المحبة لنا من هذا البيت الكريم مستديمة ، والمودة بيننا وبينه كالاسلاف الكرام مستقيمة ، وقد تواردت الخواطر منا ومنكم على عقود المحبة بجميل الاعتقاد ، وتأكد المودة بحزير الخلو والوداد . وأما الهدية التي شرفنا بارسالها فقد وصلت والاقبال قوبلت ، وشكرنا صدق محبة مهديها ، وأثنينا على جميل موالاته التي لم تزل في ملأ ملكنا نهديتها . وقد أعدنا المجلس الساقى الجمالى قاصدكم المشار اليه بحد أن عومل بمزيد الاكرام

ووافر الاحسان وقرر الاحترام ، وأرسلنا معه أحد أمرائنا وأعز أخصائنا المجلس  
الساعي الاميرى الكبيرى الذخرى المؤتمنى الأخصى الأكملى المقربى الأوحدى  
السيفى برونديق الأشرفى أدام الله سعاده وكتب سلامته بما على يده من  
كتابنا الشريف وخطابنا المنيف والهدايا والتحف التى تؤكد أسباب الوداد ،  
وجميل المصافاة والاتحاد ، وحملناه من السلام للمقر الكريم . ما يتسم ثمر  
الدهر عند أدائه ، ويسفر وجه البشر عند ابدائه ، وسيحيط علمكم الوسيح  
بما تحملناه من ذلك ، فنتحف بتجهيز رسله وأخباره السارة من هناك والله  
تعالى يمدد بأعوانه وأنصاره ، ويخلد نعمه عليه بدوام ليله ونهاره ، بمنه  
وكرمه . كتب فى أواخر شهر ردى القعدة الحرام سنة سبع وخمسين وثمانمائة  
من الهجرة النبوية على واضعها السلام .

الملحق رقم ( ٤ )

رسالة السلطان محمد الفاتح الى شريف مكة  
(١)  
( وقد أرسلها اليه عن طريق سلطان مصر )

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ادام الله علو المقر الكريم  
السيدى السندى الشرفى الأشرفى الأكرمى الأعلى الأورعى الامامى الهامى  
الأوحدى الأمجدى الحامى الحاملى الأعظمى الاولوى الأعلى العلى  
المشيدى المؤيدى النصيرى الظهيرى الظاهرى الطاهرى ، محلى قواعده  
الموسم والخرمين ، حافى مشاهد البقاع الشريفة والمروتين ، مؤسس مواسم  
الحظمة والجلال ، مؤكد محاهد المقاصد والآمال ، مطلع لوايح الحسنى  
والتمكين ، مظهر مآثر الملك والدين ، فلذة أكباد الرسول زبدة أحفاد  
البتول أمير المسلمين وولى المؤمنين خلاصة أولاد شفيح المذنبين وهو السيد  
الشريف والقرم المنيف ، سلطان بيت الله تعالى ، شرفه الله وحواليه  
علاء الدولة والملة والدين السيد الأحسنى المجلانى الحسنى زاد الله  
تعالى سعادته ، وأدام سيادته ولا خلا فى دولة لا ينهدم دارها ونعمة  
لا ينقص آثارها ، ولا زالت أسباب مودته ومحبه مؤكدة ، وعقود موالاته

(١) فريدون بك ، منشآت السلاطين ، م " ١ " ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

وهيمته منتظمة منضده مدى الدهور والأعوام ، بحرمة سيد الأولين والآخرين  
وآله وصحبه أجمعين الطيبين الطاهرين عليه أفضل الصلاة والسلام .

ومحمد فقد أرسلنا هذا الكتاب مهشرا بما رزق الله لنا في هذه السنة  
من الفتح التي لا عين رأت ولا أذن سمعت ، وهي تسخير البلدة المشهورة  
بقسطنطينية الملاصقة بمرج البحرين وفي مقابلتها مدينة أخرى موسومة بخلطة ،  
وفي جانبها الشرقى بلدة أخرى محكمة باسكدار . أما الأولى فكانها شعبان  
له سبع رؤوس من قللها المشتهرة وتلك القلل سبع رؤوس شامخات حصينة  
رفيعة ، مهياة بأمر الله عز وجل لمقرا للخلافة الاسلامية ومرزوقه لنا بتقدير  
الحكم السبحانية ولاشك أنها سلطان البلاد ، والأخريان من جنبيها بيننا  
وشمالا كخادمين في طرفي السلطان . فلما توجهنا وعزمنا عليها ، هجم علينا  
القفار المملوءة فيها خارجا وداخلا ، وحاربوا معنا ، فقام المحاربة بيننا  
وبينهم قريب شهرين بعد ابائهم عن اعطاء الجزية الشرعية ، ثم عجزوا عن  
المقاتلة ، وهربوا من الجدال فازدحم أهل الاسلام ، وجاهد كل من  
المجاهدين عن البر والبحر حق الجهاد ، ففربوا من السور وصعد جم كثير من  
الكماة الموحدين فوق منافذ جدرانها المندرسة من المنجنيق والحصارادة ،  
فدخلوا في نفس هذه البلدة المباركة المنورة بقدم الموحدين بالتكبير  
والتهليل ، يوم الثلاثاء والعشرين من شهر جمادى الأولى ، فقطع في مبدأ  
الأول رأس رئيسي هذه الملاعين ، أغنى التكفور اللعين ولحق بجنبهم مع  
سائر المقتولين ، وأسروا ذراريهم وصبيانهم وجعلوا معابدهم القسيسية

مساجد الأمة المحمدية وجمع الملة الأحمدية ، وطهر تلك المواضع عن الأرجاس  
الرهبانية والانجاس النصرانية " فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله  
رب العالمين " . وأما بقية السيوف فحففونا عنهم وقطعنا عليهم الجزية  
السنية سحيا لبيت المال . فلما تشرف منابر الخطب بشرف القابنا الباهرة  
وتزين وجوه الدراهم والدنانير المسكوكة بزينة أسمائنا الجليلة الطاهرة ،  
جهزنا الى خدمتكم الشريفة فخر المقربين وزين حجاج الحرمين خواججه  
حاجي محمد الزيتوني حفظه الله في الذهاب والاياب ، ورزقه الوصول  
والمعاودة بالخير والصواب ، لتبلغ الرسالة وترسيل البشارة فالأمر  
من مقر عزكم الشريفة أن ييشق بقدم هذه المسرة العظمى والموهبة الكبرى  
مع سكان الحرمين الشريفين والعلماء والسادات والمهتدين والزهاد والعباد  
والصالحين والمشايخ والأعاجاد الواصلين ، والأئمة الأخيار المتقين والصفار  
والكبار أجمعين المتمسكين بأذيال سرادقات بيت الله الحرام التي كالحروة  
الوثقى لا انفصام ، والمشرفين بزعم والمقام ، والمحتفين في قرب جوار  
رسول الله عليه التحية والسلام ، داعين لدوام دولتنا في العرفات ، متضرعين  
من الله نصرتنا أفاض الله علينا بركاتهم ، ورفع درجاتهم بالنبي النبي وآله  
وذويه . وحثنا مع المشار اليه هديه اليكم خاصة ألفى أفلورى من  
الذهب الخالص التام الوزن والخيال ، المأخوذ من تلك الخنية وسبعة  
آلاف أفلورى آخر للفقراء منها ألفان للسادات والنقباء والألف للخدم  
المخصوصة بالحرمين والباقي للمتسكين المحتاجين في مكة المعظمة  
والمدينة المكرمة زادهما الله شرفا ، فالمرجو منكم التقسيم بينهم بمقتضى



احتياجهـم وفقرهـم واشعار كيفية السير اليـنا ، وتحصيل الدعاء منهم لنا  
دائما بالـلطف والاحسان ان شاء الله تعالى ، والله يحفظكم ويقيكم  
بالسعادة الأبدية والسيادة السرمدية الى يوم الدين آمين يارب العالمين  
وصلى الله على خاتم الأنبياء والمرسلين وآله وصحبه أجمعين .

... ..

الملحق رقم ( ٥ )

جواب شريف مكة الى السلطان محمد الفاتح (١)

يقبل الأرض في حضرة السلطان المخدومي السطفي المنصوري المجاهدي  
المرابطي الأعظم المؤيدي المشيدي العنوي الخوشي النصيري للناصر  
محين الاسلام والمسلمين ، سلطان الطوك والسلاطين ، نور عيون المجاهدين  
نور حدايق لطف الله في الارضين ، قهرمان الماء والطين ، محيي الشريعة  
المحمدية ، منجي الملة الاحمدية ، الفايق على أسلافه في الفـــز  
والجهاد ، الباهي بين أقرانه بالفتح وتسخير البلاد الذي يفتخر  
بعهده الشريف السوابق واللواحق من آل عثمان المشرف بتشريف " ان الله  
يأمر بالعدل والاحسان . لازالت أوليائه منصوره ، وأعداؤه مقهورة ،  
وحصون الخصاء بصلابته مفتوحة ، ونواحي بلدانهم وديارهم بمهابته  
مضبوطة ، وما برحت نواحي أجاء دولته في غداة غزواته مهيضة ، وشفاهم  
ضاحكة مستبشرة ، ووجوه المشركين عليها غيرة ترهقها فترة أولئك هم الكفرة  
الفجرة ، وحساكره المنصورة مؤيدة من عند الله العزيز المجيب ، وأعمال  
نصوه منتشرة بكتاتيب ( نصر من الله وفتح قريب ) ما قرت الخبراء قرارها ،

(١) فريدون بك ، منشآت السلاطين ، م " ١ " ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ .

ودارت الخضراء أدارها بالنبي النبیه وآله وذو به .

ومعد یدی لعلہ الحالی أعلاه الله وأدامه بالدولة الأبدية والسعادة  
السرمدية أن مشرفتکم الشریفة ومشرتکم النیفة وردت الى مخلصه الداعی  
بالإخلاص ومحبة المباهی بالاختصاص علی ید فخر الزوار وزین الحجاج شواجه  
حاجی محمد الزيتونی زاد الله تقواه ، وجعل أخراه خیرا من أولاه . فی  
أحسن الأوقات وأطیب الساعات ، فاستقبلناه بالتعظیم وقبلناه بالاجلال  
والتکریم ، وفتحناها بکمال الادب وقراءناها مقابل الکعبة المعظمة بـبین  
أهل الحجاز وأبناء العرب ، فرأینا فیها من القرآن ما هو شفاء ورحمة  
للمؤمنین ، وشاهدنا من فحواهیها ظهور معجزة رسول الله خاتم النبیین  
وما هی الا فتح القسطنطينية العظمی وتوابعها التي متانة حصنها مشهورة  
بین الأنام وحصانة سورها معروفة عند الخواص والعوام ، وحمدنا الله  
تعالی بتیسیر ذلك الأمر الحسیر وتحصیل ذلك المهم الخطیر حمدا یوافی  
نعمه وشکرا یکافی کرمه علی أن أدائها فريضة مشکلة واحصاءها خارج عن  
الطاقة البشرية ، مقربین بالغذر راجین الاعانة منه فی طاعته انه علی ذلك  
قدير حسب ما ورد فی الأخبار من الأخبار ان اعتراف العبد بقصور خدمته  
لمولاه عند الخفلة سهوا أو من عدم الاقتدار سمیا معدود من أحسن  
العبادات والقبول موقوف علی رضائه حال التضرع فی الخلوات اللهم یارب  
الکعبة والحرفات ویانور الأرض والسموات أنصر من نصر الدین واحفظ من  
حفظ المسلمین ، واكتب السلامة علی كافة الخزاة وهامة المجاهديین

والحجاج والمسافرين في برك وحرك يارب العالمين • وفرحنا بها نهاية  
الميسرة ومششنا بذلك غاية البشاشة • وابتهجنا من احياء مراسم آبائكم  
العظام • والسلوك بمسلك أجدادكم الكرام روح الله أرواحهم وجمع  
أعلى غرف الجنان مكانهم في اظهار المحبة لسكان الأراضى المقدسة من  
الفرق الإسلامية • عملا بمدلول والحب يتوارث واهدائكم لنا ولسائر السادات  
والفقراء والصلحاء والعلماء المسرورين بما قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم " خيار أمتي قوم يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ويكون سرا  
خوف عذاب ربهم بالخداة والعشى في البيوت الطيبة • يدعون بالسننهم  
رغباً ورهباً ويسألون بأيديهم خفوا ورفعا مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى  
أنفسهم كثيرة " • الحديث • تسعة آلاف افلوريات الجديدة بالسكينة  
المحمدية من انفال تلك البلدة العظيمة المعينة تقسيمها في مراسلتكم  
اللطيفة • فعملنا بحسب الاشارة الشريفة فقبض كل واحد من المستحقين  
كل القبض • وقال الناظرون عليها النرجس الأصفر خير من الأبيض •  
وامتلاأت أكف الفقراء من الذهب الأصفر فصاروا كطالبى الأكسير الواصلين  
الى الكبريت الأحمر داعين لكم بخلوص الجنان راجين قبوله من الله الملك  
المنان كما قال عليه السلام " دعاء المحسن اليه للمحسن لا يرد " • حامدين  
الله على أنعمه فى الأيام وساعاتها عملا بما قال عليه السلام " الحمد على  
النعمة أمان من زوالها والمسؤل من فضل الله الكامل أن ينالكم خير الدارين  
الحاجل والآجل كما نقل عن النبى صلى الله عليه وسلم " جنة عدن فى السماء  
العليا لا يدخلها الا نبى أو صديق أو امام عادل " الى آخر الحديث •  
والملمس من جنابكم السامى أن يحيط علمكم على أحوال فقراء هذه الديار

بالأصل والفرع ، ويزيد لطفكم على الضعفاء للمتمكنين بواد غير ذى زرع ابتغاء  
لمرضاة الله يوم معاده كما قال عليه السلام " خصلتان ليس فوقهما شئ " من  
الخير الايمان بالله والنفع لمعاده " . ومحتفا مع الحاجى زين الدين  
المشار اليه قدوة الصلحاء والمتورعين مولانا نجم الدين السيوطى زاد الله  
تقواه لينوب منا بنا فى تقبيل سدتكم السنية ~~وتلهم~~ عتبتكم العلية ، وأتحفنا  
لخدمتكم برق باب مكة المعظمة ، والأقمشة الهندية المتنوعة ~~سبع~~  
طقوزات وعشرين شاشاة المبلولة بما " زمزم " رأس ركة معلمة طائفة فى الهوى  
كحمامة الحرم فالموجو من نواب أبوابكم العالية الانعام بالقبول والعذر  
عند كرام الناس مقبول أدامكم الله وأيدكم بالدولة القاهرة والسلطنة الباهرة  
الى يوم الدين آمين .

## قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر :

- ابن الأثير ( على بن أحمد بن أبي الكرم ، ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٨ م ) :  
الكامل فى التاريخ ، ١٢ جزء ، القاهرة ١٣٠٣ هـ .

- ابن اياس الحنفى ( محمد بن أحمد ، ت ٩٢٨ هـ / ١٥٢٥ م ) :  
بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، الجزء  
الأول ، القسم الثانى ، فيسبان ، القاهرة سنة ١٩٧٤ م .

- ابن تخرى بردى ( جمال الدين أبى المحاسن يوسف ، ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م ) :  
النجوم الزاهية فى ملوك مصر والقاهرة ، الجزء الثالث عشر  
والجزء السادس عشر ، تحقيق جمال الدين الشيال وفهيم محمد  
شلتوت ، القاهرة ، سنة ١٣٩٢ هـ / سنة ١٩٧٢ م .

- ابن حجر العسقلانى ( الحافظ شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على ، ت  
٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م ) :  
أنباء الخبر بأنباء الحمر ، تحقيق حسن حبشى ، ثلاث أجزاء ،  
القاهرة سنة ١٩٦٩ - سنة ١٩٧٢ م .

- ابن عرشاه ( الحنبلى ) ت ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ م ) :  
تاريخ تيمور ، مخطوط بمكتبة محمد حفيد أفندى باستانبول  
رقم ٦٠٧ ، خط عربى .

- البكرى ( محمد بن أبى السرور ، ت ١٢٠٨ هـ / ١٧٩٣ م ) :  
المنح الرحمانية فى الدولة العثمانية ، مخطوط مصور على ميكروفيلم  
بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، رقم ١٦٢٣ .

- الطبرى ( أبو جعفر محمد بن جرير ، ت ٣٩٠ هـ / ٩٢٢ م ) :  
تاريخ الرسل والملوك ، الجزء الخامس ، تحقيق محمد أبو الفضل  
ابراهيم ، القاهرة سنة ١٩٦٤ م .
- العصامى ( عبد الملك بن حسين المالكى ، ت ١٠٤٩ هـ / ١١١١ هـ ) :  
سمط النجوم العوالى فى أنباء الأواخر والتوالى ، ج ٤ ، ط  
القاهرة ، سنة ١٩٧٣ م .
- فريدون بك ( مجموعة منشآت السلاطين ) المجلد الأول ، بمكتبة السلیمانیة  
بإستانبول رقم ٣٢٦٩ .
- مجهول : ( سلوك سبيل الرشاد للسلطان مراد ، ( يشتمل على تاريخ  
سلاطين آل عثمان ) مخطوط بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة ، رقم  
٣١٢ / ١٠٢٤ .
- مجهول : ( تاريخ آل عثمان ) مخطوط بالمكتبة السلیمانیة بإستانبول  
رقم ٨٣٢ .
- مسلم : ( الامام أبو الحسن مسلم بن الحجاج نيسابورى ، ت ٢٦١ هـ /  
٨٧٤ م ) :  
صحیح مسلم ، الجزء الثامن ، القاهرة سنة ١٩٦٢ م .



— المقدسى الحنبلى ( زين الدين موى يوسف بن أبى بكر الكرى ، ت ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٣ م ) :

قلائد الحقيان فى فضائل آل عثمان ، مخطوط مصور على ميكروفيلم ،  
مصور عن مكتبة شستريتى تحت رقم ٥٢٩٨ ، موجود بمركز البحث  
العلمى ، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، مكة المكرمة .

— المقرئى ( تقى الدين أحمد بن على ، ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م ) :  
كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، الجزء الرابع فى ثلاثة أقسام  
تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ١٩٧٢ م .

#### ثانيا : المراجع العربية والمترجمة :

— ابراهيم عبد القادر المازنى

تاريخ الدولة الحلية ، ط القاهرة .

— ابن زبى دحلان : السيد أحمد بن السيد

الفتوحات الاسلامية ، الجزء الثانى ، الطبعة الأولى ،  
القاهرة سنة ١٣٢٣ هـ / سنة ١٩٠٥ م .

— أبو الحسن الندوى

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، الطبعة العاشرة ،  
القاهرة سنة ١٣٩٤ هـ / سنة ١٩٧٤ م .

— أحمد راسم رسلو

خريطة لى عثمانلى تاريخى ، الجزء الأول ، ط استانبول .

— أحمد شلبى

دراسة تحليلية شاملة للتاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية  
القاهرة سنة ١٣٨٩ هـ / سنة ١٩٦٩ م .

— ادوارد جيون

اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ، الجزء الثالث ،  
ترجمة محمد سليم سالم ، القاهرة سنة ١٣٨٩ هـ / سنة ١٩٦٩ م .

— اسماعيل سرهنك

حقائق الأخبار عن دول البحار ، الجزء الأول ، القاهرة  
سنة ١٣١٢ هـ / سنة ١٨٩٤ م .

— أنور الجندى

الاسلام وحركة التاريخ ، القاهرة ، سنة ١٩٧٥ م .

— أومان

الامبراطورية البيزنطية ، ترجمة مصطفى طه بدر ، القاهرة  
سنة ١٣٧٣ هـ / سنة ١٩٥٣ م .

— بروكلمان (كارل)

تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي ، بيروت  
سنة ١٩٥٥ م .

— توماس أرنولد

الدعوة الى الاسلام ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٧٠م .

— جودت باشا

تاريخ جودت باشا ، الجزء الأول ، ط استانبول .

— دائرة المعارف الإسلامية

دائرة المعارف الإسلامية

— رنسمان ستيفن

تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز المريني ، الجزء

الأول ، بيروت سنة ١٩٦٧م .

— ساطع الحصري

البلاد العربية والدولة العثمانية ، الطبعة الثانية ، بيروت ،

سنة ١٩٦٠م .

— سالم الرشيدى

محمد الفاتح ، الطبعة الثانية ، بيروت سنة ١٩٦٩م .

— سعيد عبد الفتاح عاشور

\* الحركة الصليبية ، جزءان ، القاهرة سنة ١٩٦٣م .

\* أوروبا العصور الوسطى ، الجزء الأول ، القاهرة سنة ١٩٦٦م .

- شاكرا الحنبلى  
التاريخ العثمانى ، ط دمشق ، سنة ١٩١٢م .
- شكيب أرسلان  
حاضر العالم الاسلامى ، جزءان ، بيروت سنة ١٩٧٣م .
- عبدالباسط الفاخورى  
تحفة الأنام مختصر تاريخ الاسلام ، بيروت سنة ١٩٠٩م .
- عبدالعزيز الشناوى  
أوروبا فى مطلع العصور الحديثة ، الجزء الأول ، القاهرة ،  
سنة ١٩٦٩م .
- عبدالعزيز نوار  
الشعوب الاسلامية ، بيروت سنة ١٩٧٣م .
- عزيز سوريال عطية  
العلاقات بين الشرق والغرب ، ترجمة فيليب صابر يوسف ،  
القاهرة ، سنة ١٩٧٢م .

— عهد القادر أحمد اليوسف

الامبراطورية البيزنطية ، بيروت ، سنة ١٩٦٦م .

— على سفيمن ويشار يوجل

الأتراك والاسلام ، سلسلة كتب شهرية تصدر بالكويت .

— فائق الصواف

العلاقات بين الدولة العثمانية واقليم الحجاز ، القاهرة ، سنة

١٩٧٨م .

— فتحي عثمان

الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربى والاتصال

الحضارى ، الجزئين الثانى والثالث ، القاهرة سنة ١٩٧٢م .

— فيشر

تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ترجمة محمد مصطفى زيادة  
وآخرين ، القسم الثانى ، الطبعة الثانية ، القاهرة سنة ١٩٥٧م .

— فيليب حتى

خمسة آلاف سنة فى تاريخ الشرق الأدنى ، المجلد الثانى ،

بيروت ، سنة ١٩٧٥م .

— محمد جميل بيمهم

فلسفة التاريخ العثمانى ، الجزء الثانى ، بيروت سنة ١٩٢٥م .

— محمد عبد المنعم السيد الراقد  
الغزو العثمانى لمصر ونتائجه على الوطن العربى ، القاهرة  
سنة ١٩٦٨م .

— محمد فريد بك  
تاريخ الدولة العلية العثمانية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ،  
سنة ١٨٩٦م .

— محمد فؤاد كويرلى  
قيام الدولة العثمانية ، ترجمة أحمد السعيد سليمان ، القاهرة  
سنة ١٩٦٧م .

— محمد كمال الدسوقي  
الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، القاهرة سنة ١٩٧٦م .

— محمود شيت خطاب  
محمد الفاتح ، مجلة رابطة العالم الاسلامى ، العدد التاسع ،  
السنة الخامسة عشرة ، رمضان سنة ١٣٩٧هـ / سنة ١٩٧٧م .

— محمود محمد زيادة  
دراسات فى التاريخ الاسلامى ، القاهرة ، سنة ١٩٦٨م .

— نبيه عاقل  
الامبراطورية البيزنطية ، دمشق سنة ١٩٦٩م .

- نورمان بينز

الامبراطورية البيزنطية ، ترجمة حسين مؤنس وآخرون ، القاهرة ،  
سنة ١٩٥٠ م .

- هامرتن جون

تاريخ العالم ، المجلد الخامس ، ط القاهرة .

- هسي

العالم البيزنطى ، ترجمة رأفت عبد المجيد ، القاهرة سنة  
١٩٦٩ م .

- يوسف آصاف

سلاطين آل عثمان ، ط القاهرة .



ثالثا : المراجع الأوربية :

- Ashour and Rabie, Fifty documents in Medieval History, Cairo, 1971.
- Alderson (S.D.): The structure of the Ottoman Dynasty, Oxford, 1959.
- Atiya (A.S.): The Crusade in the later Middle Ages, London, 1938.
- Cahun (L.): L'introduction a l'histoire de l'Asie, Paris, 1996.
- Creasy (E.S.): History of the Ottoman Turkes, Beirut, 1961.
- Diehl (C.): History of the Byzantine Empire, Princeton, 1925.
- Diehl (C), Marcais (G): Le Mond Oriental de 395a 1081, Paris, 1936.
- Fisher (S.N.): The Middle East History, London, 1971.
- Gibb (H.A.R.): The Damascus Chronicle of the Crusades, London, 1932.
- Gibb (H.A.R.) and Harold Bowen: Islamic Society and the West. Vol.I, London, 1950.



- Gibbon (E.): The History of the Decline and fall of the Roman Empire Vol. 6 & 7, Oxford, 1929.
- Gibbons (H.A.): The Foundation of the Ottoman Empire, Oxford, 1916.
- Hidden (A.W.): The Ottoman Dynasty, New York, 1912.
- Hogarth: The Balkans, Paris, 1915.
- Inalcik (H.): The Ottoman Empire, London, 1973.
- Jones (A.H.M.): The Decline and fall of the Roman Empire, London, 1955.
- Jouanin, Vangover: L'univers Turquie, Paris 1950.
- Lane - Pool (S.): Turkey, London, 1888.
- Lodge (R.): The Close of the Middle Ages, London, 1922.
- Marriott (J.A.R.): History of Europe, London, 1937.
- Mijattovich (C.): The last Emperor of the Greeks, London, 1892.
- Miller (W.): The Balkans, London, 1908.
- Orton (C.W.P.): Outlines of Medieval History, Cambridge, 1924.
- Ostrogorsky (C.): History of the Byzantine State, Oxford, 1956.
- Peter (C.): Economic Factors in the Decline of the Byzantine Empire, (Journal of Economic History, No. 13, 1953. P. 412 - 424).

- Paul (W.): The Rise of the Ottoman Empire, London, 1938.
- Shaw (S.I.): History of the Ottoman Empire and Modern Turkey,  
Vol. I, Cambridge, 1976.
- Stavrianos (L.S.): The Balkans Since 1453, New York, 1953.
- Stephenson (C.): Mediaeval History, New York, 1943.
- Thompson (J.W.): The Middle Ages, Vol. 2, London, 1931.
- Tout (T.F.): The Empire and the Papacy, London, 1924.
- Vasiliev (A.A.): History of the Byzantine Empire, Modison Wise,  
1952.  
Historire de L'Empire Byzantine, Tome 2, Paris,  
1932,
- Vryonis (S.J R ): Byzantium: The Social Basis of Decline in the  
Eleventh Century, (Greek, Roman and Byzantine Studeis,  
Vol. II, 1959.
- Workman (H.B.): The Evolution of the Manastic Ideal, London, 1957.
- The Cambridge History of Islam I, The Central Islamic Lands,  
Cambridge, 1970.
- The Cambridge Mediveal History 8 Vols, Cambridge, 1963.

# الفهرس

المقـدمـة

الصفحة	الموضوع
أ — هـ	* التمهيد ... ..
٢٠ — ١	* المقدمة : مقومات حركة الجهاد العثماني ضد البيزنطيين
٥ — ٣	— الموقع الجغرافي ... ..
١٦ — ٦	— الطبيعة العسكرية ... ..
٢٠ — ١٦	— الدوافع الدينية ... ..
٥٣ — ٢٢	* <u>الفصل الأول : استيلاء العثمانيين على غاليلولى ومداينة</u> <u>التوسع العثماني في البلقان</u> ... ..
٤٧ — ٢٢	— عوامل اضمحلال الدولة البيزنطية عند منتصف القرن الثامن الهجرى/الرابع عشر الميلادى
٥٠ — ٤٨	— دور مدينة غاليلولى فى جهاد العثمانيين ضد البيزنطيين ... ..
٥٣ — ٥١	— استعانة الامبراطور البيزنطى حنا الخامس بالغرب الأوروبى ضد العثمانيين ... ..
٩٠ — ٥٥	* <u>الفصل الثانى : العثمانيون وحركة الالتفاف حـسـبـول</u> <u>القسطنطينية</u> : ... ..
٥٨ — ٥٥	— استيلاء العثمانيين على أدونه ٧٦٦ هـ / ١٣٦٥ م واتخاذها عاصمة ... ..

الصفحة	الموضوع
٦٠-٥٨	- استيلاء العثمانيين على مقدونيا - ٧٨٤ هـ / ١٣٨٠ م ... ..
٦٩-٦٠	- انتصار العثمانيين في معركة كوسوفا ... ..
٨٤-٧٠	- انتصار العثمانيين على التحالف البيزنطي - الأوروبي في موقعة نيقوموليس ٧٩٨ هـ / ١٣٩٦ م
	* <u>الفصل الثالث : جهاد السلطان مراد الثاني ( ٨٢٤ -</u> <u>٨٥٥ هـ / ١٤٢١ - ١٤٥١ م ) ضد</u>
١٣٣-٩٢	<u>البيزنطيين :</u> ... ..
١٠١-٩٤	- حصار العثمانيين للقسطنطينية ٨٢٥ هـ / ١٤٢٢ م ونتائجه ... ..
١٠٨-١٠٧	- استعانة الامبراطور حنا الثامن بالقوى الأوروبية ضد العثمانيين ... ..
١٢٥-١٠٨	- هزيمة حملة صليبية أوروبية في موقعة فارنا - ٨٤٨ هـ / ١٤٤٤ م ... ..
١٧٤-١٣٤	* <u>الفصل الرابع : السلطان محمد الثاني وفتح القسطنطينية :</u>
١٣٩-١٣٨	- أحوال الدولة البيزنطية قبيل حصار العثمانيين للقسطنطينية ... ..
١٦٨-١٤٢	- استعدادات السلطان محمد الثاني لفتح القسطنطينية ... ..
١٤٢-١٣٩	- موقف القوى الأوروبية من الغزو العثماني للقسطنطينية ... ..
١٧٤-١٦٩	- انتصار الاسلام وسقوط القسطنطينية ... ..

الصفحة	الموضوع
١٧٩-١٧٦	* الخاتمة ... ..
٢٠٥-١٨١	* الملاحق: ... ..
	- الملحق الأول: رسالة السلطان مراد الثاني إلى سلطان مصر الأشرف برسباي يخبره وممنه بفتح قلعة سلانيك على يديه ومعزیه فی موت ولده يوسف ... ..
١٨٣-١٨١	- الملحق الثاني: رسالة السلطان محمد الفاتح إلى سلطان مصر الأشرف اينال يخبره فيها بفتح القسطنطينية ... ..
١٩٠-١٨٤	- الملحق الثالث: جواب سلطان مصر إلى السلطان محمد الفاتح ... ..
١٩٧-١٩١	- الملحق الرابع: رسالة السلطان محمد الفاتح إلى شريف مكة (وقد أرسلها إليه عن طريق سلطان مصر ... ..
٢٠١-١٩٨	- الملحق الخامس: جواب شريف مكة إلى السلطان محمد الفاتح ... ..
٢٠٥-٢٠٢	...
٢١٨-٢٠٧	* قائمة المصادر والمراجع ... ..
٢٠٩-٢٠٧	- أولا: المصادر ... ..
٢١٥-٢٠٩	- ثانيا: المراجع العربية والمترجمة ... ..
٢١٨-٢١٦	- ثالثا: المراجع الأوربية ... ..
٢٢٢-٢١٩	* القهرس ... ..